مجلة
إسلامية
شهرية
جامعة

البيان

AL BAYAN

السنة السادسة والعشرون . العدد ٢٩٢ . ذو الحجة ١٤٣٢ هـ . نوفمبر ٢٠١١ م

ثلاثة أيام في جهنم

السنن مصيدة الغافلين

أوسلو... ٢٠ عاماً من المؤامرة

وداعاً أيها القدس!

الثورات العربية...
والانطلاق الدعوي

معوقات تطبيق الشريعة الإسلامية

مجلة البيان

www.albayan.co.uk

تفاعل معنا إلكترونياً

YouTube

bayan@albayan.co.uk

مستشفى أبها الخاص
Abha Private Hospital

http://www

الآن...
موقعنا الإلكتروني
في ثوبه الجديد

www.aph.med.sa

- ☑ الحجز
- ☑ الأطباء
- ☑ التخصصات الطبية
- ☑ الاتصال ....

كلها الآن على موقعنا الإلكتروني

مجلة البيان
إسلامية . شهرية . جامعة

خدمة العملاء

السعودية
ص. ب ٢٦٩٧٠ الرياض: ١١٤٩٦.
الهاتف المجاني: ٩٢٠٠٠٤٥٤٨
هاتف: ٤٥٤٦٨٦٨ ـ فاكس: ٤٥٣٢١٢١
خدمة العملاء مباشر: ٢٢٥١٩٦٧

للمراسلات عبر البريد الإلكتروني

التحرير
editors@albayan.co.uk
خدمة العملاء
sub@albayan.co.uk
التسويق
sales@albayan.co.uk
العلاقات العامة
pr@albayan.co.uk

الموزعون

الأردن: الشركة الأردنية للتوزيع، عمان ص. ب ٣٧٥ هاتف: ٥٣٥٨٨٥٥، فاكس: ٥٣٣٧٧٣٣.
الإمارات العربية المتحدة: شركة الإمارات للطباعة والنشر، دبي ص. ب ٦٠٤٩٩
هاتف : ٣٩١٦٥٠١، فاكس ٢٦٦٦١٢٦ .
سلطنة عُمان: مؤسسة العطاء للتوزيع، ص.ب ٤٧٣ ـ العذيبة ١٣٠ ـ هاتف: ٢٤٤٩١٣٩٩ ـ فاكس: ٢٤٤٩٣٢٠٠ .
البحرين: مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف ـ **المنامة:** ص.ب ٢٢٤ هاتف ٥٣٤٥٥٩ ـ ٥٣٤٥٦١، فاكس ٥٣١٢٨١.
السعودية : الشركة الوطنية للتوزيع:
هاتف: ٤٨٧١٤١٤ ـ فاكس: ٤٨٧١٤٦٠.
السودان: الخرطوم، مكتب المجلة ٨٣٢١٢١٨٣.
قطر: دار الشرق للطباعة والنشر والتوزيع، الدوحة هاتف: ٤٥٥٧٨١٠ - ٤٥٥٧٨١١ - ٤٥٥٧٨١٢ - فاكس: ٤٥٥٧٨١٩.
الكويت: شركة المجموعة الكويتية للنشر والتوزيع، ص. ب: ٢٩١٢٦ ـ الكويت الرمز البريدي ١٣١٥٠ ـ هاتف: ٢٤٠٥٣٢١ ـ ٢٤١٧٨١٠ ـ فاكس: ٢٤٧٨٠٩.
المغرب: سوشبرس للتوزيع، الدار البيضاء، ش جمال بن أحمد ص. ب ١٣٦٨٣ ـ هاتف: ٢٤٠٠٢٢٣ ـ فاكس: ٢٤٦٢٤٩.
اليمن: دار القدس للنشر والتوزيع، صنعاء : ص. ب ١١٧٧٦ الطريق الدائري الغربي أمام الجامعة القديمة، هاتف: ٢٠٦٤٦٧ ـ فاكس: ٤٠٥١٣٥
تونس: الشركة التونسية للصحافة، ت ٠٠٢١٦٧١٣٢٢٤٩٩ - فاكس: ٠٠٢١٦٧١٣٢٢٠٠٤

رئيس التحرير
أحمد بن عبد الرحمن الصويان
alsowayan@albayan.co.uk

مدير التحرير
د. عبد الله بن سليمان الفراج

هيئة التحرير
أحمد بن عبد العزيز العامر
د. عبد العزيز بن محمد آل عبد اللطيف
د. يوسف بن صالح الصغير
فهد بن صالح العجلان
د. أحمد بن عبد المحسن العساف
فيصل بن علي أحمد الكاملي

سكرتير التحرير
إسلام السيد علي

الإخراج الفني
محمد سالم لرضي

عنوان المجلة على الشبكة العالمية
www.albayan.co.uk

الحسابات

السعودية: مصرف الراجحي
آي بان: SA١٣٨٠٠٠٠٢٩٦٦٠٨٠١٠٠٢١٠٠٧

الاشتراكات

السعودية ودول الخليج	١٢٠	ريال سعودي
بريطانيا وإيرلندا	٤٧	يورو
أوروبا	٥٥	يورو
البلاد العربية وإفريقيا	٤٥	يورو
أمريكا وبقية دول العالم	٥٥	يورو
المؤسسات الرسمية	٦٠	يورو

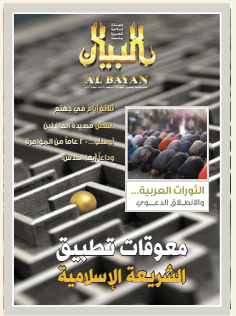

الافتتاحية

٤ **وداعاً أيها القدس!**
التحرير

العقيدة والشريعة

٨ **معوقات تطبيق الشريعة الإسلامية**
محمد وفيق زين العابدين

الغرب: قراءة عقدية

١٤ **ثلاثة أيام في جهنم**
فيصل بن علي الكاملي

قضايا دعوية

١٦ **نظرات وتوجيهات في تنمية الموارد المالية للمؤسسات الخيرية**
د. عمر إبراهيم عكاشة

٢٢ **دَوْر الأخلاق في تنمية عدد السكان**
د. حامد محمد إدريس

قضايا تربوية

٢٨ **مرض العصر**
عبد العزيز مصطفى الشامي

معركة النص

٣٢ **أين الثوابت والمتغيرات؟**
فهد بن صالح العجلان

نص شعري

٣٥ **ربّاه!**
عيسى جرابا

تحقيقات

٣٦ **أوسلو... ٢٠ عاماً من المؤامرة**
أحمد أبو دقة

المسلمون والعالم

٤٤ الثورات العربية... والانطلاق الدعوي
د. عبد العزيز كامل

٥٠ السنن مصيدة الغافلين
د. يوسف بن صالح الصغير

٥٤ أحداث ماسبيرو والانقضاض على مصر
محمد بن شاكر الشريف

٦٠ مع بداية أخطر انتخابات برلمانية في تاريخ مصر:
إسلام عبد العزيز

٦٥ مرصد الأحداث — جلال سعد الشايب

خاطرة

٧١ مع نفحات السَّحر — محمد شلال الحناحنة

عين على العدو

٧٢ كيف ينظر الصهاينة إلى التهديدات الإقليمية المحيطة بهم؟
د. عدنان أبو عامر

في دائرة الضوء

٧٤ لماذا الهجوم على السُّنة النبوية؟ ومن يقف وراءه؟
محمد إبراهيم مبروك

إعلام

٧٨ الإعلام الحائر بين الخبر والرأي
السنوسي محمد السنوسي

فكرية

٨٠ موقف الجابري من المعجزات والغيوب في الإسلام... عرض ونقد
د. غازي التوبة

قراءة

٨٤ عقول أطفالنا في خطر
محمد عبد الشافي القوصي

قصة قصيرة

٨٨ ادعاء باطل — أحمد أبو شاور

الباب المفتوح

٩٠ أهمية التربية للأمة الإسلامية — طارق زوكاغ

بأقلامهن

٩٣ سجَّادة المطبخ — بشرى اللهو

الورقة الأخيرة

٩٤ الشَّحن والإفراغ وأثرهُما السلبي على البحث العلمي
د. عبد الكريم القلالي

[كلمة صغيرة]

الإقصائيون!

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، والصلاة والسلام على خاتم المرسلين، وبعد:

فمن أكبر التهم التي يوجهها العَلمانيون للإسلاميين أنَّهم إقصائيون!

حسناً... فلنفترض ذلك جدلاً، لكن أليست الأنظمة العَلمانية التي تتشدق بالديمقراطية وتتحدث عن صناديق الاقتراع وتداول السلطة هي من يمارس الإقصاء، بل القمع والاستبداد؟

ألم تجهض الديمقراطيةَ في فلسطين والجزائر بكل صفاقة وتشنج؟

ألم يُحرَم الإسلاميون بمختلف تصنيفاتهم التي يستخدمها الإعلام (متشددون ومعتدلون) من المشاركة السياسية في معظم الدول العربية؟

ومع ذلك دَعُونَا من الأنظمة، وتأمَّلوا واقعَ المؤسسات والشخصيات العَلمانية: ألا ترونها تمارس أشرس أنواع الإقصاء والتهميش لغيرهم؟

يتحدثون عن قيم الحرية والرأي والرأي الآخر وحقوق الإنسان... ونحوها من الشعارات؛ لكنهم يفصِّلونها ويفسِّرونها لتتلاءم وأهدافهم، ويختزلونها في أُطُر ضيقة جداً لا تتسع إلا لرؤاهم الفكرية الخاصة!

إنه منطق عجيب فيه ازدواجية؛ يحق لكل التيارات السياسية أن تتبنى أي أيديولوجية أو فكر من أقصى الشرق إلى أقصى الغرب، لكن لا يحق للإسلاميين أن يتبنَّوا الرؤية السياسية الإسلامية، وسوف يصيح بهم العَلمانيون من أقطارها: إياكم والإسلام السياسي! إياكم والأدلجة! لا تتسلقوا على الدين لتحقيق مصالحكم السياسية!

وبسبب ارتفاع حدَّة هذه الأصوات وتشنجها، صدَّقها بعض الإسلاميين للأسف! وراحوا يرفعون بعض الشعارات العَلمانية، وإن كان ذلك بأشكال وقوالب مختلفة، لعلهم يُقبَلون في عضوية النادي السياسي!

وداعاً أيها القدس!

الحمد لله ربِّ العالمين، والصَّلاة والسَّلام على نبينا محمَّد وعلى آله وصحبه، وبعد:

منذ أشرق فجر الإسلام والقدسُ جزء لا يتجزأ من عقيدته، هواؤه يحمل أنفاساً مباركة لرُسُلٍ لهجوا بذكر الله ودعوا إلى توحيده، ومسجدُه الأقصى هو مسرى المصطفى ﷺ، قد بارك الله حوله وضاعف الأجر للمتعبِّدين فيه، كم انفردَت في سبيله سوالف، وسُجلت في ساحاته بطولات ومواقف!

وأرضٌ هذا حالها من القداسة والجلال والجمال لا تزال ترمُقها أعين الكائدين والحاقدين من أعداء الدين وأعوانِهم من المنافقين. فبعد سقوط الإمبراطورية الرومية وصيرورة القدس تحت حكم البيزنطيين، ظهر الإسلام في جزيرة العرب وخارجها واستطاع الصحابة الأطهار تطهير القدس من رجس الصليب، وسُلِّمت مقاليده للفاروق - رضي الله عنه - عام ١٦هـ (٦٣٨م). وفي عام ٤٩٢هـ (١٠٩٩م) إبَّان الحملة الصليبية الأُولَى عادت مفاتيح القدس إلى الغزاة الصليبيين الذين استولوا عليه حتى عام ٥٨٣هـ (١١٨٧م) حين استنقذه صلاح الدين الأيوبي رحمه الله. لكنَّ قلوب المسلمين ما كادت تأنس بعودة القدس حتى استحال عرضاً من عروض التجارة يقبل المساومة؛ إذ سلمه السلطان الكامل الأيوبي طواعية لإمبراطور الروم «فريدريك الثاني» عام ٦٢٦هـ (١٢٢٩م).

وفي عام ٦٤٠هـ (١٢٤٣م) استعاد الملك الصالح نجم الدين أيوب بيت المقدس وبقي تحت حكم المصريين حتى عام ٩٢٢ هـ (١٥١٦م)؛ إذ انتقل إلى حكم العثمانيين. لكنَّ أربعة قرون لم تُنسِ الصليبيين بيتَ المقدس قاعدةَ فرسان الهيكل؛ فقد تمكنت القوات البريطانية في أثناء الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٧م من هزيمة العثمانيين واحتلال بيت المقدس

بقيـــادة الجنرال الصليبي «إدموند ألِنْبي». وفي العام نفســـه أصدرت بريطانيا «وعد بالفور» الذي منح اليهود وطناً قومياً في فلسطين، وصادقت «عصبة الأمم» على هذا الإعلان عام ١٩٢٢م. وهكذا أصبح الصهاينة اليهـــود حكاماً للقدس تَبَعاً لا اســـتقلالاً؛ يقومون عليه بالنيابة عن الغرب الرومي، تماماً كما كان الهيروديون اليهود في زمن المســـيح – عليه السلام – يحكمون القدس بالنيابة عن أباطرة الروم.

حُلَّت «عصبة الأمم» وحَلت محلها «منظمة الأمم المتحدة» (نواة النظام العالمي الجديد) التي أصدرت عام ١٩٤٧م «قرار الجمعيـــة العمومية ١٨١» الذي نـــص على جعل القدس تحت الوصاية الدولية. ومنذ ذلك الحين والغرب الصليبي يســـعى إلى إخراج القدس من أي اتفاقية سلام أو تقسيم أو نحوهما. فمثـــلاً في عام ١٩٨٠م لمَّا أَعلنت إســـرائيلُ القدسَ «عاصمةً موحَّدةً وأبديةً» اعترضتْ الفاتيكان (معقل الصليبية) بشـــدة. وبحلول عام ١٩٨٤م كان البابا يوحنا بولس الثاني يطالب بأن يكون للقدس «وضعُه الدولي الخـــاص والمضمون»[١]، وأخيراً أغضب البابا بندكت السادس عشـــر كثيراً من اليهود عندما أدان الهجومَ الإســـرائيلي على غزة وأسماها «معسكر اعتقال واسع»[٢]؛ فهل كان هذا حباً للسلام؟ بل الصليبية أبعد ما تكون عن محبة السلام؛ لكنه الحرص على استقلال القدس عن أي حكم غير صليبي؛ سواء كان هذا الحكم يهودياً أم إسلامياً.

ليس مُصابُنا في مساعي أهل الشرك لنصرة دينهم، فهو مما نعلمه ســـلفاً؛ فقد قال الله – عـــز وجل – عنهم: ﴿ **وَلا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْـتَطَاعُوا** ﴾ [**البقرة**: ٢١٧]. لكن الرَّزية كلَّ الرزية أن يطوف من يدَّعي من المسلمين حماية الأرض المقدسة ببلاد العالم يستجدي دولة لن يكون لها نصيب من القدس كما يعلم ذلك كل مهتم بهذا الشـــأن. فهذه المبادرة التي يرأســـها أبو مازن لا تعـــدو كونها إخماداً لجذوة الجهاد في الأرض المقدســـة وإحياءً لقرار الجمعية العمومية آنِفِ الذكر؛ الذي نص منذ أكثر من ستة عقود على أن «تنشأ في فلسطين الدولتان المستقلتان (العربية واليهودية)، والحكم الدولي الخاص بمدينة القدس»[٣]. وهو قرار يخدم مخططات صليبية سبق أن أشـــارت إليها مجلة البيان في مقال بعنوان «القدس عاصمة للنظام العالمي الجديد»[٤].

إن الخطة التي تحاك للقدس خلف ســـتار المطالبة بدولة فلسطينية كاملة السيادة ليســـت وليدة الساعة، بل هي أحد الفصول المتأخرة من مســـرحية غربية صليبية بدأت كتابتها منذ الحرب العالمية الأولى. وهذه الخطة تتمثل في ما يلي:

أولاً: وجـــوب فض النزاع القائم بـــين اليهود و «العرب» في فلســـطين – طوعاً أو كرهاً – على أســـاس حل الدولتين. وحول هذا يقول الصليبي «زبيجنيف بريجينســـكي»: «ينبغي على إدارة أوباما – إذا ما رفض الإسرائيليون أو الفلسطينيون الموافقة على الصيغة الأساسية [لحل الدولتين] كنقطة انطلاق للمفاوضات – أن تكون مســـتعدة للاســـتمرار في مبادرتها بوسائل مختلفة... وبناء عليه فإن على الإدارة [الأمريكية] أن تُبلغ الطرفين أنه إن رُفض العرض من أحدهما أو كليهما فإن الولايات المتحدة ســـتطلب تأييد مجلس الأمن لخطة السلام هذه، وهي خطوة كفيلـــة بأن تولد ضغطاً عالمياً على الطرف المتمرد»[٥]. أما حدود الدولتين فقد اتُّفق عليها سلفاً كما أشار إلى ذلك الصهيوني «كيسينجر» في حوار أجرته معه صحيفة «دير شبيغل» الألمانية[٦].

فالأمر إذن ليس اختياراً، وما يقوم به محمود عباس إنما هو دفعٌ لعجلة المشـــروع الغربي في السيطرة على القدس بالصورة التـــي يريدها هو؛ فلا غَرْو إذن أن نجد رمزاً مثل «جيمي كارتر» يمجد هذه الخطوة «المازنية» التاريخية ويصرح بأنه لو كان رئيساً للولايات المتحدة لما تردد في تأييد قيام دولة فلسطينية[٧]. بل إن تأييد اليونســـكو (منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة) لدولة فلسطينية كاملة العضوية في الأمم المتحدة شاهد على أن الأمر قد أَزِف، وأن المسألة مسألة وقت، وإن تظاهرت «كلينتون» بأن موقف الأمم المتحدة مُربِكٌ ومتناقض[٨].

ثانيـــاً: مجرد حل الدولتين لن يثمر شـــيئاً لصالح الجانب الصليبـــي إلا إذا عُزِّز بتدويلٍ للقدس تُنـــزَع بموجبه من أيدي

(1) http://www.nytimes.com/198403/05//opinion/l-what-pope-john-paul-ii-would-learn-if-he-visited-jerusalem-163204.html

(2) http://www.reuters.com/article/200925/01//us-pope-jews-relations-sb-idUSTRE50O0UJ20090125

(٣) قرارات الأمم المتحدة بشأن فلسطين والصراع العربي الإسرائيلي، المجلد الأول، ١٩٤٧م – ١٩٧٤م، مؤسسة الدراسات الفلسطينية.

(4) http://albayan.co.uk/MGZarticle.aspx?ID=838

(5) http://www.washingtonpost.com/wp-dyn/content/article/201009/04//AR2010040903263.html

(6) http://www.spiegel.de/international/world/0,1518,6344002,00-.html

(7) http://www.npr.org/2011140558127/18/09//jimmy-carter-no-downside-to-palestine-statehood

(8) http://english.aljazeera.net/news/middleeast/2011201110523540744569/10/.html

المسلمين واليهود على حد سواء، ويعيَّن لإدارة شؤونها حاكم لا ينتمي إلى الدولة الفلسطينية بل ولا إلى الدولة اليهودية بناء على قرار الجمعية العمومية ١٨١ الذي يسعى أبو مازن لإحيائه[١]! وبهذا تصبح القدس دولة بين دولتين – أو «كياناً منفصلاً» Corpus Separatum كما يسميها قرار الجمعية العمومية – لها سيادتها الخاصة وسفاراتها المستقلة؛ لا يحكمها يهود ولا عرب (مسلمون)!

ثالثاً: يراد للقدس أن يكون عاصمة تجارية عولمية، أو «سنغافورة الشرق الأوسط» على حد تعبير مستشار أوباما «زبيجنيف بريجينسكي». كما يراد له أن يكون عاصمة روحية لكل الأديان، وحينها لن يكون نصيب المسلم منه أوفرَ من نصيب الهنادكة والملاحدة فضلاً عن أهل الكتاب.

رابعاً: والحالة هذه، فإن احتمال انتفاض الغيورين من المسلمين لإيقاف تلك المهازل وتطهير القدس من رجس المشركين واردٌ لا محالة، لكن المدبرين لهذا السيناريو لم يغفلوا هذا الأمر، فاشترطوا لحل الدولتين أن «تجرَّد مدينة القدس من السلاح ويعلَن حيادها ويحافَظ عليه، ولا يسمح بقيام أي تشكيلات أو تدريب أو نشاط عسكري ضمن حدودها» و «للمساعدة على استتباب القانون والنظام الداخلي – وبصورة خاصة لحماية الأماكن المقدسة والمواقع والأبنية الدينية في المدينة – يقوم الحاكم [للقدس] بتنظيم شرطة خاصة ذات قوة كافية»[٢].

أخيراً، لن يتمكن الصليبيون من فرض سيطرتهم على القدس وما حولها حتى تكون لهم قاعدة عسكرية قوية تتولى صدَّ «الدخلاء» من المسلمين. ولتبرير هذا الوجود العسكري لا بد أن يبدي الرئيس الإسرائيلي «بنيامين نتنياهو» تخوفاً من احتمال وقوع اعتداءات على الدولة اليهودية، وهو ما يستدعي – بزعمه – وجود قاعدة عسكرية ثابتة تضم قوات دولية من أجل حمايتها[٣]. وهذه مسرحية يقوم بها هذا اليهودي الذي يعمل لـ «مجلس العلاقات الخارجية» الصليبي منذ أن كان في الرابعة والعشرين من عمره. فحقيقة الأمر أنه سيكون جيشاً صليبياً لتطويق القدس وفرض السيطرة على الأرض المقدسة. وهذا عين ما اقترحه اليسوعي «بريجينسكي» من أن تكون هناك «دولة فلسطينية منزوعة السلاح تضم عسكراً من الولايات المتحدة أو حلف الناتو على طول نهر الأردن لتقديم مزيدٍ أمنٍ لإسرائيل»[٤]. وهو كذلك ما دعا إليه ساركوزي ولقي ترحيباً حاراً من محمود عباس[٥]! ولعل محاولة تعزيز الأمن في سيناء جزء من هذه الخطة.

إن عنوان هذه الأسطر ليس من قبيل الترويج الإعلامي؛ بل هو محاولة لإيقاظ الغافلين؛ فالأمر خطير جد خطير، والأقصى يباع رسمياً. وما لم يكن ثمة وعي وحَراك لتغيير ما يجري فليس ببعيد أن يعيد التاريخ نفسه فينادَى بخروج المسلمين من القدس كما حدث في زمن الملك الكامل حين سلَّمه للنصارى. حينها لن يجديَ الحزنُ نفعاً. يقول المقريزي واصفاً الأسى والغم الذي أصاب المسلمين لمَّا نودي بخروجهم من القدس: «وبَعث السلطان [الكامل] فنودي بالقدس بخروج المسلمين منها لتسليمه إلى الفرنج... فاشتد البكاء وعظم الصراخ والعويل، وحضر الأئمة والمؤذنون من القدس إلى مُخيَّم الكامل، و أذَّنوا على بابه في غير وقت الأذان»[٦].

إن رياح الثورات التي تعصف بالعالم العربي وإن صرفت أنظار العامة عما يحاك للقدس فلا ينبغي أن تصرف أنظار العلماء العاملين والباحثين المخلصين؛ فأين مراكز الدراساتِ والبحوثِ والجمعياتُ المعنيَّةُ بالدفاع عن الأقصى من إدانة ما يقوم به عباس من مساومة على مسرى النبي ﷺ؟ وأين مواقف الدعاة والعلماء من الخطط المعلَنة لتدخُّلٍ عسكري غربي في الأرض المقدسة[٧]؟ أم هي «نظرية المؤامرة» مرة أخرى؟

---

(١) انظر نص «قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم ١٨١» باللغة الإنجليزية على موقع «مجلس العلاقات الخارجية» الأمريكي:
http://www.cfr.org/un/un-general-assembly-resolution-181-ii-palestine/p11191
وترجمة له إلى العربية على الرابط التالي:
http://mohammedelkhaldi.maktoobblog.com/396179/%D986%%D8%B5-%D982%%D8%B1%D8%A7%D8%B1-%D8%AA%D982%%D8%B3%D98%A%D985-%%D981%%D984%%D8%B3%D8%B7%D98%A%D986-%%D8%B1%D982%%D9181-85%/

(٢) راجع نص قرار الجمعية العمومية ١٨١.

(3) http://www.youtube.com/watch?v=Vq8AoUGRzNc

(4) http://www.washingtonpost.com/wp-dyn/content/article/201009/04//AR2010040903263.html

(٥) مقال بعنوان: «عباس يؤيد اقتراح ساركوزي تشكيل قوة دولية لمساعدة الأجهزة الأمنية»:
http://www.alittihad.ae/details.php?id=160054&y=2007

(٦) المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ١: ٧٢ [ترقيم الموسوعة الشاملة].

(٧) انظر تفاصيل هذا المخطط في تقرير CNAS بعنوان «الأمن مقابل السلام: وضع الشروط من أجل دولة فلسطينية» على هذا الرابط:
http://www.cnas.org/node/4362

مجلة البيان

www.albayan.co.uk

الرفيق في رحلة الحج

خير رفيق في رحلة الحج

- الرفيق الشرعي
- الرفيق التربوي
- الرفيق المهاري

للتوزيع الخيري

sales@albayan.co.uk

الرياض: ـ هاتف: ٤٥٤٦٨٦٨ تحويلة: ٥٠٠ و ٥٠٢ فاكس: ٤٥٣٢١٢١

التوزيع والمبيعات: ٠٥٠٤٤٧٨٩٣٢ ٠٥٠٢٢١٠٩٢٠ـ ٠٥٠٣٤٠٩٨١٦ـ ٠٥٠٣٨٩٦٣٦٥ـ ٠٥٠٦٤٦١٠٦٥

جدة: ٠٥٠٦٤٦١٠٥٧ مكة والمدينة: ٠٥٠٧٢٦٦١٢٠ المنطقة الجنوبية: ٠٥٠٦٤٦١٠٥٨

المنطقة الشرقية: ٠٥٠٦٢٩٢٦٨٩ منطقة القصيم: ٠٥٠٢٢٢٠٦١٦ المنطقة الشمالية: ٠٥٩٠٩٩٢١١٦

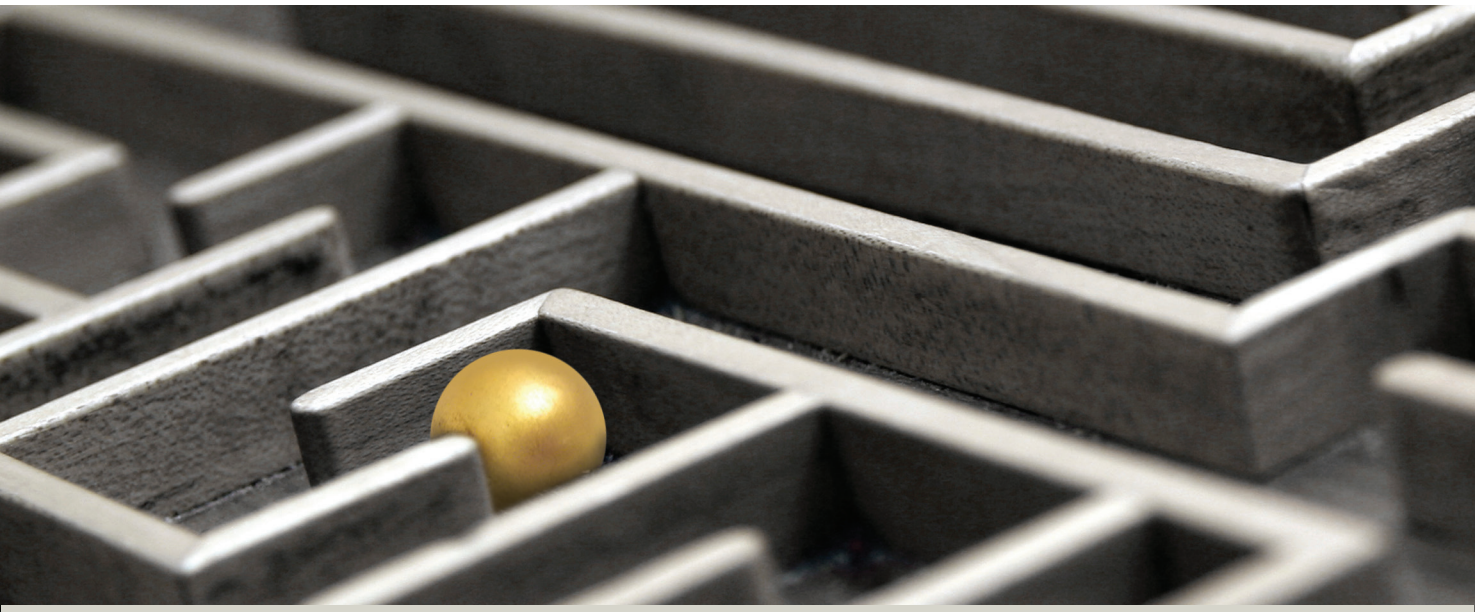

معوقات تطبيق الشريعة الإسلامية

محمد وفيق زين العابدين(*)

الحمد لله الذي رفع لنا في كل ثغر عَلَماً، وأجرى لنا في جوار كل بحر ما يضاهيه كرماً، وجعل في هذه الأمة من المسلمين إلى اليوم من يزيد الناس عِلماً ويمحو من الظلمات ظلماً، أما بعد:

فلا يمكن الكلام عن قضية تطبيق الشريعة الإسلامية دون التعرض لموضوع هام يرتبط بها ارتباطاً وثيقاً مؤثراً، وهو: (معوقات تطبيق الشريعة)(1). إذ لا سبيل للوصول للحق من دون تذليل العقبات التي تعترضه، وفي ضوء ما سيتم إزالته من عقبات، ومن خلال ما سيتم تقديمه من تهيئة، ستُحسَم قضية تطبيق الشريعة بسرعة وستؤتي ثمارها بين الناس.

وليس معنى ما تقدم تعليقَ تحكيم الشريعة لحين تذليل هذه العقبات؛ فتذليل هذه العقبات ربما يستغرق شهوراً أو سنوات، بل معناه أن كلا الأمرين (تطبيق الشريعة، وإزالة معوقات تطبيقها) لا بد أن يسير في الاتجاه ذاته في الوقت ذاته، كما حدث ذلك بشأن تحكيم القوانين الوضعية حين عمد المستعمرون والعَلمانيون إلى وضع هذه القوانين في نهاية عهد الدولة العثمانية وبعدها، بالرغم من أن الشعوب الإسلامية لم تكن لتتقبل ذلك في هذا التوقيت طواعيةً واختياراً، لكنَّ المستعمرين لم يدخلوا القوانين الوضعيةَ البلادَ الإسلامية فحسب، بل أخذوا ينفِّذون خطة منهجية لمسخ المناهج الدراسية وتصفيتها من الجوانب الدينية شيئاً فشيئاً، ولم يكن هذا في المدارس النظامية فقط، بل كذلك في المدارس والمعاهد الدينية، وكذلك شرعوا في تأسيس مدارس الحقوق وكلياتها وَفْق مناهجهم لبثِّ سمومهم وتكوين جيل من المسلمين يحمل على عاتقه مهمة الانحراف بالأمة عن شرع الله بدلاً عنهم إما عمداً أو جهلاً. وليس ذلك فحسب بل أخذوا ينعِمون بالمنح الدراسية في جامعاتهم على أفذاذ شباب هذه الأمة وأوائل الطلبة في مدارس وكليات البلاد الإسلامية - كما حدث مع الأستاذين الشهيرين عبد الرزاق السنهوري وطه حسين وغيرهما - ليعودوا بعد استكمال دراستهم أشدَّ عداءً للشريعة؛ ففرنسا وإنكلترا وأمريكا وغيرها تحصد الآن ما زرعته وما بذلته من مجهود في سبيل تغيير التوجه العام للشعوب الإسلامية، وتهيئة المناخ نحو رفض تطبيق الشريعة إذا ما أُذن

(*) القاضي بمحكمة بنها الابتدائية.

(١) أهم الكتب المؤلفة في هذا الباب هي كتب (معوقات تطبيق الشريعة الإسلامية) لكل من الشيخ مناع القطان، والدكتور عمر سليمان الأشقر، والدكتور محمد أبي الفتح البيانوني. وللدكتور عصام العبد زهد والدكتور جمال الهوبي بحث بعنوان (تحكيم الشريعة ومعوقات التطبيق) مقدم إلى مؤتمر (الإسلام والتحديات المعاصرة) المنعقد بكلية أصول الدين في (الجامعة الإسلامية) في إبريل عام ٢٠٠٧م.

لهـا أن تعود، وكل ما علينا إذن هـو إعادة تهيئة هذا المناخ نحو تقبُّل الشـريعة قانوناً يتحاكم إليه وبه المسلمون بإزالة المعوقات والعقبات التي وضعها الغربيون للحيلولة دون تطبيق الشريعة.

ويمكننا تقسيم معوقات تطبيق الشريعة إلى قسمين:

الأول: معوقـات نفسـية وفكرية تتعلق بالإيمـان والعقيدة والعوامل النفسية وطرق التفكير.

الأول: معوقات ماديـة وواقعية فرضتها حوادث تاريخية أو ظروف حالية.

القسم الأول: المعوقات النفسية والفكرية:

أولاً: الجهل بحقيقة الشـريعة وقدرتها على مواكبة متطلبات العصر الحديث:

من أهم معوقات تطبيق الشـريعة الإسـلامية جهل الناس بحقيقة الشريعة وقدرتها على مواكبة متطلبات العصر الحديث؛ إذ يظنـون أنها عاجزة عن الوفـاء بهذه المتطلبـات والنوازل، وأن مصـادر التشـريع قد خلت من معالجة المسـائل العصرية المستحدثة.

وهذه الظنون مبناها على الجهل بحقيقة الشـريعة وبمصادر التشـريع الإسـلامي، وقد تولدت نتيجة تقصير الدعاة عن بيان محاسـن التشـريع ووجوه إعجازه وأصولـه وأحكامه ومصادره، وإذا كنا نريد تطبيق الشـريعة فلزاماً أن نُبيِّن للناس محاسـنها وإيجابياتها[1] وفضائلها ومـا فيها من خير في الدنيا قبل الآخرة ، ونبـرز لهم وجوه إعجازها وعلوّ كعبها على غيرها من الشـرائع والتقنينات، ونقدم لهم صورة واضحة عن الإسلام وأحكامه وقدرته على التعامل مع غير المسلمين بإنصاف وعدل، وفي الجملة بيان أن الشريعة صالحة لكل زمان ومكان؛ لكثرة علومها، وتعدُّد مصادرها، وتنوُّع قواعدها ما بين كلية وجزئية يمكن تنزيل المسـائل والفروع عليها - مهما كانت عصرية أو مستحدثة - على نحو يضبط حياة الناس ومعاملاتهم.

ثانيـاً: ضعـف الإيمـان عنـد كثـير مـن المسـلمين، وشعورهم بالهزيمة النفسية:

من معوقات تطبيق الشـريعة ضعـف الإيمان عند كثير من المسلمين، وهذا الضعف يتمثل في جانبين:

الأول: عـدم الثقـة في موعـود الله - تعالـى - بنصره للمسلمين إذا ما تمسـكوا بدينهم وعادوا لشـريعتهم مصداقاً لقول الله - تعالى -: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً ﴾ [النور: ٥٥].

الثانـي: عدم الثقة في أحكام الشـريعة وقدرتها على مواكبة التطـور وتنظيم أحوال المجتمعات وما طرأ عليها والوفاء بحاجات الناس وحل مشاكلهم ومنازعاتهم.

ولضعـف الإيمان المتقدم أسـباب متعددة، بعضها نفسـي عقائدي يتعلق ببُعد المسـلمين عن دينهم وعقيدتهم الصحيحة، وتأثرهم بالفكر العَلماني وفكرة فصل الدين عن الدولة، واعتقاد أن الديـن مصدر التخلـف. وبعضها يتعلق بأسـباب تاريخية وواقعية جـراء الهزائم المتوالية التي تعرَّض لها المسـلمون في الفترة الأخيرة من تاريخهم، وانقسـامهم وتشـتتهم، وتخلفهم اقتصادياً وعسـكرياً مع تقدم أعدائهم، وتزايد نفوذ العَلمانيين في أجهزة الإعلام ومؤسسات الدولة.

كل هذه الأسـباب أدت إلى ضعف إيمان كثير من المسلمين وتغلغل الهزيمة النفسية في أعماقهم حتى ظنوا أنه لا سبيل لهم للخروج من هذه الكبوة، والنهوض من هذه الغفلة لمسـايرة ركب التقدم والحضارة، إلا بتتبع الغرب وفصل الدين عن الدولة.

ويمكن التغلب على هذا المعوق بالتربية والتوجيه والإرشـاد، وتوضيح إيجابيات أحكام الشـريعة ووجـوه إعجازها وقدرتها على مسـايرة التطـور والوفاء بحاجات الناس وحل مشـاكلهم الاجتماعية ومنازعاتهم القضائية.

ثالثاً: انعدام الثقة في النخبة الإسلامية:

إن انعدام الثقة في الإسـلاميين من مفكرين وسياسـيين وقانونيين منوطٌ بهم وضعُ الشـريعة الإسـلامية في موضعها الصحيح في النظام السياسـي والقانوني للدولة، أدى إلى فَقْد الناس الثقة في التشريع الإسلامي؛ لا سيما الجوانب التي تتعلق بعلاقة المسلمين مع غيرهم، وقد حدث هذا نتيجة أمرين:

الأول: تعليق كثير من الناس الحكم على التشريع الإسلامي بحكمهم على الدعاة ونخبة المفكرين والسياسـيين والقانونيين الإسلاميين.

الثاني: الممارسات الخاطئة لبعض هؤلاء السياسيين والقانونيين، وهو ما ينعكس بالضرورة على دعوتهم وسياساتهم ومناهجهم.

---

(١) وقد بينت شيئاً من هذه المحاسن والإيجابيات في مقال (محاسن السياسة الجنائية الإسلامية) المنشور بمجلة البيان (السنة ٢٦، العدد ٢٨٨ ، شعبان ١٤٣٢هـ).

ولئن كانت هناك بعض الممارسات الخاطئة لبعض الدعاة والمفكرين والداعمين لقضية تطبيق الشريعة من السياسيين والقانونيين فهذا لا يَضير الشريعة ولا يعيبها؛ وإنما العيب في الأشخاص وممارساتهم الخاطئة، وعليه فيجب التفرقة في الحكم بين المنهج والداعي للمنهج.

رابعاً: التأثر بفكر دعاة حقوق الإنسان:

من معوقات تطبيق الشريعة تأثُّر كثير من الناس بفكر بعض دعاة حقوق الإنسان الذين يتهمون نظام العقوبات الإسلامي وتشريعات الحدود بالقسوة وانتهاكها لحقوق الإنسان. وهذا نابع من عدم الفهم الصحيح لحقيقة نظام العقوبات في التشريع الإسلامي، والجهل بحكمتها وتعدد أغراضها وتنوعها لتحقيق الزجر والردع والتأديب للشريرين والمفسدين بحسب نوع الجُرم المرتكَب؛ فما كانت مفسدته عظيمة كانت عقوبته عظيمة، وما كانت مفسدته يسيرة فعقوبته يسيرة، وما كانت مفسدته مختَلَف فيها بحسب اختلاف الزمان والمكان فتقدير عقوبته متروك لولي الأمر، وقد تولى الله – عز وجل – بحكمته وعلمه ورحمته تقدير عقوبات بعض هذه الجرائم نوعاً وقَدْراً لما فيها من المفسدة الثابتة التي لا تتبدل مهما اختلف الزمان والمكان رفعاً منه – عز وجل – للحرج وإزالةً للاختلاف فله الحمد والمنة.

خامساً: التعصب المذهبي والفكري بين المسلمين:

فالتعصب المذهبي والفكري لدى بعض المسلمين جعلهم يتشددون في المسائل الخلافية، ويثرِّبون على مخالفيهم، ويوصدوا باب الاجتهاد، فنجم عن هذا إساءة الظن بالشرع، والرضا بالقوانين الوضعية بديلاً عن الشريعة.

يقول الأستاذ عبد القادر عودة – رحمه الله –: (ومن الثابت تاريخياً أن القوانين الأوروبية نُقلَت إلى مصر في عهد الخديوي إسماعيل، وأنه كان يود أن يضع لمصر مجموعات تشريعية مأخوذة من الشريعة ومذاهب الفقه الإسلامي المختلفة وقد طلب من علماء الأزهر أن يضعوا هذه المجاميع، ولكنهم رفضوا إجابة طلبه؛ لأن التعصب المذهبي منعهم من أن يتعاونوا على إظهار الشريعة في أجمل صورها، فضحُّوا بالشريعة جميعها، واحتفظ كل بمذهبه، والتعصب له وأضاعوا على العالم الإسلامي فرصة طالما بكوا على ضياعها، وحق لهم أن يبكوا عليها حتى تعود)[1].

ويقول الدكتور عمر سليمان الأشقر – رحمه الله –: (والذي زاد الطين بِلَّة: جمود المتفقهة المفتين والمعلمين والواعظين على نصوص كتب متبوعيهم المتأخرين، بدون تبصُّر وإعمال روية، ورجوع إلى أصول الشريعة وأقوال السلف، وجهلهم بمقتضى الزمان والعمران، ونفورهم من كل جديد بدون أن يزِنوه بميزان الشريعة، ومناوأتهم المجددين بدون إصغاء إلى براهينهم، ومكافحتهم العلوم العقلية والكونية، وتحذير الناس من دراستها، وتحجيرهم على غيرهم الاستهداء من الكتاب والسنة لزعمهم أن ذلك كله مخالف للدين، لجهلهم بحقيقة الدين؛ لأن هذه الشريعة الغراء السمحة تسير مع العلم جنباً إلى جنب، واسعة تسع قواعدُها العامة كلَّ جديد من مقتضيات الزمان والعمران؛ لأنها محض رحمة وسعادة.

وأغرب من هذا أن هؤلاء الجامدين من أُسَرَاء التقليد لا يتأثمون من مداهنة الحكام والتجسس لهم، وغشيان ولائمهم التي يتخللها من المنكرات ما تقطع الشريعة بتحريمه، وتوقيعه المقررات المستمدة من القوانين الوضعية، أو الأوضاع الإدارية، أو الاستحسان الكيفي حرصاً على رواتبهم التي يتقاضونها من خزينة الحكومة، أو تعزيزاً لجاههم ومكانتهم، ويتورعون عن الاجتهاد في نازلةٍ نزلت بالمسلمين لأنها غير منصوص عليها بصريح العبارة في كتب المتأخرين من متبوعيهم، فنجم عن تورعهم هذا هجرُ الشريعة والاستعاضة عنها بالقوانين وتشتُّت شمل المسلمين؛ إذ ضربت الفوضى أطنابها، وألقى كلٌّ واحد حبله على غاربه، وخُيِّل إلى الجاهلين بالشريعة أنها عقبة كؤود في سبيل الرقي والتجدد والسعادة، كما رسخ في أذهان كثيرٍ من أبنائها أنها غير وافية بمقتضيات هذا الزمان، لعدم وقوفهم على قواعدها العامة الواسعة الشاملة؛ لأن هؤلاء الجامدين حالوا بتكاثف جمودهم، وتبلُّد غبواتهم بينها وبين من يريد اقتباس أنوارها والاستضاءة بأشعتها، واقتطاف ثمرها واستنشاق أريج نورها)[2].

(١) الإسلام بين جهل أبنائه وعجز علمائه، ص٢٧.

(٢) معوقات تطبيق الشريعة الإسلامية، ص٧١ – ٧٢.

القسم الثاني: المعوقات المادية والواقعية:

أولاً: الاستعمار السياسي والاقتصادي:

المقصود بالاستعمار السياسي، هو: تحكُّم الدول الغربية العظمى في النظم السياسية للبلاد الإسلامية بُغيَة السيطرة على القرارات السيادية والسياسية فيها في مجالات الأمن الداخلي والنظام القانوني والتشريعي والسياسة الخارجية.

أما الاستعمار الاقتصادي فيقصد به: تحكُّم الدول العظمى في مصادر ثروات البلاد الإسلامية ومواردها الطبيعية، واحتكار المواد الخام، والسيطرة على أسواق المال والذهب بها، على نحو يحرم هذه البلاد من استغلال مواردها الطبيعية والمواد الخام بها ويجعلها في عداد الدول الاستهلاكية التي تعتمد في اقتصادها على غيرها من الدول: إما لما تصدِّره لها من سلع ومنتجات، أو لما تمنحه لها من قروض وما تقدِّمه من مساعدات مالية أو عينية.

وهذا الاستعمار هو في حقيقته احتلالٌ غير مباشر للبلاد، لجأت إليه الدول الغربية بعد أن تكبدت خسائر فادحة في الأموال والأرواح في حروبها وأثناء استعمارها للبلاد الإسلامية والإفريقية؛ بحيث تُحكِم سيطرتها السياسية والاقتصادية على هذه البلاد وتحول بينها وبين تقرير مصيرها بإرادتها الحرة بطريقة لا تثير ثورات الشعوب أو استنكار الرأي العام العالمي.

وللدول الغربية عدة وسائل في تحقيق هذا الاستعمار، منها: دعم النظم السياسية التسلطية المتجبرة، وعقد الاتفاقيات غير المتكافئة، ومنح القروض والمساعدات المالية المشروطة، وتقديم المنح العينية كالآلات والمصنوعات والمركبات والمعدات الحربية دون قطع غيارها، وتقديم التسهيلات اللازمة لتصدير منتجاتها لغيرها من البلاد، ووضع العراقيل والعقبات لاستيراد منتجات هذه البلاد، وإعارة الخبراء والمتخصصين وتقديم المساعدات الفنية المشروطة، والمساهمة في تنفيذ المشروعات الاقتصادية طويلة المدى، والحصول على القواعد العسكرية البرية والبحرية والجوية، وإنشاء البنوك الربوية، والسيطرة على أسواق المال (البورصات) وأسواق الذهب، وإثارة الاضطرابات الداخلية والانقسامات الطائفية والحزبية، وغير ذلك.

ثانياً: توجهات الحُكام وتسلطهم:

فأكثر الحُكام في البلاد الإسلامية يرفضون فكرة تطبيق الشريعة الإسلامية: إما لأنهم ينتهجون سياسة فصل الدين عن الدول، وإما لأنهم يخافون من أن يؤدي تطبيق الشريعة إلى تأخُّرهم وتخلُّفهم، أو يجُرُّ عليهم النزاعات الداخلية وغضب الدول الغربية، أو يثير الفتن الطائفية والرأي العام الغربي قِبَلهم؛ فهم بين علمانية محضة أو تخوفات متوهمة.

ثالثاً: أُمية المناهج الدراسية الدينية:

لا شك أن المناهج التعليمية النظامية في كثير من البلاد الإسلامية أدت إلى مسخ هوية الطلبة والدارسين الإسلامية والعربية، بل وتعطيل مُكنَاتهم، وقتل مواهبهم، وإعلاء شأن اللاعبين والفاسدين منهم، واعتبار كلِّ متمسك بدينه متخلفاً رجعيّاً، فسُميت الأشياء بغير أسمائها، ووصفت بعكس أوصافها، حتى أنكر الصالحون أنفسَهم، وانكسرتْ قلوبهم، وماتتْ هممهم نحو الإصلاح.

وإذا كان تطبيق الشريعة قد بات أمراً ملحّاً، فتطوير المناهج التعليمية وتحديث الجوانب الدينية فيها - لا سيما بإبراز محاسن الشريعة وأوجه الإعجاز فيها في جميع المجالات - هو أمرٌ لازمٌ لتهيئة المناخ نحو تطبيق الشريعة، وذلك لسببين:

أولاً: إعادة تهيئة المجتمع وتوجيهه نحو تقبُّل الشريعة قانوناً يُتحاكم إليه وبه، بل نحو مطالبته بتطبيقها، وتمسكه باستمرارها إذا ما أُذن لها أن تُطبَّق.

ثانياً: إعداد جيل يستطيع النهوض بمهمة تطبيق الشريعة إذا ما تم تعليمه وتثقيفه وإعداده على نحو يملك معه مقومات الاجتهاد ليعود بهذه الأمة إلى عصر الاجتهاد الفقهي الذي نحن في أشد الحاجة إليه في العصر الحاضر لمواجهة النوازل والمستحدثات.

وهذا التطوير والتحديث يجب أن يكون شاملاً لجميع المراحل التعليمية وَفْق ما تتطلبه كل مرحلة وتستلزمه، ويجب أن تُولِي الكليات الحقوقية ومراكز الدراسات القضائية تدريس الشريعة الإسلامية اهتماماً فائقاً وعناية كبيرة بالقدر الذي يتناسب مع كونها المصدر الرئيسي للتشريع.

رابعاً: تخلُّف المسلمين في العلوم التطبيقية:

إن أميَّة المسلمين المتفشية في الحقيقة لا تتعلق بالجوانب الدينية فحسب؛ بل إنها في مجالات العلوم التطبيقية والصناعية والتقنيات الحديثة أعظم وأكبر، وهو ما جعل الأمة الإسلامية في شأن هذه العلوم في ذيل أمم الأرض حتى نُعتَت البلاد الإسلامية بالمتخلفة والنامية والمتأخرة ودول العالم الثالث إلى غير ذلك.

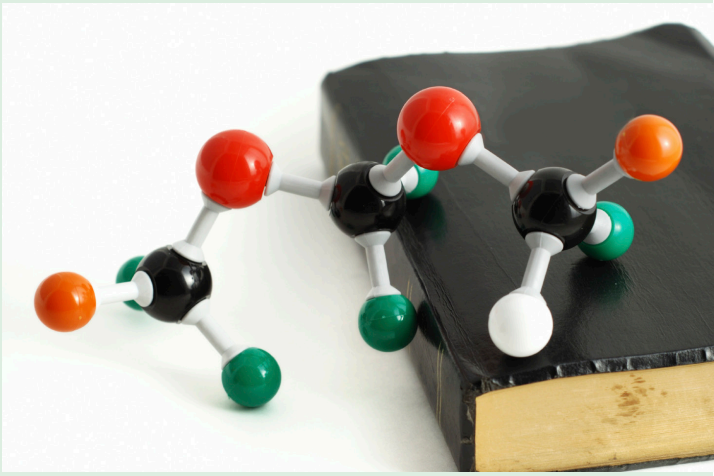

وقد دفع تخلُّف هذه البلاد عن الدول الشرقية والغربية غير الإسلامية كثيراً من الناس إلى عزو ذلك إلى جمود تفكيرهم والشريعة التي يعتنقونها، وهو عزو خاطئ بلا ريب وإن كان واقعاً؛ فإن تخلُّف المسلمين وإن كان قد بات حقيقةً لا جدال فيها، لكنَّ سببه الحقيقي هو بُعْد المسلمين عن دينهم وعدم تمسكهم بشريعتهم، ومحاولتُهم تقليد الغربيين، بالرغم من اختلاف مقومات الفريقين ومبادئهما وقيمهما، وهو ما ينعكس بالضرورة على أساليب الحياة والمعيشة ويجعلها متباينة بالضرورة؛ فلا هم لحقوا بحضارة المسلمين الضائعة ولا هم لحقوا بركب تقدم الغرب.

خامساً: سيطرة العَلمانيين على الوسائل الإعلامية:

العَلمانية هي أشد الأخطار الداخلية التي تواجه المسلمين في الوقت الحالي، وخطورة العَلمانيين لا تتعلق بشُبَهِهم التي يبثونها بقدر ما تتعلق بسيطرتهم على الأجهزة الإعلامية، وارتدائهم ثوب العلم والثقافة من خلال ما يتمتعون به من وظائف مرموقة مؤثِّرة في المجتمع. فمن خلال هاتين الوسيلتين استطاعوا محاربة الشريعة وبثَّ شُبَهِهم التي هي من الضعف بمكان يمكن معه دحضها بسهولة وبلا تكلُّف[1]. لكن الذي حال دون ذلك هو سيطرة العَلمانيين على الوسائل الإعلامية؛ بحيث لا يمكن لغيرهم الرد عليهم ودحض شبههم إلا بصعوبة بالغة. فلا سبيل إذاً للوصول لتطبيق الشريعة الإسلامية وتهيئة المناخ العام لتقبُّلها إلا بتطهير وسائل الإعلام - سواء المرئية أو المسموعة أو المقروءة - ممن لا يريدون للشريعة أن تسود وتحكم، أو إيجاد وسائل بديلة مضادة لدفع ضغطهم ودحض شُبَهِهم.

(١) من أهم الكتب التي عنيت بدفع الشبه المثارة حول تطبيق الشريعة:
١ - (تحكيم الشريعة ودعاوى الخصوم) للدكتور صلاح الصاوي.
٢ - (معوقات تطبيق الشريعة الإسلامية) للدكتور عمر سليمان الأشقر، رحمه الله.
٣ - (الإسلام بين جهل أبنائه وعجز علمائه) للأستاذ عبد القادر عودة، رحمه الله.
٤ - (أسباب الحكم بغير ما أنزل الله) للدكتور صالح السدلان.

سادساً: تعدد الأحزاب السياسية وتشعُّب توجهاتها:

الحزب السياسي: هو وسيلة يتخذها القائمون عليه ذريعةً لانتزاع السلطة بُغيَة تنفيذ السياسات التي أنشؤوه من أجلها. وخطورة قضية (الأحزاب السياسية) تظهر في حال تعدُّدها وضعفها؛ فتعدُّد الأحزاب الضعيفة يعني بالضرورة تعدُّدَ السياسات والبرامج وتشعُّب توجهاتها، وهو ما يستتبع - في الغالب - الأعم الاختلاف والتناحر والتمزُّق؛ فإنه لا تكاد توجد قضية واحدة تتفق عليها عدة أحزاب، وإذا وُجدَت هذه القضية فمن المؤكد أن هذه الأحزاب لن تتفق على تفصيلاتها والجوانب المتعلقة بمعالجتها في الواقع العملي، وقد انعكس هذا على قضية تطبيق الشريعة؛ إذ عملت كثير من الأحزاب السياسية على اتخاذ هذه القضية مطيةً لجمع المؤيدين وتحقيق أهدافها السياسية بالوصول إلى سُدَّة الحكم، تارةً برفضها وتارةً بوضع خطط منهجية لقبولها تؤدي في النهاية - حتماً - لعدم تطبيق الشريعة.

سابعاً: الدعوة الخاطئة إلى تطبيق أحكام الشريعة:

إن الطريقة الخاطئة التي يمارسها بعض الدعاة في دعوتهم للناس إلى تطبيق أحكام الشرع من أهم معوقات تطبيق الشريعة؛ حيث يختزل بعض الدعاة قضية تطبيق الشريعة عند عرضها في جانب العقوبات وإقامة الحدود، دون التعرض لغير ذلك من المسائل المدنية ومسائل الأحوال الشخصية والأمور التكافلية الاجتماعية والنُّظم السياسية والقضائية، فإن الشريعة تمثل منهجاً شاملاً متكاملاً لحياة الأفراد ونظم الدولة في كل جوانبها وفي كل صورها وأشكالها.

هذا فضلاً عن أن البعض حين يعرض لقضية العقوبات الشرعية وإقامة الحدود يقتصر على الدعوة لتطبيقها بأسلوب سطحي دون بيان حكمتها ومحامدها، والخوض في دواعيها وأسبابها وأغراضها وأهميتها في حياة الأفراد، وغير ذلك من جوانب تفصيلية تتعلق بها مما ينبغي إبرازه وبيانه مع أصل القضية.

إننا اليوم في حاجة ماسة لعقد المقارنات بين الشريعة الإلهية والقوانين الوضعية في أتقن صورها وأحدث أشكالها - ولا وجه للمقارنة أصلاً - كي نبين للناس مدى جلالة الشريعة وإعجازها وتفرُّدها. يقول الأستاذ عبد القادر عودة - رحمه الله -: (وحين أقارن بين الشريعة والقوانين الوضعية لن أتتبع القانون في أطواره

الأُولَـــى بالمقارنة والموازنة، ولن أقارن بين القانون في القرن السابع الميلادي وبين الشريعة التي أنزلت على محمـــد ﷺ في أول هذا القرن، فإن القانون في هذه العهود لم يكن في مستوى يسمح له أن يقارن بالشريعة الإســـلامية، ولكني أقارن حين أقارن بين القانون في عصرنا الحاضر وبين الشريعة، وحين أفعل هذا إنما أقارن بين قانون متغيِّر متطور يسير حثيثاً نحو الكمال حتى يكاد يبلغه كما يقال، وبين شريعة نزلت من ثلاثة عشر قرناً لم تتغير ولم تتبدل في ما مضى، ولن تتغير أو تتبدل في المســـتقبل، شريعةٍ تأبى طبيعتها التغيير والتبديل؛ لأنها من عند الله، ولا تبديل لكلمات الله ولا لأيٍّ من صنع الله الذي أتقن كل شيء خلقه، فليس ما يخلقـــه في حاجة إلى إتقان من بعد خلقه، فنحن إذن حين نقارن إنما نقارن بـــين أحدث الآراء والنظريات في القانون وبين أقدمها في الشـــريعة، أو نحن نقارن بين الحديـــث القابل للتغيير والتبديـــل وبين القديم المســـتعصي على التغيير والتبديل، وســـنرى ونلمس من هذه المقارنـــة أن القديم الثابت خير من الحديث المتغير، وأن الشـــريعة على قِدَمها أجلُّ من أن تقارن بالقوانين الوضعية الحديثـــة، وأن القوانين الوضعية بالرغـــم مما انطوت عليه من الآراء واســـتُحدث لها من المبادئ والنظريات لا تزال في مســـتوى أدنى من مستوى الشريعة، وَلْيَعجَب من شاء كما يشاء من هذا القول؛ فإن الحق في هـــذه الأيام أصبح غير مألوف بحيث يَعجَب منه أكثر الناس، ولكن العجب لن يستبد بمـــن كان له عقل يُفكر ويُقـــدر ويُقارن ويُوازن ويُميز الخبيث من الطيب)[1].

فهذه هي العقبات الحقيقية أمام تطبيق الشريعة الإســـلامية، التي يجب العمل على إزالتها وتذليلها حتى يمكن للناس تقبُّل تطبيق الشـــريعة والاستجابة لأحكامها.

وهنـــاك معوقات أخرى متوهَّمة لا أصل لها في الواقع، يحاول بعض المســـوِّفين الترويج لها لتعطيل تطبيق الشريعة، وأهم هذه المعوقات المتوهمة:

العجز عن تفعيل أحكام الشريعة:

حيث يزعم بعضهم أن أحكام الشـــريعة منثورة في بطون أمهات الكتب، وأنها كثيرة متشعبة تستعصي على الجمع والتقنين، ولا سبيل لتطبيق الشـــريعة من دون تشكيل اللجان وعقد المؤتمرات والندوات ووضع الأبحاث والدراســـات والمشـــروعات لتقنين أحكام الفقه في المجالات القانونية المختلفة، وهو ما يســـتغرق وقتاً طويلاً ربما يصل لعدة سنوات.

وهـــذه الدعوى لا يُراد بهـــا إلا تضييع الوقـــت وتمييع قضية تطبيق الشريعة، فمشـــروعات تقنين الشريعة مُعدَّة بالفعل في عدة مجالات ووَفْق مختلف المذاهب[2]؛ سواء التي أعدها (مجمع البحوث الإسلامي)، أو لجان (مجلس الشـــعب المصري)، أو لجان (محكمة النقض المصرية)، أو حتى لجـــان (جامعة الدول العربية)، وإذا كان مـــن نقص في مجال مَّا من المجالات القانونية، فليس هناك ما يمنع من تفعيل المشـــروعات المُعدَّة بالفعل لحين الانتهاء من مشـــروعات أخـــرى وتنقيح القوانين الوضعية المعمول بهـــا، كما يتم الآن الأخذ بأحكام الشريعة في كثير من مسائل الأحوال الشخصية دون غيرها من المجالات القانونية.

إن الرجوع إلى التشـــريع الإسلامي قد بات ضرورةً قصوى حتى لا تكـــون ثمة فجوة بين طبيعة واقع الأفـــراد الاجتماعي وبين القوانين التـــي تحكمهم، فلا ريـــب أن القانون ينبغي أن يعكـــس بصدق أحوال المجتمـــع المادية والفكرية، وأن يحقـــق متطلباته وآمالـــه. وإذا كانت التقنينات الوضعية قـــد أصَّلت لمناهجها وَفْقاً للقواعد والنظريات التي درج شُـــرَّاح القوانين على إدراجها في القســـم العـــام منها، فإن الفقه الإســـلامي أيضاً قد ســـبق إلى كثيرٍ من هذه النظريات والقواعد على أساس أحكام القرآن الكريم أو السُّنة المطهرة أو الاجتهاد الفقهي؛ سواء من حيث نطاقُ التشريع وتطبيقُه من حيث الزمانُ والمكانُ، وكذلك أركان الجرائم وإثباتها وشروط المســـؤولية الجنائية والاشتراك في الجريمة وأســـباب الإباحة وتنفيذ العقوبات وأسباب وَقْفها، بما يُعَد في الحقيقة ســـبقاً علمياً لعلماء المسلمين منذ قرون في مجال التشريعين (الجنائي والعقابي)، والحقُّ أنه لا مجال للمقارنة بحال من الأحوال بين ما شـــرَّعَ الله العليم الحكيم، وما قنن البشر القاصرة عقولهم، المحدودة فهومهم، المشوبة بتســـلط الهوى والشـــهوة، لا مجال للمقارنة بين شرع سماوي ربانـــي محكم ثابت لا يتبدل ولا يتغير، وبين قانون وضعي بشـــري دائم التبديل والتعديل، ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠].

هذا والحمد لله وصلِّ اللهم وسلم على نبينا وآله وصحبه وسلم.

(١) التشريع الجنائي الإسلامي مقارناً بالقانون الوضعي: (٤/ ٦).

(٢) وقد ذكرت هذه المشروعات وفصلت فيها وفي مزايا وعيوب كل منها في كتابي (تطبيق الشريعة بين الواقع والمأمول)، طبعة دار السلام.

ثلاثة أيام في جهنم

فيصل بن علي الكاملي(*)
popedia@windowslive.com

من بين المعتقدات النصرانية الضاربة بجذورها في الوثنية زعْمُ الكنيسة أنه لما تراكمت خطايا بني آدم التي ورثوها عن أبيهم نتيجة أكله من الشجرة صار لزاماً أن توجد «أضحية» فريدة تكون كفارةً عن خطايا البشر. فكان موت «يسوع» المسيح (عيسى عليه السلام) على الصليب. لكنه بعد موته نزل إلى «جهنَّم»، وحَرر المأسورين فيها، وقهر الموت، وقام في اليوم الثالث.

هذا الموروث الوثني لا يختلف في جوهره عن عقائد الفراعنة والبابليين وغيرهم ممن آمنوا بأن «بعلاً» أو «حورس» أو «أدونيس» نزل إلى «العالم السفلي» لخلاص البشر؛ وقد سبق بيان هذا في غير هذا الموضع. لكن الذي يهمنا هنا سؤالان:

أولهما: ما حقيقة «جهنم» أو «الهاوية» التي نزل إليها «يسوعُ» النصارى؟

والآخر: هل استطاع بموته المزعوم تخليص البشر من خطاياهم؟

يعتقد جلُّ النصارى أن عبارة «نزل إلى جهنم» في «عقيدة الرسل» The Apostles' Creed تعني أنه مات حقيقة وأنه قهر الموت[1]. والكلام على هذا من وجوه:

أولاً: أن الكلمة التي استعملتْها «عقيدةُ الرسل» – وهي المرجع الأصرح والأهم لهذه الزندقة – لوصف «جهنم» هي (inferos) في اللاتينية و (katotata) في اليونانية؛ وتعني «السُّفْل» أو «العالم السفلي»، وهو بزعمهم العالم الذي يُحبَس فيه الموتى أو أرواحهم ويُعذَّبون. ويشار إليه في نُسَخ الأناجيل المحرَّفة باسم (شِيئول) في السُريانية، و (هادِيس) في اليونانية. وقد تباينت تفاسير النصارى لهاتين المفردتين ما بين قائل: إنها «جهنم» وآخر يزعم أنها «القبر» وثالث يقول: إنها عالم «الأموات»، وسبب هذا الاختلاف هو أنها عقيدة دخيلة ذات أصل وثني لا سماوي ﴿يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ﴾ [التوبة: ٣٠].

ثانياً: ينكر بعض النصارى عقيدة نزول «يسوع» إلى العالم السفلي تحرُّزاً من التباس عقائد النصارى بعقائد الأمم الوثنية الهالكة. لكننا عند البحث في نصوص العهد الجديد نجد التطابق جلياً؛ ففي رسالة بولس الأُولَى إلى أهل كورنثوس نجد «أن المسيح مات من أجل خطايانا حسب الكتب؛ وأنه دُفن وأنه قام في اليوم الثالث حسب الكتب» [١ كورنثوس ١٥: ٣، ٤]. وهو صريح في موته وأنه غاب ثلاثة أيام قبل قيامته من الأموات كما حصل لآلهة الوثنيين. وعلى الرغم من أن رسالة بُطرس الأولى ٣: ١٩ تسمي هذا العالم السفلي «سجناً» (phulake في اليونانية)، إلا أن الأصل السرياني يطَّرد في استعمال الكلمة «شيئول» التي تعني «الهاوية» أو «جهنم» أو «العالم السفلي».

(*) باحث سعودي متخصص في دراسة الأديان – يعمل في مركز الدراسات والبحوث التابع لمجلة البيان.

(1) http://www.vatican.va/archive/ccc_css/archive/catechism/p122a5p1.htm

ثالثاً: عند دراسة نصوص العهدين يتبيَّن أن نزول «يسوع» إلى جهنم لم يكن نزول طائع مُريدٍ، بل كان نزول مُكرَهٍ؛ فقد قُيِّد بالحبال في باطن جهنم وعانى معاناة المجرمين، كما حصل لبعل وغيره من آلهة الوثنيين، ثم أقامه الرب من الأموات. نقرأ في ترجمة «فان دايك» العربية لسفر أعمال الرسل ٢: ٢٤ «الذي أقامه الله ناقضاً أوجاع الموت؛ إذ لم يكن مُمكِناً أن يُمسَك منه».

قوله: «ناقضاً أوجاع الموت» ترجمة خاطئة لاعتمادها على ترجمة يونانية غير دقيقة. أما الأصل السرياني فيخبرنا أن الرب الذي أقامه «شرا حبليه د - شيئول» أي «حَلَّ عنه حِبَال شيئول [جهنم]». فـ «حبلي» هنا تعني «حِبال» وليس «أوجاع». يشهد لصحة ذلك ما ورد في النص العبري من المزمور ١٨: ٣ «حِبلي شيئول سبَابُوني...» ومعناه: «حِبال شيئول التفَّت حولي»؛ يؤيده تتمة الفقرة «وأَشراكُ [جمعُ شَرَك] الموت انتشبت بي» وهو ما ذهبت إليه أغلب الترجمات الإنجليزية.

فنحن إذن أمام تصوير وثني مقيت للمسيح - عليه السلام - نازلاً إلى باطن جهنم مُكرَهاً ليعاني ما عاناه آلهة البابليين والفراعنة والإغريق من الغم وشدة الوثاق، ثم يُحَل وَثاقه ليقوم في اليوم الثالث. ولو لم يكن لدى النصارى من الاعتقاد في عيسى - عليه السلام - سوى هذا لكفى به دليلاً على بشريته وأنه لم يكن إلهاً. فالرب هو الذي أقامه من الأموات - كما يشير سفر أعمال الرسل أعلاه - وهو الذي حَلَّ عنه حبال جهنم فلم يكن من الغابرين.

والدليل على صحة هذه القراءة ما ورد في سفر أعمال الرسل ٢: ٣١ أن داود - عليه السلام - «تكلم عن قيامة المسيح [قائلاً]: إنه لم تُترك نفسُه في الهاوية، ولا رأى جسدُه فساداً». وهذا مما يستدل به النصارى على قيامة المسيح من بين الموات. هنا يطَّرد الأصل السرياني في استعمال كلمة «شيئول» لوصف الهاوية. أما النص اليوناني فيستعمل لفظة «هاديس»، وهي الكلمة التي تستعملها الأساطير اليونانية (الإغريقية) للإشارة إلى العالم السفلي. فثبت أن المقصود بالعالم السفلي في كل السياقات أعلاه ليس القبر ولا السجن؛ وإنما هو المكان الذي يعذَّب فيه الخطاة كما عند قدماء الإغريق ومن على شاكلتهم.

تجدر الإشارة هنا إلى أن الفعل «تُترك» مبني للمجهول في كل النسخ والترجمات المعتمدة، وهو دليل على أن خلاص «يسوع» لم يكن من تلقاء نفسه، بل ربُّه هو الذي فكَّ أسره وأنقذه من الموت ثم بَعث جسده ثانية قبل أن يفسد كما تفسد أجساد الموتى؛ فهو لم يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً؛ فكيف يقال بأنه قهر الموت، وحرر السجناء في العالم السفلي، وهو ما استطاع أن يخلص نفسه؟

كما يشهد لعجزه أمام خالقه ما اقتبسه «لوقا» من سفر المزامير زاعماً أنه يتحدث عن قيامة المسيح عليه السلام. يقول نص المزامير: «احفظني يا الله لأني عليك توكلت! قلت للرب: أنت سيدي خيري، لا شيء غيرك... جعلت الربَّ أمامي في كل حين؛ لأنه عن يميني فلا أتزعزع... لذلك فرح قلبي وابتهجت روحي. جسدي أيضاً يسكن مطمئناً... لأنك لن تترك نفسي في الهاوية. لن تدع تقيَّك يرى فساداً» [المزامير ١٦: ١ - ١٠].

فنَقول لـ «لوقا» ومن ذهب مذهبه من النصارى: إما أن يكون الحديث هنا عن «يسوع» المسيح كما تزعمون، وإما أن يكون عن غيره.

فإن سلَّمنا لكم جدلاً أن الحديث عنه لزمكم أن تسلِّموا بأنه كما قال: «لن تترك نفسي في الهاوية» قال: «احفظني يا الله لأني عليك توكلت!... أنت سيدي خيري، لا شيء غيرك... جعلتُ الرب أمامي في كل حين. لأنه عن يميني فلا أتزعزع». وهو كلام عبد مؤمن خاضع لربه خاشع ليس له في الألوهية نصيب؛ بل إن سياق الكلام يؤكد عجْز المسيح عن خلاص نفسه؛ فكيف بخلاص غيره؟

ثم يقال لهم: إن الترجمة الصحيحة للنص العبراني الذي هو عمدتكم هي: «لن تتركَ نفسي لِشيئول، ولن تدع تَقيَّك يرى الهاوية». وفيها دليل قاطع على أن المسيح - عليه السلام - لم يرَ الهاوية بعينه فضلاً عن أن يُلقى فيها. وبهذا يتبين تلاعب المترجمين الذين اعتمدوا النسخة السبعونية اليونانية هنا هرباً من التناقض، حتى يستقيم لهم اقتباس «لوقا» في سفر أعمال الرسل!

وإن قلتم بأن الكلام غير متعلق بالمسيح أصلاً بطل استدلالكم به وتبين افتراء «لوقا» وكذبه. فعلى الحالين كليهما ليس في كتب الأنبياء ما يشير إلى موت المسيح - عليه السلام - تكفيراً عن خطايا البشر، ولا نزوله إلى باطن الأرض؛ لكنها عقيدة ثابتة عند النصارى ورثوها عن الوثنيين. والحق كل الحق في ما ورد في كتاب الله - عز وجل - من أن اليهود لم يقتلوا المسيح - عليه السلام - ولم يصلبوه ﴿ بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾. [النساء: ١٥٨]

نظرات وتوجيهات

في تنمية الموارد المالية للمؤسسات الخيرية

د. عمر إبراهيم عكاشة(*)

تمثِّل الموارد المالية في الظاهر عصب الحياة للمؤسسات الخيرية التي تعتمد على التبرعات من كافة شرائح المجتمع لتمويل وتنفيذ برامجها، ويظن بعض من الناس أن الموارد المالية هي الشريان الأوحد لرفد المؤسسة بالدعم. والحق أن هذا منافٍ للحقيقة؛ لوجود عوامل متعددة وظواهر مختلفة تتعدى مجرد الدعم المالي للمؤسسة لتحقيق الأهداف وتنفيذ المشاريع.

(*) خبير بالتطوير وتنمية الموارد الخيرية.

ومن هذه العوامل:

أولاً: السمعة الحسنة، وهي الأخلاق ونُبْل الرسالة:

1

لا بد من الحرص كل الحرص على تقديم الصورة الحسنة المشرقة، والالتزام بالمصداقية والشفافية العالية في التعامل مع الشريحة المستهدَفة، الذين يطلَق عليهم مصطلح (المعنيون – Stakeholders): وهم الجهات أو الأشخاص الذين يتأثرون أو يؤثرون في برامج ومشاريع وأهداف المؤسسة، وهم أول من يؤخذ بعين الاعتبار في عملية التخطيط الإستراتيجي للمؤسسة. إنَّ غالبية هؤلاء المعنيين يَنظُرون إلى أفراد وممثلي المؤسسة الخيرية نظرة تتسم بالسمو؛ وذلك لسمُوِّ الرسالة ونُبْل الغاية التي يحملونها. وعلى هذا فإنه يجب أخذ زمام المبادرة من قِبَل كافة المسؤولين ابتداءً، والموظفين بالعموم، للارتقاء الثقافي والأخلاقي والاجتماعي لتكوين الصورة المشرقة والمناسبة التي تعكس عِظَم الرسالة ونُبْل الهدف.

ثانياً: التطوّر:

2

إن التطوُّر في غالب الأحايين يحمل بذور البقاء والاستمرارية داخل رحم المؤسسة الفاعلة؛ ففي الوقت الذي تعيش فيه البشرية كمّاً هائلاً من التسارع في كافة مجالات الحياة والتغييرات المتعددة، وما تشهده الأمة من تصاعد وتيرة الأحداث وضياع الحقوق وتكالب النكبات؛ فإن الأمر يوجب الأخذَ بزمام المبادرة والتطلعَ إلى إحداث نقلة نوعية في طريقة النظر إلى الأمور وطريقة تحقيق الأهداف وتقديم المشاريع للمعنيين بها.

هذا الأمر يستوجب التطوير المستمر والدائم، ورسم تصورات متعددة لتجنُّب أيَّ إخفاقات إدارية كانت أو مهنية أو بيئية، كما أنه يمنح الفرصة لتقديم الحلول المناسبة وقت الحاجة الماسة إليها.

ثالثاً: التخطيط:

3

تحظى باحترام كبير تلك المؤسسة صاحبة الرسالة الهادفة والشعار المميز. وإنَّ أكثر ما يهم المتبرع هو أن يعرف أين وكيف تُستخدَم أمواله. ومن هذا الباب يتوجب على المؤسسة الخيرية أن تضع لها خططاً واضحة المعالم تأخذ بعين الاعتبار رغبات المعنيين بأهدافها وتطلعاتها، وترسم الخطط الحقيقية الواعية المبنية على الواقع لا الخيال.

ولا يكفي أن نقدِّم للجمهور والمعنيين خططاً وطرقاً للتنفيذ؛ بل يجب أن يتقيد أيضاً مندوبو المؤسسة بخطط واضحة المعالم في التعامل مع المتبرعين.

ويتوجب على حامل رسالة المؤسسة أن يتخطى حدود العفوية والرتابة بأسلوب علمي متزن يتواكب وطبيعةَ الرسالة والقيم الأساسية التي تحملها المؤسسة التي لا تتغير أبداً.

إن هذا المندوب الذي يمثِّل المؤسسة بقيمها ورسالتها ورؤيتها ومشاريعها وخططها في شخصه أمام المتبرع، يتحمَّل تبعة كبيرةً وهمّاً مؤرِّقاً لا يدركه سوى من عاش وتعايش في غمار هذه التجربة الفريدة. ولهذا يتوجب على المندوب أن يتقدم للناس بأسلوب يتصف بالنموذج المتميز والأسلوب الراقي في التعامل والتواصل والتخاطب، وهذه الصفات لا يمكن أن تتأتَّى لأحد بدون وعي دقيق وفهم وتخطيط.

إنَّ من الحكمة أن تبدأ بنفسك؛ ففاقد الشيء لا يعطيه، والحكيم قال: «لا يمكنك عبور البحر بمجرد الوقوف والتحديق بالماء».

رابعاً: تجنَّب التجريح أو المغالاة:

4

تعجُّ الساحة اليوم بكثير من الجمعيات الخيرية متعددة الأهداف والوسائل، ولكلٍّ منها منهج وجمهور؛ فاحذر أن تنزلق قدمك في متاهات التفاضل والتقديم والتأخير بين هذه الجمعيات؛ فلربما سُئلتَ عن إحداها من محسن أراد به بالونَ اختبار، فتأخذ بك الحمية بزمام الإبرة لينفجر البالون، فتخسر موقفاً أنت في غنىً عنه؛ فإياك إياك والتسرُّع والانجرار!

إن الناس بالعموم لهم اتجاهات وميول قد لا تتكشف لك من المرة الأولى، وتحتاج إلى أن تنقِّب وتتفرس فيها جيداً، فلا تترك لعاطفتك المهنية العنان فتجرَّك إلى صراعات جانبية؛ فإن المِراء لا يأتي بخير.

خامساً: المثابرة والعثرات طريق النجاح:

5

كثيراً ما يصطدم واقع المندوب بصدٍّ وتجهُّم بسبب طبيعة عمله ودخوله على شرائح متعددة من الناس.

تأكَّد أن الإيجابية تخرج من رحم السلبية إذا فهمنا واستغلينا ذلك، كيف؟

يقول أديسون (مخترع المصباح الكهربائي): أجريت أكثر من ٩٩٩ تجربة لاختراع مصباح. وعند التجربة رقم ١٠٠٠ نجحت، ولكنني استفدت أن هناك ٩٩٩ طريقة غير مجدية لاختراع المصباح فتجنبتها.

إنَّ الله – تعالى – خلق لنا رجلين: يسرى، وأخرى يمنى؛ كي نسير مرة يَمنةً ومرة يَسرةً؛ فليس قَدَراً علينا أن نسير دوماً باتجاه مستقيم. علينا أن نبحث دوماً في كافة الاتجاهات (المستوية شرعاً) كي نصل إلى هدفنا. إن النجاح ليس ثمرة يانعة تقطفها بمجرد التمني، وقد قيل: لن تبلغ المجد حتى تلعق الصَّبِرَ.

إنَّ أنجح الناس هم أكثرهم استفادة من وقوعهم في الأخطاء، وليس كما يعتقد بعضهم أنهم أكثر الناس تجنُّباً للأخطاء.

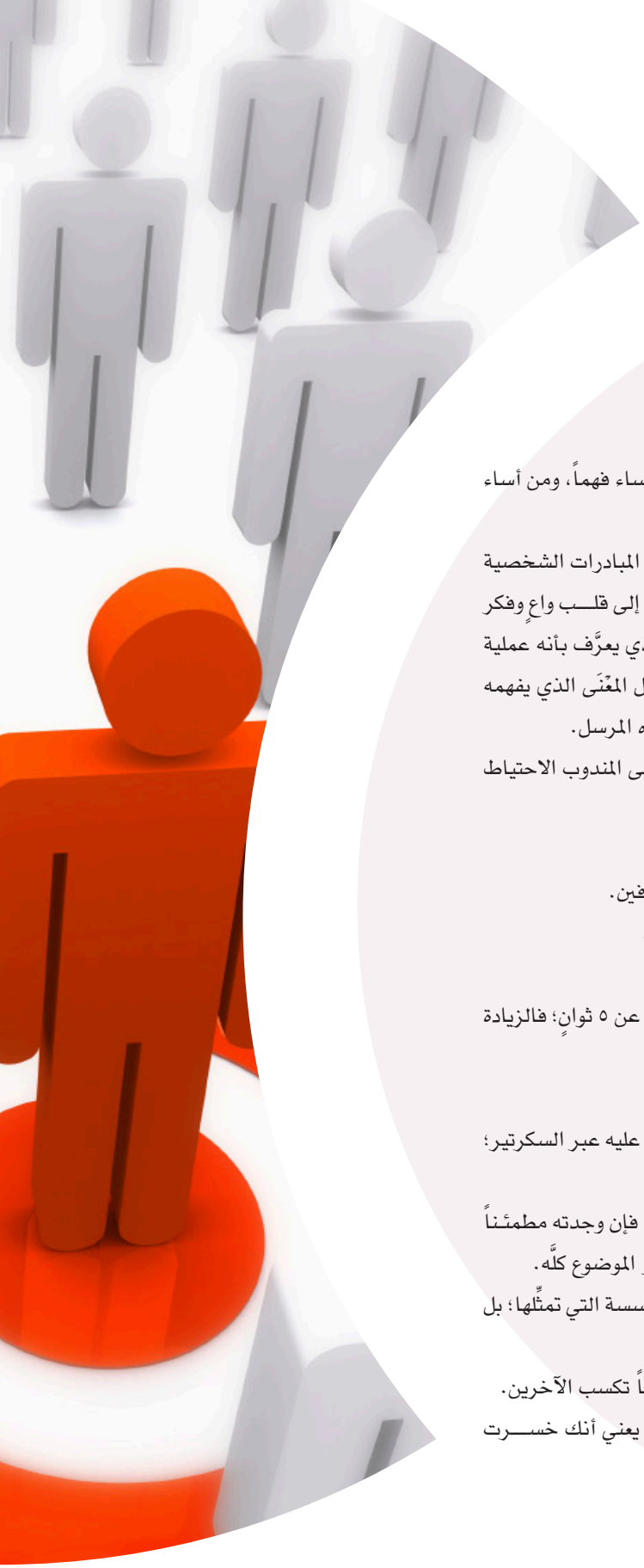

سادساً: الاتصال الفعَّال:

أنصِت جيداً تفهم المطلوب؛ فمن أساء سمعاً أساء فهماً، ومن أساء فهماً أساء عملاً:

تتطلب عملية التسويق الخيري مجموعة من المبادرات الشخصية تتدرج ضمن ما يسمى بذاتية التعلُّم؛ فتحتاج إلى قلب واعٍ وفكر منفتح. والاتصال الفعَّال أحد أركانها، وهو الذي يعرَّف بأنه عملية نقل المعلومات من شخص إلى آخر بطريقة تجعل المعْنَى الذي يفهمه المستقبِل مطابقاً إلى حدٍّ بعيد للمعنى الذي قصده المرسل.

ولتجنُّب أخطاء الاتصال الفاشل يتحتم على المندوب الاحتياط للأساليب المهمة التالية:

١. الإنصات الجيد.
٢. الاستماع أكثر من الكلام يولِّد الثقة بين الطرفين.
٣. استلام دفة الحوار يعني إمكانية طلب التبرُّع.
٤. عدم التطرق إلى مواضيع خلافية أو جانبية.
٥. انظر مباشرة لعيني المحسن ولا تزد ذلك عن ٥ ثوانٍ؛ فالزيادة على ذلك تولِّد اضطراباً لدى المحسن.
٦. تجنَّب إجالة النظر داخل مكتب المحسن.
٧. حاول التعرُّف على أحوال المحسن قبل الدخول عليه عبر السكرتير؛ فهو مفتاح فعَّال.
٨. راقب حركات المحسن خلال الحديث معه؛ فإن وجدته مطمئناً ومقتنعاً فأكمل، وإلا فغيِّر طريقة الحديث أو الموضوع كلَّه.
٩. لا تكثر من الثناء المفرط على المحسن أو المؤسسة التي تمثِّلها؛ بل ارفق بنفسك وتجنَّب المغالاة أو التجريح.
١٠. تعلَّم ذِكر محاسن الناس، وكن متفائلاً وإيجابياً تكسب الآخرين.

وتذكَّر أنك إذا فشلت في الاتصال فإن هذا يعني أنك خسرت محسناً وتبرُّعاً.

سابعاً: تعلم مهارات القيادة:

هناك مجموعة أنماط قيادية تُحدَّد وَفْقاً لفلسفة القائد وشخصيته وخبرته ونوع التابعين، وأهم هذه الأنماط:

أولاً: القيادة الشورية: وهو الذي يعتمد - أساساً - على أهل الرأي والاختصاص في تسيير دفة عمله.

ثانياً: القيادة الدكتاتورية: وهو القائد الذي تتركز بيده السلطة، ويتخذ كافة القرارات بنفسه، ويمارس مبدأ التخويف، ويتحكم بشكل كامل بالجماعة التي يديرها.

ثالثاً: القيادة الديمقراطية: القائد هنا يمارس المشاركة والتعاون وتبادل الآراء مع الجماعة التي يعمل معها.

رابعاً: القيادة المتساهلة: وهي قيادة تتسم بالتسيب وانخفاض الأداء.

خامساً: القيادة غير الموجهة: وهي أن يترك القائد سلطة اتخاذ القرار للمرؤوسين ويصبح هو في حكم المستشار.

سادساً: أسلوب الخط المستمر في القيادة: وهذا النمط ينظر إلى القيادة باعتبارها سلسلة من النشاطات القيادية، ويسمح بمشاركة موسَّعة في اتخاذ القرارات غير المصيرية.

لماذا عليَّ أن أتعلَّم هذه المهارات؟

إنَّ حجم شرائح المجتمع التي يتردد عليها المندوب وطبيعتها تتكون في الأغلب من أصحاب رؤوس الأموال، ومن ثَمَّ فإن لكلٍّ من المندوبين شخصيته القيادية وأسلوبه في التعامل مع الآخرين وهي التي لن تخرج أبداً عمَّا ذكرناه آنفاً.

ومن هذا المنطلق ندرك أهمية معرفة أساليب القيادة. فإياك إياك أن تجرح الأسد في عرينه بسوء فهم أو سوء تصرُّف!

ثامناً: إدارة اللقاء:

كيف ترسم سياسة إدارة اللقاء مع المحسن في ست كلمات؟

ألهمني الله بالتفكير في قوله - تعالى -: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾ [النمل: ٦١] ما لم أكن قد قرأت فيه من قبل، أو توقعت أن تختزنه هذه الآية قليلة الكلمات عظيمة الشأن في الحكم والإدارة والسياسة، مما لم يخطر على بالي أبداً.

إن من طبيعة الوراثة في الحكم والسياسة أو الإدارة أن يقوم الوريث بإلقاء خطبة جامعة وشاملة يرسم فيها الخطوط العريضة لطريقة حكمه أو إدارته، ولن يفوته أن يذكُر ما يتحلَّى به من الصفات المتميزة عن سلفه على أقل تقدير؛ ليرسم في أذهان الجمهور صورة تقريبية لمنهجه وأسلوب تعامله.

فمما أذهلني في هذه الآية الكريمة، أنَّ سليمان - عليه السلام - حين ورث الملك عن أبيه، قام في الناس خطيباً مبشراً ومنذراً... كيف؟

لقد استهل خطبته بأنه عُلِّم منطق الطير؛ فجنوده ليسوا فقط من البشر، واستخباراته كذلك، وكفى بالهدهد مثلاً. وهذا من التحذير للمناوئين أو المعارضين. ومن ثَمَّ فهو تنويه وطمأنة للمحبين والمناصرين أنه يملك من الأمور كل شيء ﴿وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ [النمل: ٦١] . وانتهت الخطبة.

إنَّ على صاحب الرسالة الفعَّال - والمندوب واحد من هؤلاء - أن يقدم نفسه للآخرين في بضع كلمات، هو أحوج الناس إلى فهمها فهماً عميقاً ودقيقاً.

ولا بأس عليه ولا حرج في أن يكتبها في ورقة ويراجعها ويحفظها عن ظهر قلب إن لزم الأمر؛ كي لا يقع فريسة لأسئلة محرجة أو استفهامات غامضة. فمن الممكن أن تقابل محسناً متشككاً وصاحب عقلية انتقادية، ومن الوهلة الأولى يفاجئك بسؤال: من أنتم؟ وما رؤيتكم؟ وما طبيعة رسالتكم؟

إنَّ الأمر لا يحتاج أكثر من بضع كلمات تنجي المسؤول وتسعد السائل.

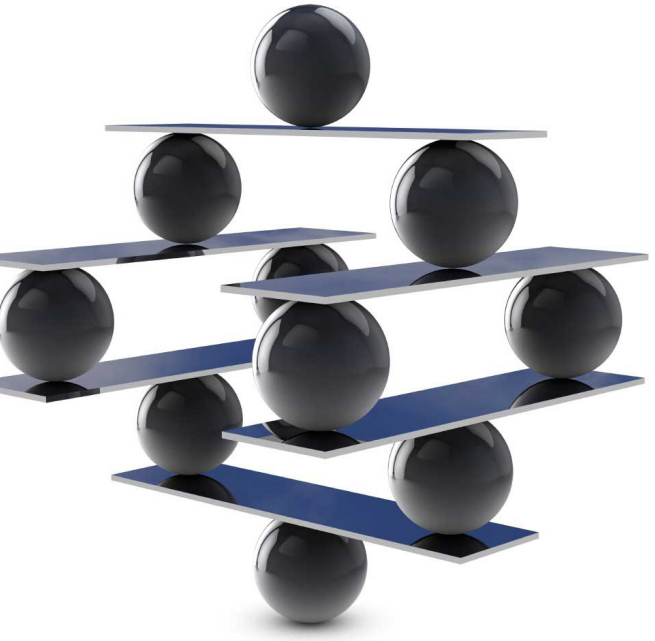

تاسعاً: أبدِعْ وستقتنع:

لمفهوم الإبداع رنَّة خاصة في الآذان ونسمة عليلة في الأذهان؛ تُسعِد القلبَ وتُفرِحه، وترضي النفس وتطمئنها.

وتَطرُّقُنا للإبداع هنا ليس بدعة ولا نافلة من القول؛ إنما هو دعامة مهمة ووسيلة من أقوى الوسائل لتحقيق الغايات وإنجاز المهمات.

ابتداءً: تذكَّر أنك تخلق الحالة التي تمليها عليك آلامك؛ فعندما تكون خائفاً تجد الأشياء حولك مخيفة، وعندما تكون مجروحاً فإنك لا ترى سوى المعاناة واليأس، وعندما تكون مظلوماً فإنك ترى المؤامرات والأعداء يتربصون بك في كل مكان، وعندما تشعر بالذنب فإنك تقبل الإحباط وتفقد الرغبة في التقدم. وخير دليل على قولنا هذا الشعراءُ والكتَّاب والخطباء والسياسيون.

إنَّ الإبداع يخرجك من إطار كهذا، ويحفزك دوماً للبحث بشكل متواصل والتفكير بطريقة غير مقيدة.

من صفات المبدع:

١. القدرة على النظر في الأمور من زوايا مختلفة.
٢. القدرة على رؤية التناقضات والنواقص في البيئة.
٣. لديه أكثر من حل للمشكلات.
٤. رؤية ما لا يراه الآخرون.
٥. يقدِّم أفكاراً قد يعتقد الآخرون أنها غير معقولة.
٦. يسأل كثيراً.
٧. بطيء في تحليل المعلومات، وسريع في الوصول إلى حل.
٨. يظفكر بشكل أفضل في فترات الهدوء والفراغ.

وفي الحقيقة لو أردنا أن نورد كافة الصفات لضاقت بنا الصفحات؛ وذلك أن الإبداع والتفكير الإبداعي لا حدود له ولا قيود؛ لأنه ببساطة إبداع، ولأن المندوب ركيزة أساسية ودعامة مهمة لا غنى عنه في العمل الخيري؛ فما الذي يقدمه الإبداع للمندوب خاصة؟

١. يُعِين المندوبَ على تجاوز الرتابة والروتين.
٢. يحفز للعمل والجد والاجتهاد.
٣. يمكِّنه من التعامل مع شرائح متعددة وأنماطٍ مختلفة من الناس؛ وذلك يسهِّل عليه عمله.
٤. يجنِّبه المواقف الحرجة والمنزلقات المتعددة.

أخيراً: تيقن أن الإبداع ليس حكراً على أحد؛ إنما هو حق لكل أحد.

دور الأخلاق
في تنمية عدد السكان

د. حامد محمد إدريس(*)

أما كان الأجدر بالدول الإسلامية أن تجعل من نفسها كتلة واحدة تستغني عن الأجانب المسيطرين حالياً على جوِّها وأرضها وبحرها وقرارها السياسي؛ بكسر الحدود بينها وتوفير فرص العمل لمواطنيها وتوحيد جيشها للدفاع عن خيرات بلادها وحماية مكتسباتها؟

ألم يكن من الأصوب أن يأكل فقيرُها من مال غنيِّها بالمعروف، ويدافع قويُّها عن حرمات ضعيفها، ويتقوَّى بعضها ببعض على الأجانب الكائدين؟

ألم تكن مصلحتها في أن تصبح بتكتُّلها أمة كثيرة العدد مهابة الجانب قوية الشوكة؟

المقال التالي يعالج هذه المسألة من الناحية الشرعية.

قلة عدد السكان ضعف:

هل قمتَ يوماً بزيارة دولة صغيرة المساحة وقليلة عدد السكان مع غنى فاحش يفوق حاجتها؟ أعتقد أنك قد شاهدت أجانب كُثراً يمسكون بزمام أمورها؛ بدايةً من الخبراء والفنيين والقادة، ونهايةً بوظائف الخدمة المدنية والمهن الحقيرة، حتى تحول البلد من دولة عربية إسلامية تاريخاً وأصلاً إلى ما يشبه مستعمرة أعجمية سكانها سيخ وهندوس وملحدون ووثنيون من الأمريكان والصينيين واليابانيين... إلخ، وبهذا أصبح يمثِّل الأجانب غير المسلمين فيها السوادَ الأعظم حتى لا تكاد تجد المواطِنَ الأصليَّ إلا بصعوبة وندرة وقد تعجَّم لسانه وتفسَّخت أخلاقه وارتبطت حياته بوجود الخليط المستجلب لخدمته في كل المرافق؛ إلى درجة أصبح من المستحيل أن تستمر عجلة الحياة دون تأثير هؤلاء الأجانب في الوقت الذي تغلق فيه الباب في وجه المسلمين من غيرها من الباحثين عن العمل لديها.

إن بلداً مثل هذا - وهو اليوم كثير - غير قابل للحياة الطبيعية؛ وذلك بسبب قلة عدد سكانه، وإن كثر ماله وتنوعت موارده؛ فهو مضطر للاحتماء بالأجنبي في كل أموره؛ وبهذا

(*) كاتب وباحث أريتري، دكتوراه في السياسة الشرعية.

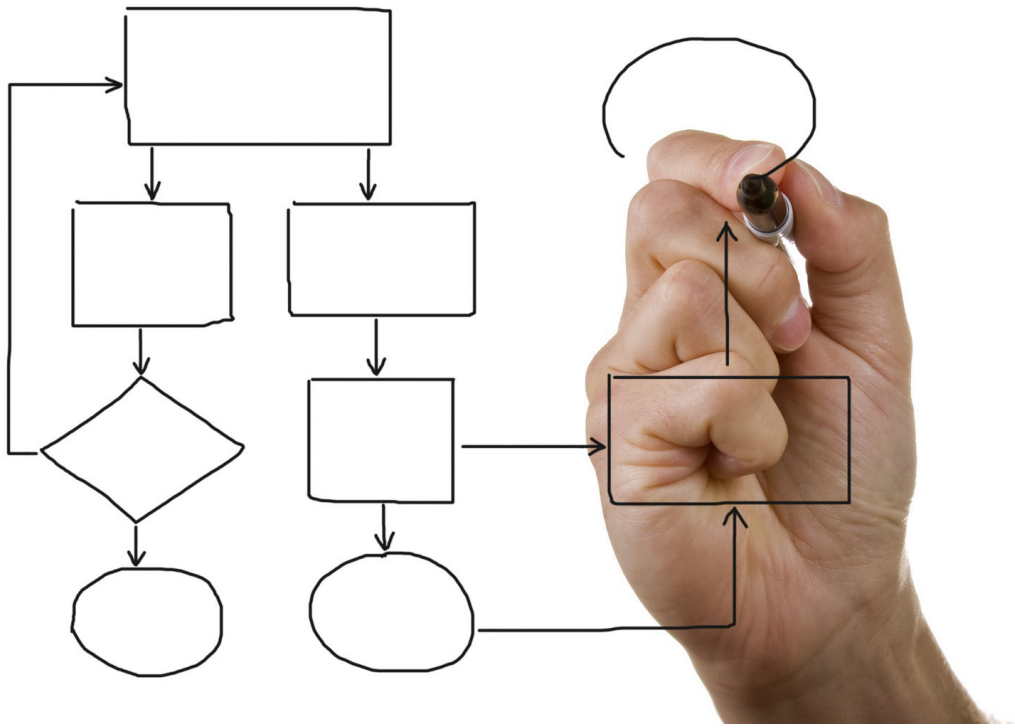

فَقَد قراره وشـــخصيته ويحيا تحت رحمة المستعمرين مرتهَناً لهـــم، ولا يمكن أن تعود إليـــه العافية إلا بالســـعي إلى مزيد مـــن المعالجات التي تؤدي إلى كثرة عدد الســـكان عبر الطرق المشـــروعة؛ بهدف التحرُّر من الوجود الأجنبي بعد التقلُّل منه والتقوِّي بمن يجانسه عقيدةً ولغةً وجنساً.

وإن البلـــد الآخر الذي يأكل بعضه بعضاً في حروب أهلية وطائفيـــة تُغذَّى بكيد وتدبير من الأجنبي غير قادر على الحياة كذلـــك دون الاحتماء به والتقوي بالغريب على القريب؛ إنه بلد يتناقص عدد ســـكانه يوماً بعد يوم بفعل الحرب فهو غير قادر على الحياة ولا على النماء؛ وذلك بسبب سوء أخلاق مواطنيه، فأخـــلاق المواطـــن هي التي تدفـــع إلى حماية عدد الســـكان وتناميـــه، وهي التي تدفع إلى التعاون مع القريب ضد الغريب، وبدون هذه الأخلاق ســـوف يظل عدد سكان الدول الإسلامية قليلاً وإن كَثُرَ، وضعيفاً وإن قـــوي، وفقيراً وإن غَنِي، ومهزوماً وإن كان يملك أسباب القوة والانتصار.

فاعل التنمية السكانية:

إن من بدهيات الأمور أن يكون الإنسان (المواطن) هو فاعل التنمية الحقيقية لوطنه اســـتثماراً لكنوزه وتسخيرها لمصلحة الأمـــة في كل مجالاتها: تربيةً وتعليمـــاً وصحةً وغذاءً وتعميراً وبناءً ونماءً ورخاءً وطمأنينةً وأمناً. ولهذا الإنســـان سخر اللهُ الكونَ بأرضه وســـمائه وهوائه ومائه وحيواناته ونباته ومادته ومعادنه.

وبقدر كثرة الإمكانات الموفورة على هذا الكون شرع الله لهذا الإنســـان أن يتكاثر إلى درجة يصبـــح التكاثر الإيجابي في حقه خُلُقاً إيجابياً تُبْنَى عليه أخلاق أخرى إنمائية للوطن؛ ولهذا كانت تنمية الإنســـان أهمَّ عامل لتنمية الوطن؛ ولهذا شـــرع أن يكون من خُلُق الإنســـان العمل على تنمية الأمة من حيث العددُ والفكرُ والأخلاقُ. وإذا كان السبيل إلى تنمية الفكر هو التعليم والتربية؛ فإن السبيل إلى تنمية النوع هو الزواج الشرعي (بعد سدِّ أبواب الفجور) أو التكتلات الجمعية، وبهذين الأمرين تكاثرَ عدد سكان الدولة الإسلامية الأُولَى حتى كان أحدهم لا يحمل هماً للزواج؛ إذ كان بمقدوره أن يصطحب زوجـــة مـــن المســـجـــد بمـــا مـــعـــه من القـــرآن أو بالتمسك بتوجيه «أقلهنَّ مهراً أكثرهنَّ بركة».

من ناحية أخرى؛ كان تكاثر دولة الإسلام الأُولَى بالفتوحات التي توسعت إليها عبر الجهاد، فتكتَّل مع الفاتحين مواطنو كل المواقع المفتوحة حتى كوَّنوا أمة كثيرة العدد استوعبت كل الألوان واللغات والعادات والبيئات. وبهذين السبيلين يمكن تكثير سواد الأمة؛ لأنه من غيـــر الجائز أن تفتح مصانعَ لاســـتكثار النوع الإنســـاني مثل المصانع التي فتحت لصناعـــة البيض أو بقية المأكولات؛ لأن الله يريد بقاء الإنســـان خليفة مكرَّماً يقوم بدور عمارة الأرض بتعاونٍ بنَّاء يرتبط على أســـاس الحب والتراحم

والتعاطف والتكاتف ومؤسس على هيكلة اجتماعية متينة تبدأ من الأم والأب، فالأسرة والعشيرة والقبيلة والأمة. والزواج الشرعي هو السبيل الأوحد لتكاثر هذا الإنسان تكاثراً إيجابياً.

سنة الزواج ودورها في تنمية عدد السكان:

بناءً على ذلك، تبدأ تنمية المواطنين عدداً من إقبال شباب الأمة على الزواج الشرعي؛ امتثالاً لقوله ﷺ: «يا معشر الشباب! من استطاع منكم الباءة فَلْيتزوج؛ فإنه أغضُّ للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء»[1].

وللزواج مقاصد واضحة، منها:

١ - تحصين الشباب وإشباع رغباتهم الجنسية.

٢ - دَرْءُ مخاطر الزنى التي تنتشر عادة عند العزوف عن الزواج الشرعي.

٣ - القضاء على ظاهرة العنوسة التي ضربت بأطنابها في المجتمعات؛ بسبب غلاء المهور، والتهرُّب من المسؤولية، وانتشار الفساد.

٤ - الإبقاء على العمل الصالح؛ فإن الوالد الذي يترك ولداً مربياً وبنتاً مربية قد نجح في بقاء عَقِبه الصالح حاملاً راية الخلافة ومهمة عمارة الوطن.

دَوْر الإنجاب في كثرة عدد السكان:

فإن كان ما سبق ذكره من مقاصد الزواج الشرعي، فإنه من غير المنكور أن يكون من مقاصد الزواج الشرعي كذلك: تنمية سكان الوطن من حيث العددُ؛ لأن كثرة عدد السكان هدف تسعى الشريعة إلى تحقيقه، فقد حضَّ الشرع الإنسان على أن يكون من مهامه الأخلاقية السامية تكثير سواد الأمة، وقد عيب على الإنسان الذي يتجرَّد من هذا الخُلق المساهم في التنمية البشرية. علماً أن الكثرة المطلوبة هنا ليست مقيدة بالصلاح ولا بقدر معيَّن من التعليم أو الصفات الحميدة؛ بقدر ما هي كثرة عددية مع وجود التوحيد والتخلُّق بأهمِّ أركان الدين؛ لأن كل مواطن يمكنه أن يساهم بقَدْر إيجابي لتنمية الوطن متى ما تهيَّأت له الظروف؛ فليس في الإسلام إنسان لا دور له. فمن لم يكن قدوة في العلم والتقوى قد يكون قدوة في الشجاعة والإقدام، ومن كان ضعيف البنية قد يكون قوي الفكر والرأي؛ ولهذا عدَّ الإسلام من المكاسب العظيمة كثرة عدد الأمة؛ كما تدلُّ عليه نصوص الشرع؛ فمرة يأتي النهي النبوي عن كل أمر يؤدي إلى الإعراض عن اتخاذ أسباب تكثير سواد الأمة من الزواج؛ حتى لو كان الإعراض ناتجاً عن حرص صاحبه على التفرُّغ للعبادة والتقوى؛ كما دلَّ عليه حديث الثلاثة الذين أنكر عليهم رسول الله ﷺ ما عزموا على فعله من التفرُّغ للعبادة تفرُّغاً تاماً يشغلهم عن بقية الواجبات: «لكني أصلي وأنام، وأصوم وأفطر، وأتزوج النساء؛ فمن رغب عن سنتي فليس مني»[2].

ومرة يأتي التوجيه النبوي داعياً المواطنين إلى أن يكون من أخلاقهم المساهمةُ في تكثير عدد السكان؛ بالإقبال على الزواج الشرعي وبترك التبتُّل، وأن يقع اختيارهم على الزوجة التي تتصف بصفتين مهمتين تنموياً (الوَدود الوَلود)، فالصفة الأُولَى توثق العلاقة بين الزوج والزوجة وتعمل على إدامة الرباط بينهما إدامة كافية لتحقيق هدف (المساهمة في تكثير عدد السكان) الذي تسعى إلى أن تحقِّقه الصفة الأخرى (الولود)؛ كما يدل عليه قوله ﷺ في ما رواه عنه أنس - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ كان يأمر بالباءة، وينهى عن التبتُّل نهياً شديداً، ويقول: «تزوَّجوا الوَدود الوَلود فإني مكاثر بكم الأنبياء يوم القيامة»[3].

ويؤيده في مشروعية السعي إلى تكثير عدد السكان ما رواه عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - من أن رسول الله ﷺ قال: «انكحوا أمهات الأولاد فإني أباهي بكم يوم القيامة»[4].

ومرة ثالثة يأتي حرص الشرع على تكثير عدد السكان بصورة تنهى المواطن القادر على الإنجاب والخالي من الأعذار الشرعية أن يتجه إلى زوجة لا يتحقق معها هدف تنمية عدد السكان؛ كما يفيده الحديث الذي رواه معقل بن يسار - رضي الله عنه - قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إني أصبت امرأة ذات حَسَبٍ وجمال لكنها لا تلد فأتزوجها؟ قال: «لا». ثم أتاه الثانية فنهاه، ثم أتاه الثالثة فقال: «تزوَّجوا الوَدود الوَلود فإني مكاثر بكم»[5].

قال الشوكاني في (نيل الأوطار): الأحاديث بمجموعها ترتقي إلى درجة الصحة وتصلح للاحتجاج بها.

بدا ظاهراً مما تقدم كيف أن الإسلام يوجِّه الأمة إلى أن تساهم في كثرة عددها عبر أخلاق أفرادها التي يلزم المسلم بموجبها السعي والتحرِّي اللازم للحصول على الزوجة الوَدود الوَلود؛ سعياً منه في تكثير سواد الأمة.

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم.

(٢) متفق عليه.

(٣) أخرجه ابن حبان وصححه.

(٤) أخرجه الإمام أحمد.

(٥) أخرجه أبو داود والنسائي.

التباهي بكثرة عدد السكان:

وإن لـهـذه الكثرة مقصداً أُخروياً وهـو التباهي بها يوم القيامة عندما يأتي الأنبياء مع أقوامهم، فإنه - بلا شك - لا أحد يرغب أن يكون أنصاره قلة في الدنيا وقلة في الآخرة؛ خاصة أن كثرة الأنصار يوم القيامة مقياس بيِّن لنجاح الرسول ﷺ في إنقاذ عدد كبير من النار، ودليل واضح على فضله على أمته وعلى رفع منزلته؛ بناءً على ما له من الأجر الكبير بسبب كثرة الأتباع الذين دلَّهم على الخير؛ فله مثل أجورهم لا ينقص من أجورهم شيء.

وعلى اعتبار كثرة الأتباع عدداً وعلى الاعتداد بها جاء قوله ﷺ: «أنا أكثر الأنبياء تبعاً يوم القيامة، وأنا أول من يقرع باب الجنة»[1].

ومثله الحديث الذي قال فيه ﷺ مقارناً بين أتباعه وأتباع الأنبياء الآخرين: «أنا أول شفيع في الجنة، لم يصدَّق نبي من الأنبياء ما صُدِّقت، وإن من الأنبياء نبياً ما يصدقه من أمته إلا رجل واحد»[2].

ويؤيِّده حديث آخر: «عُرِضَت عليَّ الأمم فرأيت النبي ومعه الرهيط، والنبي ومعه الرجل والرجلان، والنبي وليس معه أحد، إذ رفع لي سواد عظيم فظننت أنهم أمتي فقيل لي: هذا موسى ﷺ وقومه، ولكن انظر إلى الأفق، فنظرت فإذا سواد عظيم، فقيل لي: انظر إلى الأفق الآخر، فإذا سواد عظيم، فقيل لي: هذه أمتك ومعهم سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب»[3].

من فوائد الكثرة العددية تنموياً:

الأحاديث السابقة ذكرت الموقف الإيجابي لكثرة الأمة يوم القيامة؛ إلا أنه لم يكن المقصد الأخروي من كثرة عدد المسلمين وحده هو المقصود؛ وإنما هناك مقاصد دنيوية تحققها الكثرة، ومن ذلك: المقصد التنموي: فغير خافٍ رجحان ما يحققه عدد كبير في زراعة بستان - مثلاً - على ما يحققه عدد قليل، فإن الوطن الذي يقطنه مليون شخص ويعملون لبنائه وتعميره؛ أفضل من الوطن الذي يقطنه ألف شخص فقط، وإن الوطن الذي يبلغ عدد سكانه أكثر من مليار نسمة؛ مُهَابٌ أكثر من الوطن الذي يعد سكانه بالآلاف فقط، أو حتى بعشرات الملايين، وإن الوطن الذي يصدِّر الأيدي العاملة الزائدة عن حاجته إلى الدول الأخرى؛ أفضل تنموياً من الوطن الذي يستورد الأيدي العاملة إلى درجة تطغى فيها الجالية الأجنبية على المواطنين؛ حيث تفرض عاداتها وتقاليدها ولغتها وربما دينها. وكم من المخاطر يمكن أن تُجلَب إلى الوطن عبر العمالة الوافدة؟ وعلى سبيل المثال: إذا قام العمَّال الأجانب بإضراب عن العمل في بلد هم السواد الأعظم فيه؛ فماذا يبقى للمواطنين من حيلة وهم مأسورون للأجانب في طعامهم وشرابهم وخيرات بلادهم؟ وإن الأمة الكثيرة التي يتباهى بها نبينا محمد ﷺ يوم القيامة لن يكون لها تفسير إيجابي غير أن تكون هي الأمة التي اقتدت به وبأصحابه الطاهرين في تنمية الأوطان: بناءً وتعميراً وتربية وتعليماً وجهاداً وتضحية وحماية ودفاعاً. أمة عملت في تنمية عددها وتنمية فكرها وإيمانها وتنمية أوطانها فأصبحت بموجب جهدها التنموي كثيرة في عددها، غنية في مالها، واسعة في رقعتها الجغرافية، عظيمة في سلطانها، مهابة في جلالها. ولن يكون من أتباعه ﷺ المُتباهَى بهم يوم القيامة من لم يكن مقتدياً به في الدنيا؛ بالسعي إلى تنمية السكان من حيث العددُ والدينُ والأخلاقُ، وإلى تنمية الأوطان من حيث استثمارُ خيراته وحمايتُها وحسنُ توزيعها بيد سكانه (حكومة وشعباً).

كثرة عاملة:

إن كثرة عدد السكان هدف نبيل يلزم أن تسعى إليه الدول الإسلامية دون خوف من ضائقة اقتصادية ولا انفجار سكاني؛ لأن كل مولود يُولَد برزقه، ولن تموت نفس حتى تستكمل رزقها وأجلها؛ فالواجب على المسلمين السعي في سبيل كثرة عددهم من أجل تنمية أوطانهم؛ لأن الوطن الذي تتعاون فيه أيدي المواطنين الكثيرة يزداد رقياً وتقدُّماً يوماً بعد يوم؛ حيث يُوظَّف في كل مهنة شخص من بين أبنائه ولا يحتاج إلى استيراد أجانب يتركون آثاراً سلبية عقدية وخُلقية واقتصادية وأمنية على البلاد؛ فمن أعلى الوظائف إلى أدناها يمكن أن تسند إلى المواطنين إذا كانت الأمة كثيرة في عددها؛ لأنها تجد للمتعلِّمين وظائفهم وللجاهلين كذلك، وللشجعان وظائفهم وللجبناء كذلك، وللأذكياء وظائفهم ولغيرهم كذلك، وللأقوياء وظائفهم وللضعفاء كذلك، وعندها لكل أصحاب المهن وظائف خاصة بهم، وبهذا يستوعب الوطن جميع مواطنيه دون الحاجة إلى جَلْب عمالة خارجية، بخلاف الوطن الذي يجد المالَ ويعاني من قلة المواطنين؛ فإن هذا الوطن مدعاة إلى أن يكون مرتهناً تحت رحمة خدَّامه المجتلبين من الخارج الذين يُؤتَى بهم لملء المهن الفائضة حتى لو كانت مهناً غير مرغوبة؛ كالحلاقة والغسالة

(١) أخرجه مسلم.
(٢) أخرجه مسلم.
(٣) أخرجه البخاري.

والنظافة والسواقة والطباخة... فإن كثرة الأجانب المجتلبين تحت عباءة هذه المهن قد تجلب معها غزواً خارجياً يوماً مَّا؛ يبدأ بالغزو الأخلاقي والاقتصادي والعقدي ثم يأتي الغزو السياسي والعسكري الخارجي مدعوماً بجيش من الخدم والعمَّال الذين مهَّدوا له الطريق إلى جانب جمع من العملاء المحليين الذين يمكن تجنيدهم لصالح الأجنبي عبر الوسائط التي يفتقر إلى خدمتها الوطن الضعيف سكاناً. ولا مخرج من هذا المأزق إلا بوجود كثرة من المواطنين الذين بإمكانهم القيام بكل ما يحتاج إليه وطنهم؛ لأن كثرتهم مظنَّة تفاوُتِ مهاراتهم وتنوُّعِ مواهبهم وتباينِ درجاتهم (العلمية والاجتماعية). بخلاف قلة سكان البلاد؛ فإن كانوا أغنياء أصبحوا قبيلة مترفة لا تقوى على خدمة نفسها وحماية وطنها، وإن كانوا فقراء عجزوا عن استثمار ما في أرضهم من خيرات، وربما أتى إليهم عدو من غيرهم فأبقاهم أبد الدهر على الفقر. وأمثلة هذا النوع في إفريقيا كثيرة؛ فكم هي الدول الإفريقية الفقيرة المتقاتلة - وإن كانت غنية بمواردها الطبيعية - ترزح تحت استعمار فرنسي مسيطر على أرضها وسمائها ويدعم دوماً أسباب ضعفها. كما أن أمثلة النوع الأول في دول الخليج العربي كثيرة معلومة؛ فكم هي الدول التي لا تستطيع أن تعيش يوماً واحداً دون وجود الأجنبي في كل مرافقها.

كثرة مدافعة:

وكلما كان الوطن كثير عدد السكان كان قادراً على ردع العدوان الخارجي، وكان أقدر على حماية مكاسبه: من تاريخ وحضارة وتقاليد وثروات، بخلاف الوطن قليل عدد السكان؛ فإنه معرَّض لكل المخاطر من الأقوياء الطامعين وربما رمى بنفسه هرباً من عدو غازٍ إلى عدو آخر ماكر كائد، فلا يمكن أن يبقى إلا مرتَهناً تحت رحمة المستعمرين. ولهذا يتوجب على الأمة أن تسعى إلى تكثير عدد سكانها؛ بهدف استثمار خيرات وطنها، وبهدف أن تكون قوية قادرة على الدفاع عن نفسها وحماية مصالحها. وإن هذه الكثرة تأتي عبر تسهيل أمر الزواج الشرعي والتشجيع عليه، وإغلاق كل باب يذهب بالشباب إلى الفجور، وإغلاق كل باب على كل الأصوات التي تدعو إلى تحديد النسل وتقليل عدد الأمة وتشجِّع شباب الأمة على الرذيلة وسوء الأخلاق، إلى جانب أنه لا بد أن تسعى الدول قليلة العدد إلى التداعي إلى بعضها بهدف إيجاد كيان موحد، به يكثر عدد سكانها وتقوى شوكتها ويهابها عدوها؛ لأن الدولة التي يصل عدد سكانها إلى مليار نسمة يمكنها أن تحمي بلدها من العدوان الخارجي بجزء يسير من شعبها ويظل الجزء الأكبر من مواطنيها قائماً بإدارة الحياة اليومية للبلد، بخلاف الوطن قليل عدد السكان؛ فإنه يتأثَّر سلباً بمعركة واحدة؛ ولهذا تلجأ حكوماته إلى التجنيد القسري لتعويض ما فُقِدَ في الحرب وهو الأمر الذي يؤدي إلى توقيف عجلة التنمية؛ لانشغال كل المواطنين بواجب الدفاع عن الوطن أو عن السلطان.

من عوامل حماية عدد السكان:

لم يكتفِ الإسلام بالتحريض على الزواج وبالتكتلات الجمعية من أجل تكثير عدد السكان؛ وإنما اتخذ مع ذلك عدداً من الاحتياطات التي تحمي المواطنين من التآكل والتناقص الذي يضعفهم عدداً. يظهر ذلك في أكثر من إجراء اتَّخذه هذا الدين؛ فقد فرض على السكان أن يكونوا أمة واحدة يلتقي سوادها على الإيمان عقيدةً وولاءً، وعلى الوطن الواحد معيشةً وموطنَ استقرار، وعلى فريضة التعاون بين الأمة على الأمر بالمعروف والتناهي عن المنكر والدعوة إلى الخير، وعلى واجب الدفاع عن المكاسب الوطنية. كما حرَّم اللجوء إلى التقاتل لحلِّ خلافاتها فجعل القاتل والمقتول في درجة واحدة من الجريمة والعقاب. ولحماية عدد السكان من التناقص بسبب الأمراض الفتاكة فرض أن يتحلَّى المواطنون بالأخلاق الحميدة، وأن يقوموا بحمايتها بالعفَّة والدُّربة والترويض، وأن يأخذوا على يد عاصيهم؛ حفاظاً على سلامة المواطنين عامة من الهلاك العام المكتوب على الأمة إذا تركت واجب إصلاح اعوجاجها. وكان ضمن عوامل الحفاظ على عدد السكان أن كُتب على الأمة فريضة الجهاد في سبيل الله لتردَّ العدوان الخارجي عن نفسها وعن وطنها وأعراضها، كما ألحَّ رسول الله ﷺ في المعركة في الدعاء حتى تُحمَى العصابة المجاهدة من القتل، وقد تأسَّف وبكى بألم بالغ عندما قُتل عدد من أصحابه وهم يقومون بفريضة الجهاد التي كتب الله عليهم. ولم يكن من أهدافه إبادة سكان الديار المفتوحة سيفاً. ولهذا جرى النهي الشرعي عن قتل المدْبِر والعجوز والصغير والمرأة والمستسلم؛ فلا يجوز شرعاً قتل الناس إلا في حالة حرب مشروعة؛ لتقليل الأضرار البشرية والمادية وحرصاً على حماية عدد السكان من التناقص، وإن حصل قَدَراً وباءٌ مفاجئ فرض الإسلام الحجر الصحي على المصابين؛ لتقليل الأضرار على السكان.

مسألة الغثاء:

ربما يتساءل القارئ: من أين لك الاعتداد بكثرة عدد السكان وربط ذلك بالتنمية الوطنية ونحن نعلم أن الرسول ﷺ أخبر أن الأمة يصيبها الوهن في آخر أمرها بسبب حبِّ الدنيا وكراهة الموت وتجرُّؤ أعدائها عليها؛ على الرغم من أنها كثيرة في عددها وغنيَّة بمواردها؟

السؤال حق لكنه لا يتنافى مع الحقيقة التي نتحدث عنها في أن كثرة عدد السكان جزء من مقاصد الشريعة وأن هذه الكثرة عامل فاعل من عوامل التنمية الوطنية. وحديث الغثاء لا يسقط هذه الحقيقة؛ وإنما يضيف إليها أهم صفاتها الفاعلة لتؤدي دورها الإيجابي، وهي: كونها - مع كثرة عددها - تتمتَّع بالشجاعة والعمل الجهادي وتُؤْثر الآخرة على الدنيا والآجلة على العاجلة؛ مثل ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه الطاهرون وسلف هذه الأمة؛ فإن كثرتهم الفاعلة كانت قد أسست وطناً رابطاً لهم وانطلقت بالفتوحات إلى كل الاتجاهات، وهو الأمر الذي لم يكن مشروعاً لها أن تقوم به وهي قليلة العدد عديمة الوطن ضئيلة الإمكانات في مكة المكرمة قبل الفتح وقبل الهجرة أيام المطاردة والاستضعاف والصبر الجميل.

صورتان:

أدرك اليهود فائدة الكثرة العددية ففتحوا الباب إلى كل من يدعي أنه يرتبط بهم نسباً ودِيناً، وبموجب هذه السياسة أتى إلى الدولة الصهيونية يهود سُود ويهود حُمر ويهود بيض ويهود عجم ويهود عرب.

وأوروبا أدركت فائدة الكثرة العددية فأخذت تفتح بابها لضمِّ دول جديدة إليها، والغرب عامة أدرك فائدة الكثرة العددية فأخذ يستورد إلى قاراته شعوباً من دول وقارات أخرى.

هذه صورة تقابلها صورة أخرى وهي ما عليه المسلمون في الوقت الحاضر؛ فنحن نجتهد في كَبْح جماح المواليد عندنا بأدوية منع الحمل مرة، وبإشاعة ثقافة الحد من الذرية مرة، وبقوانين تحديد النسل مرة ثالثة، وبعزوف الشباب عن الزواج الشرعي استغناء بورودِ مواطنِ الحرامِ مرات كثيرة، إلى جانب تشتُّت حكومات العالم الإسلامي والعربي؛ فكم هي المسافات المتباعدة بينها على الرغم من وجودها في مظلات جامعة إقليمية أو عالمية، وعقدية أو قومية، واقتصادية أو سياسية؟ ولم تصل بتكتُّلاتها إلى درجة تحرِّك فيها جيشاً يدافع عن مصالحها ولا تقدم على عقد يوجب عليها الاستغناء بتشغيل مواطنيها عوضاً عن استيراد بعضها عمالة أجنبية مريبة تخالفها ديناً وخُلقاً تسيطر على مقاليد أمورها وتخفي لها ضغينة وكيداً.

الخلاصة:

إن كثرة عدد السكان ميزة إيجابية يلزم الدول الإسلامية أن تسعى إليها وتجتهد في إيجاد السبل الشرعية التي تحققها، وهذه الكثرة تأتي بطريقين:

أحدهما: مشروع الزواج الشرعي.

والآخر: إيقاف الخصومات والحروب البينية، وقطع التحالفات الخارجية المريبة ضد بعضهم، وكسر الحدود الاستعمارية؛ لإنشاء مشروع التكتلات الجمعية الإيجابية التي تنضم فيها الدول إلى بعضها انضماماً حقيقياً اختيارياً؛ حتى تحقق الكثرة الإيجابية المطلوبة، وعند ذلك يمكن أن تصل إلى درجة تحقِّق فيها التنمية السكانية وتدافع فيها - بقدرة غالبة - عن مكاسبها وتحمي مقدراتها. وهذه الكثرة ثمرة لا تتأتَّى إلا بخُلق يتحلَّى به المواطن يدفعه للمساهمة الفردية لتكثير سواد الأمة بالزواج الشرعي وتيسير أمره، ويتحلَّى به الموسرون من الأمة والجمعيات الخيرية وأولياء الأمور والعقلاء يدفعهم إلى دعم مشروع الزواج الحلال؛ لإغلاق كل منافذ البدائل الفاسدة التي يرتع فيها حالياً بعض شباب الأمة، كما تتحلَّى به الدول الإسلامية يدعوها لتنضمَّ إلى بعضها؛ حتى تصنع من نفسها كتلة مهابة قوية قادرة على حماية نفسها واستثمار خيرات بلادها واستغنائها عن الاحتياج إلى من ليس منها، وقادرة كذلك على ردع من يعتدي عليها؛ فمن هذا الذي يمكنه أن يكسر شعار (لا لاستلاب القرار السياسي والاقتصادي) الذي يقف معه مليار مسلم يجمعهم وطن واحد وسلطان واحد؟ ومن هذا الذي يمكنه أن يقف في وجه شعار (نعم للجهاد) الذي يطلقه عشرة ملايين جندي تجمعهم راية واحدة ويقودهم قائد واحد؟

مرض العصر

عبد العزيز مصطفى الشامي(*)
Omarez1973@hotmail.com

المرض حالة غير سوية تصيب الإنسان فتؤثر فيه بضعفٍ في قواه أو إقعادٍ عن السعي، أو قد تؤدي به إلى الغياب القسري والرحيل عن الدنيا. وإذا خسر الإنسان عمره فقد خسر رأس ماله كله، وضاع منه أغلى ما يملك؛ إذ الأيام مطايا للأعمال، والدقائق والثواني مراحل يطويها ابن آدم أو تُطوى منه دون إدراك أو تمييز.

وإن من أسوأ أمراض العصر – لا في الأبدان وإنما في القلوب والأرواح – مرض الغفلة، والغفلة تعني: أن يضيع من الإنسان شيء كبير من وقته في ما لا طائل من ورائه ولا جدوى منه؛ فيظل في يومه وليله مضيعاً لأفضل ما يملك، من صحته وجهده ووقته في غير ما ينفعه، ولا يفيد أمته، ولا يعود عليه وعلى من حوله بالخير.

إن قلَّة التبصُّر والاعتبار بما يقع من أحداث، وعدم تأثُّر الإنسان بالآيات والعبر التي تجري من حوله، والركون إلى الدنيا والاطمئنان بها، والثقة بالنفس والاعتماد على الأسباب وحدها، كل ذلك من معاني الغفلة.

إن الغفلة تعمي القلب وتصم النفس وتعمي الروح عن التطلع في آيات الكون المقروءة والمنظورة، فتسكن اليبوسة في النفس، ويقل تطلع الروح للمثل الأعلى، وتضمحل في الأرواح الآمال العظيمة كـ ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾ [طه: ٨٤]، وعندها تسكن الشهواتُ النفوسَ وتكون هي غاية الأجساد، وأقصى آمال التراب المتحرك أن يملأ من الدنيا شهواتها ورغباتها، وآمالها وأموالها، ونسائها وأراضيها وقصورها... ولا تنقطع الآمال بابن آدم فلا يفيق إلا على معاينة صفحة وجه ملك الموت، وصدق ربنا – سبحانه وتعالى –: ﴿لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ [ق: ٢٢].

(*) مدقق لغوي وباحث شرعي – مصر.

الغفلة نزيف العمر وإيدز الأرواح:

إذا كان المريض بمرض فَقْد المناعة (الإيدز) يصير جسده بعد فترة من المرض مفتحاً؛ تتكالب عليه الجراثيم وتسكنه الفيروسات وتبدو عليه التقرحات والأوبئة الظاهرة منها والباطنة، فكذا تصير روح الغافل بعد مرور مدة من الغفلة؛ لا يشعر بانتعاش الروح وسرور النفس ولذة القرب والمناجاة، يفرح للدنيا، ويحزن لها، ويعطي لها، ويوالي ويعادي عليها، وعندما تستحكم الغفلة يرى المنكر معروفاً والمعروف منكراً، ولا يفرق بينهما إلا بما أُشرِب من هواه.

لقد لجأ كثير من الناس في هذا الزمان إلى الحمية والوقاية من المهالك في الأبدان والأموال، وسلكوا كل سبيل ينجِّي أبدانهم وأموالهم وأولادهم، وغفل كثير منهم عن حمية الروح ووقاية النفس من أسباب الخسران؛ فولج كثير منهم أبواب الغي ثم لا يُقصرون، وأتوا بغرائب الذنوب وعجائب الآثام في شتى شؤون حياتهم؛ في أفراحهم وأحزانهم، وسائر أعمالهم وعلاقاتهم في الأعمال والبيوت وغيرها، وتأتيهم الموعظة من ربهم من كل مكان وكل حين ﴿وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً﴾ [الكهف: ٤٩]؛ عبر خطبة يسمعونها، أو حكمةٍ تُلقَى إليهم، أو عبرةٍ من حادث، أو موت قريب أو صديق، ومع كِبَر عمر الإنسان يسمع كل فترة يسيرة عن موت فلان، وحادثة لفلان، حتى يضرب الموت بأطنابه في بيته، فيصيب الموت زوجه أو أخاً أو ابناً له، حتى يشعر بفقد هذا القريب كأنه قد فَقَد بعضه، وسُلب شيئاً من جسده، ويبدأ في العظة والاعتبار، وينظر لنفسه. ويا ليت هذا الأمر يدوم ويستمر؛ فلعله ينتفع بالموعظة ويصلح الله حاله وهو القائل – سبحانه وتعالى –: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١]؛ وإنما هي أيام ويعود إلى سيرته الأُولَى، وتلك هي الغفلة!

وإذا نظر كلٌّ منا في حاله وجد نفسه غافلاً؛ فقد تمرُّ عليه أوقات طويلة وربما ساعات لم يحرك فيها لسانه بذكر ربه وسيده ومولاه، وقد يجلس مجالس طويلة يتحدث في أمور كثيرة وفنون متعددة. وانشغل الناس وغفلوا، ولو سألت أحدهم ما معنى اسم الله (الصمد) في السورة التي يصلي بها، أو سألته عن معنى ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ [الفلق: ٣]؟ قد لا يعرف لماذا؟ هي الغفلة التي تحيط بالإنسان فقد يضيِّع الساعات أمام الشاشات وفي الأعمال، وقد يبحث عن الدراما وغيرها مما يزيده غفلة، وما أطول الرقاد في القبور.

الغفلة ونسيان الله:

إن غفلة النفوس عن ربها وسيدها ومولاها ومن لا غنى لها عنه طرفة عين هو أسرع طرق الغبن والخسارة، والله – تعالى – حذَّر عباده من الغفلة عن الذكر وعمل الخير النافع للعباد والبلاد في الدنيا والآخرة، فقال – تبارك وتعالى –: ﴿وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [الحشر: ١٩]، وأقبح النسيان نسيان الخالق المنعم المتفضل؛ الذي يتقلب العبد في خيره وأفضاله ونعمه ومننه كلَّ طرفة عين، وهي التي لا يحصيها العباد عدّاً فضلاً عن أن يشكروها. يقول سيد قطب – رحمه الله –: «وهي حالة عجيبة، ولكنها حقيقة. فالذي ينسى الله يهيم في هذه الحياة بلا رابطة تشده إلى أفق أعلى، وبلا هدف لهذه الحياة يرفعه عن السائمة التي ترعى. وفي هذا نسيان لإنسانيته، وهذه الحقيقة تضاف إليها أو تنشأ عنها حقيقة أخرى ، وهي نسيان هذا المخلوق لنفسه فلا يدخر له زاداً للحياة الطويلة الباقية ، ولا ينظر في ما قدَّم لها في الغداة من رصيد»[1].

وقال – جل وعلا –: ﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعاً وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ وَلا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ﴾ [الأعراف: ٢٠٥]. قال سيد قطب أيضاً – رحمه الله –: «... الغافلين عن ذكر الله لا بالشفة واللسان، ولكن بالقلب والجنان. الذكر الذي يخفق به القلب؛ فلا يسلك صاحبه طريقاً يخجل أن يطلع عليه الله فيه؛ ويتحرك حركة يخجل أن يراه الله عليها، ولا يأتي صغيرة أو كبيرة إلا وحساب الله فيها.. فذلك هو الذكر الذي يرد به الأمر هنا؛ وإلا فما هو ذكر لله، إذا كان لا يؤدي إلى الطاعة والعمل والسلوك والاتباع. اذكر ربك ولا تغفل عن ذكره، ولا يغفل قلبك عن مراقبته؛ فالإنسان أحوج أن يظل على اتصال بربه، ليتقوى على نزغات الشيطان»[2].

(١) في ظلال القرآن: ٧/ ١٧١.
(٢) في ظلال القرآن: ٣/ ٣٥٦.

كم من حسرات في بطون المقابر!

لقد حذر الرسول ﷺ من الغفلة عن الواجبات الشرعية في أحاديث، منها: عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصِّحَّةُ وَالْفَرَاغُ»(١). ومن الغبن ألا يقدِّر الإنسان ما في يده ولا يعرف قيمته على الحقيقة، وقد ضُربَت الغفلة على كثير من الخلق من هذين البابين، فقد ترى الإنسان في جانب الوقت: إما أنه فارغ عاطل، أو بلغ سن التقاعد يكاد الفراغ يقتله لا يجد ما يملؤه به من عمل نافع! وآخر يعمل معظم يومه وليله يكد كدّاً عجيباً! فالأول قد غُبِن في وقته والآخر غُبِن أيضاً، وكذا في جانب الصحة؛ فقد ينعم الله على إنسان بالصحة والعافية والرجولة فيستغلها في معاصيه لا مراضيه فهو مغبون، والآخر لا يجد قوة ولا يستطيع سبيلاً فيشعر بالغبن والضعف النفسي والجسدي.

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَجُلٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَيُّ الصَّدَقَةِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «أَنْ تَصَدَّقَ وَأَنْتَ صَحِيحٌ حَرِيصٌ، تَأْمُلُ الْبَقَاءَ وَتَخْشَى الْفَقْرَ، وَلاَ تُمْهِلُ حَتَّى إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ قُلْتَ: لِفُلاَنٍ كَذَا وَلِفُلاَنٍ كَذَا وَقَدْ كَانَ لِفُلاَنٍ»(٢).

ومن الحديث أن يعمل المرء في صحته وعافيه ولا يمهل ولا يهمل حتى إذا نزل به الموت فكر في الصالحات، فيقول: أعطوا فلاناً كذا... وصدق ربنا إذ يحذر من هذه الغفلة المطبقة فيقول: ﴿وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المنافقون: ١٠ - ١١]. يفيق من الغفلة عند الموت ويتمنى التزود من الصالحات ولكن هيهات هيهات بعد أن أطبقت الغفلة سنين عدداً يجيء طالباً العودة والأوبة ولا حرج على فضل الله، ولكن الموت ساعة مضروبة وآجال معدودة، وكم من حسرات في بطون المقابر!

وفي مشهد رائع يوجه النبي ﷺ زوجته أم حبيبة إلى شيء رائع في الدعاء؛ فقد قَالَتْ أُمُّ حَبِيبَةَ - رضي الله عنها -: (اللَّهُمَّ! مَتِّعْنِي بِزَوْجِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَبِأَبِي أَبِي سُفْيَانَ، وَبِأَخِي مُعَاوِيَةَ. فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّكِ سَأَلْتِ اللَّهَ لآجَالٍ مَضْرُوبَةٍ وَآثَارٍ مَوْطُوءَةٍ وَأَرْزَاقٍ مَقْسُومَةٍ، لاَ يُعَجِّلُ شَيْئاً مِنْهَا قَبْلَ حِلِّهِ وَلاَ يُؤَخِّرُ مِنْهَا شَيْئاً بَعْدَ حِلِّهِ، وَلَوْ سَأَلْتِ اللَّهَ أَنْ يُعَافِيَكِ مِنْ عَذَابٍ فِي النَّارِ وَعَذَابٍ فِي الْقَبْرِ لَكَانَ خَيْراً لَكِ»)(٣).

وهذا توجيه رائع أن لا يغفل المرء في سائر أقواله وأعماله عمَّا ينفعه، ولا يغفل في أشياء قد لا تفيده. فهذه أم حبيبة لما انشغلت بالدعاء في أمور مقطوعة مقسومة وجهها النبي ﷺ إلى الانتباه إلى الأَوْلى والأفضل في الأعمال.

وعن ابْنَ مَسْعُودٍ - رضي الله عنه - قَالَ: (مَا كَانَ بَيْنَ إِسْلاَمِنَا وَبَيْنَ أَنْ عَاتَبَنَا اللَّهُ بِهَذِهِ الآيَةِ ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الحديد: ١٦] إِلاَّ أَرْبَعُ سِنِينَ)(٤).

قال سيد قطب - رحمه الله -: «إنه عتاب مؤثر من المولى الكريم الرحيم؛ واستبطاء للاستجابة الكاملة من تلك القلوب التي أفاض عليها من فضله؛ فبعث فيها الرسولَ يدعوها إلى الإيمان بربها، ونزَّل عليه الآيات البينات ليخرجها من الظلمات إلى النور؛ وأراها من الآيات في الكون والخلق ما يبصِّر ويحذِّر.

عتاب فيه الود، وفيه الحض، وفيه الاستجاشة إلى الشعور بجلال الله، والخشوع لذكره، وتلقِّي ما نزل من الحق بما يليق بجلال الحق: من الروعة والخشية والطاعة والاستسلام، مع رائحة التنديد والاستبطاء في السؤال ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾ [الحديد: ١٦] وإلى جانب التحضيض والاستبطاء تحذير من عاقبة التباطؤ والتقاعس عن الاستجابة، وبيان لما يغشى القلوب من الصدأ حين يمتد بها الزمن بدون جلاء، وما تنتهي إليه من القسوة بعد اللين حين تغفل عن ذكر الله، وحين لا تخشع للحق: ﴿وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [الحديد: ١٦]. وليس وراء قسوة القلوب إلا الفسق والخروج.

إن هذا القلب البشري سريع التقلب، سريع النسيان. وهو يشف ويشرق فيفيض بالنور، ويرف كالشعاع؛ فإذا طال عليه الأمد بلا تذكير ولا تذكُّر تبلَّد وقسا. وانطمستْ إشراقته، وأظلم وأعتم. فلا بد من تذكير هذا القلب حتى يذكر ويخشع، ولا بد من الطرق عليه حتى يرقَّ ويشف؛ ولا بد من اليقظة الدائمة كي لا يصيبَه التبلد والقساوة. ولكن لا يأس من قلب خمد وجمد وقسا وتبلد؛ فإنه يمكن أن تدب فيه الحياة، وأن يشرق فيه النور، وأن يخشع لذكر الله. فالله يحيي الأرض بعد موتها، فتنبض بالحياة، وتزخر بالنبت والزهر، وتمنح الأكل والثمار. كذلك القلوب حين يشاء الله»(٥).

ومن أقوال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ في التحذير من الغفلة المطبقة قوله: «مَا مِنْ قَوْمٍ يَقُومُونَ مِنْ مَجْلِسٍ لاَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ فِيهِ إِلاَّ

(١) صحيح البخاري (٦٤١٢).
(٢) سنن أبي داود (٢٨٦٥) وصححه الألباني.
(٣) صحيح مسلم، ص٢٦٦٣.
(٤) صحيح مسلم، ص٣٠٢٧.
(٥) في ظلال القرآن: ٧/ ١٣٣.

قَامُوا عَنْ مِثْلِ جِيفَةِ حِمَارٍ وَكَانَ لَهُمْ حَسْرَةً»[1].

وعَنْ بِلَالِ بْنِ الْحَارِثِ الْمُزَنِيِّ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - مَا يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ يَكْتُبُ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - لَهُ بِهَا رِضْوَانَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - مَا يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ يَكْتُبُ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - بِهَا عَلَيْهِ سَخَطَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ».

قَالَ فَكَانَ عَلْقَمَةُ يَقُولُ: كَمْ مِنْ كَلَامٍ قَدْ مَنَعَنِيهِ حَدِيثُ بِلَالِ بْنِ الْحَارِثِ! وصدق علقمة - رحمه الله - فكثيراً ما تصيب الغفلةُ الإنسان فيقع في كبائر لسانية عدة؛ فقد يقع الغافل بلسانه في أكثر من عشرة كبائر: من الحلف بغير الله، والشرك به، ودعاء غير ربه، والسبِّ واللعن، والغيبة، والنميمة، والكذب، والفجور في الخصومة، وسب الوالدين، وسب الدين عياذاً بالله. فينبغي للمرء العاقل أن ينتبه للسانه وحواسه وجسده لئلا يقع في الغفلة المهلكة حتى لا يندم يوم لا ينفع الندم ويقول: ﴿يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾ [الفجر: ٢٤].

(١) أبو داود (٤٨٥٥)، وصححه الألباني.

ماذا تفعل في دقيقة من عمرك؟

صدق شوقي عندما قال:

دقـــاتُ قـلـبِ المـــرء قـائـلـةٌ لـه:
إن الحـــيـــاةَ دقـــائـــقٌ وثـــوانـــي

العمر لحظة والحياة دقيقة، ولو نظر العاقل في حياته فلن يجد إلا أمس واليوم وغداً، وأمس لو تعلق الإنسان بالجبال لن يعود أبداً، والغد غير مضمون، فليس لك من عمرك إلا الآن، ليس لك من رأس مالك إلا اللحظة التي تحياها، وهي دقيقة من العمر. والإنسان يستطيع خلال دقيقة من عمره أن يحرك فمه المطبق بذكر ربه، وفي خلال دقيقة من عمره يستطيع صلة رحمه بالهاتف، يستطيع في دقيقة صلاة ركعتي سنة، في دقيقة يستطيع الاستغفار ثلاثاً، في دقيقة يستطيع قراءة سورة الإخلاص ثلاث مرات، في دقيقة يستطيع الصلاة على النبي ﷺ عشر مرات فيصلي الله عليه مائة مرة، في دقيقة يستطيع أن يوصي أخاً له بالمعروف وينهاه عن المنكر، في دقيقة يستطيع معانقة ولده والمسح على رأسه وتقبيله، في دقيقة يستطيع الحنو على امرأته، في دقيقة يستطيع مصافحة أخيه وجاره والسلام عليه... إلخ.

هناك كثير من الأعمال الصالحة لا تكلفك شيئاً؛ فلا يلزمك لها طهارة أو تعب أو بذل جهد، بل تقوم بها وأنت تسير على قدميك، أو راكب سيارتك، أو مستلقٍ على ظهرك، أو جالس تنتظر أحداً. ولو أننا استطعنا بصدق أن نوظف ونفعِّل الحكمة التي نعلقها في بيوتنا وأعمالنا وشوارعنا «املأ أوقات الانتظار بالاستغفار»؛ لحولنا الأوقات الغافلة إلى أوقات حية نفعل فيها الخير ونغرس فيها النافع، وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان؟

ولو رجعنا إلى ما حثت عليه النصوص الشرعية من الذكر، مما يسمى بعمل اليوم والليلة لوجدنا أن الالتزام بذلك يجعل المسلم لا يكاد ينفك عن تسبيح وتحميد وتهليل واستغفار وتضرع ودعاء، ما دام مستيقظاً. إن كثرة ذكر الله - تعالى - تولِّد لدى المسلم الحياءَ منه وحبه، وتنشِّطه للسعي في مرضاته، كما تملأ قلبه بالطمأنينة والأمان والسعادة؛ لينعم بكل ذلك في أجواء الحياة المادية الصاخبة.

إن الصلة بالله - تعالى - هي أساس كل عبادة، وإن أدب الوقت يقتضي من المربين والعلماء الناصحين التوجيهَ إلى إثراء حياة الشباب والناشئة بالأعمال الروحية وعلى رأسها الذكر حتى لا يقعوا في مصيدة النسيان واللهو والإعراض عن الله تعالى.

أين الثوابت والمتغيرات؟

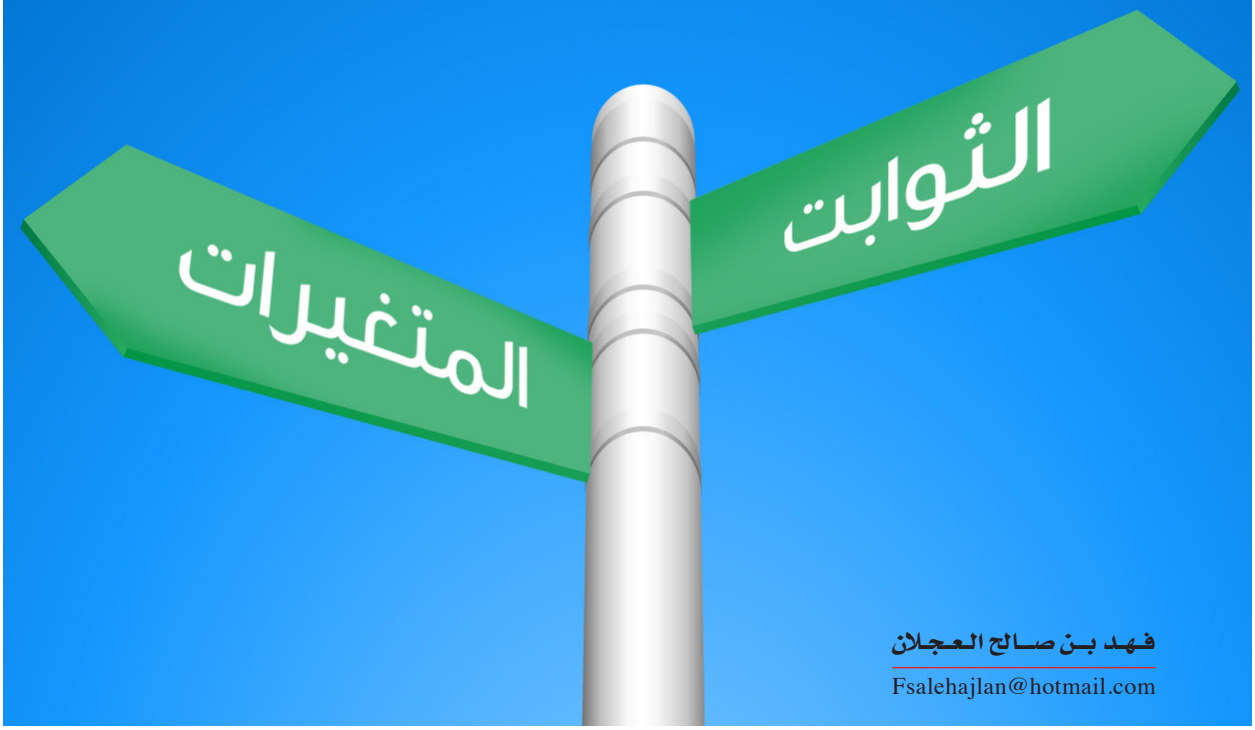

فهد بن صالح العجلان
Fsalehajlan@hotmail.com

أتمنى لو كنت أستطيع الوصول إلى تحديد تاريخ نشوء هذا المصطلح واستعماله في الفكر الإسلامي، لكنه – قطعاً – نشأ متأخراً ولم يكن معروفاً في التراث الفقهي القديم، وهو كبقية المصطلحات المحدَثَة لا يتعامل الإنسان معه بحساسية لمجرد كونه مصطلحاً جديداً؛ فلا مشاحة في الاصطلاح ولا إشكال فيها بحد ذاتها ما دامت محتفظة بخصلتين: أن لا تحتوي على مخالفة شرعية، وأن يتم توضيح المقصود بها بما يزيل الإشكال.

وحين نستعرض تفسيرات المعاصرين للثوابت والمتغيرات في الشريعة الإسلامية نجدها ترجع لثلاثة تفسيرات رئيسية: تفسير الثوابت بالقطعيات والمتغيرات بالظنيات، أو تفسير الثوابت بالمجمَع عليه والمتغيرات بالمختلف فيه، أو تفسير الثوابت بالأصول والمتغيرات بالفروع.

وحقيقة هذه التفسيرات ترجع لمعنى واحد؛ فالثوابت هي الأصول الكلية القطعية المتفَق عليها، والظنيات هي ما كان دون ذلك من الظنيات والفروع.

ويبقى تفسير المصطلح ليس فيه أي إشكال؛ فلا غضاضة في أن يتم تفسير الثوابت والمتغيرات بأي معنى يتم الاتفاق عليه.

إذن أين الإشكال؟

الإشـــكال هو في الأحكام التي تترتب على هذا التقســـيم، وفي التصورات التي تُبنَى على هذه التفســـيرات؛ فسؤال: أين الثوابت والمتغيرات؟ ليس مشكلاً كسؤال: ما الذي سيترتب على تفسير الثوابت والمتغيرات؟

فتســـمية بعض أحكام الشـــريعة بالثوابت، وتسمية غيرها بالمتغيـــرات ليـــس فيه إشـــكال كبير ما دام أنـــه محصور في التســـمية والاصطلاح؛ إنما الإشـــكال في ما يترتب على هذا التقسيم. وهنا يحصل الاختلاف ويعظم الإشكال.

فبعض الناس يفسِّـــر المقصود بشكل صحيح ويقيم الفروق بين الثوابت والمتغيرات برؤية شـــرعية صحيحة، وآخرون يبنون على هذا التقسيم كثيراً من الأحكام الباطلة.

فبعضهم يرتِّب على هذا التقســـيم تصـــوراً يقوم على أن الثوابت هي الأحكام الشـــرعية التي يجـــب الخضوع لها، وأما المتغيرات فهي خارج الشـــريعة وهي مجرد اجتهادات يمكن أن يأخذ الشخص منها ما يشاء؛ فالعبرة بمقاطع الإجماع، وأما ما حصل فيه الاختلاف فالإنســـان منه في سعة؛ يأخذ منه ويذر بحسب ظروف المرحلة وما يحقق المصلحة وما يتلاءم مع تطور المجتمع.

وهـــذا تفســـير مختلٌّ؛ لأنـــه يلغي دائرتين واســـعتين من الشـــريعة، هما الأوسع من أحكام الإسلام: دائرة المختلف فيه، ودائرة الظنيات.

فدائـــرة الظنيات: هي أحكام شـــرعية ثابتـــة وملزِمة ويجب اتباعها. وكونها تســـمى (ظنية) فهو مجرد اصطلاح، ولا يعني أنها خارج الشريعة أو غير ملزِمة؛ فالظن واليقين هو في مرتبة الجزم بالحكم وليس في مرتبة الإيمان بالحكم، فأنت توقن بالحكم بشكل يقيني قطعـــي أو يغلب على ظنك بما يوجب العمل به، لا أن تثبت الحكـــم أو تنفيه؛ فبعض الأحكام الشـــرعية قطعي جاءت الدلائل اليقينية عليـــه: كوجوب الصلاة والزكاة، وتحـــريم الخمـــر والربا والزنـــا. وبعـــض الأحكـــام جـــاءت فيـــه دلائل أقـــلَّ من ذلك؛ لكن هذا لا يعني أنه ليس حكماً شـــرعياً، ولا أن أمر الإيمان به يرجع للإنســـان إن شاء عمل به وإن شاء ترك؛ بل هو ملزِم وواجب. لكنَّ مراتب الإيمان تختلف فدرجة الإيمان بحرمة الزنا ليســـت كدرجة الإيمان بحرمة النظر المحرَّم، ودرجة الإيمان بالسنة المتواترة ليس كدرجة الإيمان بالســـنة الآحاد، تماماً، كما أن من الشريعة ما هو فرض لا يدخل الإنســـانُ الإيمانَ إلا به كالشـــهادتين، ومنها ما هو فرض يخرج من الإيمان بتركه كالصلاة ومنها ما هو فرض يضعف الإيمان ولا يزيلـــه كترك الحج ومنها ما هو دون ذلك لكنها جميعاً داخلة في أحكام الإسلام وإن تفاوتت في قوَّتها.

فالغلط في هذا التفســـير أنه جعل دائـــرة (الظنيات) من المتغيرات غير الملزِمة، فنفى جملة واســـعة من أحكام الشريعة لتوهُّم فاسد؛ ظنَّ أن كلمة (الظن) تعادل في لغتنا العامية التوقُّع والتوهُّم والشك، وهي ليست كذلك؛ بل أحكام ثابتة وصحيحة.

الدائـــرة الثانية: دائـــرة المختلف فيـــه: فيجعلون كلَّ حكم اختلـــف الناس فيه ووقع فيه اختلاف بين العلماء حكماً متغيراً غير ملزم، وهذا النظر يتصوَّر أن أحكام الشريعة لا بد أن تكون مجمَعـــاً عليها حتى تكون ملزِمة، فهو يقلب معادلة الشـــريعة؛ لأن اللـــه – تعالى – يقول: ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَـيْءٍ فَـرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُـولِ﴾ [النساء: ٥٩]، وهو يريد ردَّ كلام الله و كلام رسوله ﷺ إلى كلام الناس؛ فكأن الشـــريعة لا اعتبار لها إلا إذا أجمع عليها العلماء؛ وكأن الأحكام لا تكون ملزِمة للمسلم إلا إذا أجمع عليها العلماء وهذا معنى ساقطٌ متفَق على فساده[1].

واشـــتراط الإجماع لجعـــل الأحكام الشـــرعية ملزِمة كلام سجالي يأتي به بعضهم للجدال لا غير؛ وإلا فلا أحد يطرد هذا الكلام فيقول على الحقيقة: إنه لا يعتقد بشيء إلا بعد الإجماع. ولهـــذا كان ابن حزم دقيقاً حين قال عنه: إنه (مذهب لم يخلق له معتقد قط، وهو ألا يقول القائل بنصٍّ حتى يوافقه الإجماع)[2].

وهـــذا الذي يقتصـــر على الإجمـــاع دون المختلف فيه، لا بدَّ أن يرجع فيفســـد حتى القضايا القطعيـــة؛ فإنه (لا بد أن يخالف الكتاب والسنة – حتماً – في كثير من القضايا، هذا في المخالفة القطعية، فأما الظنية فحدِّث عن كثرتها ولا حرج)[3].

الخلاصة إذن: أن أمامنا طريقين للتعامل مع هذا المصطلح:

الطريـــق الأول: تفســـير الثوابـــت بأنها هـــي القطعيات، والمتغيرات هي الظنيات، فيجب على من يسلك هذا الطريق أن يكون منهجه قائماً على عدم ترتيب أحكام على هذا الاصطلاح؛ وإنما يقال: إن هذا ثابت وهذا متغير لبيان درجة الحكم وليس

(١) انظر عدداً من أقوال أهل العلم في فساد هذه العبارة في مقالة (الانقياد المشروط) لكاتب المقالة، عدد ٢٧١ من مجلة البيان.
(٢) الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم: ٣/ ٤٨١.
(٣) الأنوار الكاشفة، ص٣٣.

لجعل أحدهما ملزِماً والآخر غير ملزم.

الطريق الثاني: في حال ترتيب الأحكام على هذا الاصطلاح، فيجب أن يتم تفسير الثابت والمتغير بشكل دقيق وصحيح لا يتضمن تجاوزاً على الحكم الشرعي، وهذا التفسير سيكون بجعل الثابت: ما ثبت بدليل شرعي؛ سواء كان قطعياً أو ظنياً أُجمِع عليه أو اختُلف فيه، فهذه مساحة ثابتة مرتبطة بالدليل الشرعي.

والمتغير: هو الحكم الاجتهادي الذي كان مرتبطاً بعرف أو مصلحة معيَّنة وتتغير بتغير الزمان والمكان.

فهذا هو التفسير الصحيح لهذا المصطلح؛ فالأحكام الظنية ليست متغيرة، والأحكام الخلافية ليست متغيرة، بل هي ثابتة، ووقوع الخلاف لا يجعلها متغيرة؛ لأنهم يختلفون بناءً على رؤيتهم في الأدلة؛ فهم يدورون حول محور ثابت، فيجب أن يتم الاختيار والترجيح بناء على هذا المحور، وليس متغيراً بحسب الزمان والمكان.

وهذا المنهج هو الأسلم والأصوب في تفسير (الثوابت) و (المتغيرات)؛ لأنه يفسر المتغير بما يناسب لفظه؛ فالمتغير في الأحكام هو ما كان معلقاً على وصفٍ متغيِّر: كعرف سابق أو مصلحة مرتبطة بظرف معيَّن؛ فحين يتغير الوصف الذي كان سبب الفتوى تتغير الفتوى تبعاً لذلك، وأما جعل الأحكام الشرعية الظنية أو الأحكام المختلف فيها في دائرة المتغيرات فهو خطأ؛ لأنها ليست متغيرة، ووقوع الخلاف فيها لا يحيلها متغيرة، والاختلاف الذي وقع فيها ليس تغيراً، بل هو اجتهاد راجع لفهم الدليل الشرعي الثابت، فهو راجع لاختلافٍ في الفهم، وليس تغيراً مرتبطاً بالزمان والمكان.

وهذا المنهج هو الأصح أيضاً نظراً لأن هذه المصطلحات قد عم استعمالها لدى كثير من الناس على اختلاف توجهاتها ومقاصدها، وهو ما يحتم مزيد عناية في ضبط المصطلحات والتأكيد على دقة معانيها؛ حتى لا تكون ذريعة لتمرير بعض التصورات المنحرفة من خلال المفاهيم المقبولة.

إن مشكلة مثل هذه المصطلحات المحدَثَة أنها تحوي حقاً وباطلاً، وفيها تفسيرات صحيحة وأخرى فاسدة، لكن الفرق الذي يميز المعنى الصحيح من المعنى الباطل لا يبدو جلياً دائماً، وكثيراً ما يبقى مشكلاً وملتبساً، ويرجع فيه لاجتهاد كل أحد، فتجد كثيراً من الناس يتفقون على تكرار هذه العبارة وبينهم في تفسيرها ما بين المشرقين؛ فالمعيار في التمييز معيار ذاتي لا موضوعي؛ فهو يرجع لفهم كل شخص وعلمه ودينه، وهو مزلق خطر يقود لانحرافات عدة.

وهذه إشكالية حاضرة بوضوح في مشهدنا الثقافي المعاصر؛ فبعض الأطروحات الإسلامية تقوم بدور سلبي على بعض الأحكام الشرعية ليس من جهة ما تقرره من معانٍ فاسدة، بل من جهة ما تسكت عنه من بيان المعاني الباطلة التي تختلط ببعض المعاني الصحيحة، وقد كان هذا من جملة الانتقادات التي وجهها المؤرخ (ألبرت حوراني) للشيخ محمد عبده، وذلك حين قال عنه: (كانت مؤلفاته تضبطها معرفته العميقة بالعلوم الإسلامية التقليدية، وما هو أهم من ذلك شعورهُ الحادُّ بالمسؤولية تجاه الإسلام؛ إلا أنه كان من شأن الخطة التي اتبعها أن توقع في التجربة أولئك المفكرين من ذوي النزعة الجدلية الذين حرصوا على الدفاع عن سمعة الإسلام أكثر مما حرصوا على اكتشاف حقيقته وتوضيحها، أعني بها تجربة الادِّعاء بأن الإسلام هو كلُّ ما يوافق عليه العالم الحديث، وبأنه ينطوي ضمناً على كل ما يظنُّ العالم الحديث أنه من اكتشافه)[1].

وهذه الإشكالية سبب لانحرافات ظاهرة في مشهدنا المعاصر؛ حيث تجد بعض الفضلاء يرفع شعارات مجملة يتوافق فيها مع عدد من المنحرفين والمحادِّين للشريعة، الذين يفرحون كثيراً بها لأن هؤلاء الفضلاء يدفعون بتصوراتهم إلى الجمهور الذي لا يمكنهم الوصول إليه، ويبقى الفروق بين الطرحين ذاتي لا موضوعي؛ فكلُّهم يتكلم بعبارات واحدة وكل شخص يفسرها بحسب ما يريد؛ بينما كان المفترض على الغيور على شريعة الله أن يحرص على تمييز الحق من الباطل فلا يكفي أن يقول ما يقصد به الحق، بل لا بد من تجلية الحق ورفع الالتباس عنه.

ولهذا تجد بعض المفاهيم كالحريات وحقوق المرأة والمساواة والدولة المدنية ونحوها تتردد من أقصى التيارات العَلمانية تطرفاً ويردِّدها كثير من الفضلاء من دون تمييز موضوعي يكشف الحق من الباطل، وليس المقصود أن يشرح الإنسان الكلمة في كل سياق؛ وإنما أن يكون منهجه الكلي واضحاً في تحديد المقصود من هذه المفاهيم، وفصل المعاني الباطلة عنه بوضوح تام بما يجعل الحق ساطعاً تشيح عنه وجوه الانحراف والعلمنة.

(١) الفكر العربي في عصر النهضة، لألبرت حوراني، ص ١٧٠.

رَبَّاه...!

عيسى جرابا

رَبَّـــاهُ مَـا فِـي يَـدِي ضَـيَّـعْـتُـهُ بِـيَـدِي
مَـا بَـيْنَ شَـوْقِي لأَمْسِي وَانْـتِـظَـارِ غَـدِي

نَـادَيْتُ نَـادَيْتُ... صَـوْتِي عَـادَ مُنْكَسِراً
يَحْسُو صَـدَاهُ وَيُـوْهِـي ضَـعْـفُهُ جَلَدِي

نَـثَـرْتُ أَسْـئِـلَـتِي كَـالـطِّـفْـلِ مُـنْـتَـظِـراً
جَـــوَابَ مَـنْ رَاحَ... حَـتَّى الآنَ لَـمْ يَعُدِ

فَلُذْتُ بِالصَّمْتِ، بَعْضُ الصَّمْتِ تَرْتَرَةٌ
تُقِضُّ مَضْجَعَ رُوْحِي فِي ثَرَى جَسَدِي

رَبَّـاهُ رَبَّـاهُ! مَـا لِـي حِـيْـلَـةٌ... رَكَـضَـتْ
بِـيَ الـسِّـنِـيْنُ فَـمَـا أَوْفَـــتْ وَلَـــمْ تَـعِـدِ

رَأَيْـــتُ فِـيْـهَـا وَقَـلْـبِـي مَـا يَـــزَالُ يَـرَى
مَـا لَيْسَ يَخْطُرُ لَـوْ كَالحُلْمِ فِي خَلَدِي

كُـؤُوْسُـهَـا مُـتْـرَعَـاتٌ لَـوْعَـةً وَأَسَـــىً
كَـمْ أَسْـلَـمَـتْ طَـرْفِـيَ الـمَـكْـدُوْدَ لِلسَّهَدِ!

طَالَ السُّرَى رِيْشَتِي مِنْ أَضْلُعِي، وَدَمِي
حِـبْـرِي... أَسَـطِّـرُ أَنَّـاتِـي عَـلَـى كَـبِـدِي

مَـرَاكِـبِـي فِـي خِـضَـمِّ الـمَـوْجِ مَـا هَـدَأَتْ
هَـوَى الـشِّـرَاعُ وَمِـجْـدَافِـي بِـغَـيْـرِ يَـدِي

وَالـرِّيْـحُ فِـي مَسْمَعِي تَـنْـصَـبُّ دَمْـدَمَـةً
تَـهُـزُّ قَـلْـبِـي وَتُـذْكِـي جَـــذْوَةَ الـكَـمَـدِ

أَمْضِي...! إِلَى أَيْـنَ...؟ لَيْلُ التِّيْهِ يُزْعِجُهُ
وَقْـعُ الـخُـطَى وَحُـدَاءٌ كَـالـصَّـبَـاحِ نَـدِي

الأَرْبَـعُـوْنَ تَمَـامُ الـرُّشْـدِ قُـلْـتُ كَفَى
مَا زِلْـتُ أَبْـحَـثُ... لَـكِـنْ لَـمْ أَجِـدْ رَشَـدِي

أَعَـيْـشُ وَحْـدِيَ بَـيْنَ الـنَّـاسِ لَـيْـسَ قِلًى
سَـئِـمْـتُ مِـنْ صَـوْلَـةِ الأَحْـقَـادِ وَالـحَسَدِ

تَـلُـفُّـنِـي غُـرْبَـةٌ... رَبَّـاهُ! كَـيْـفَ... وَمَـا
فَـارَقْـتُ أَهْـلِي وَلا هَـاجَـرْتُ عَـنْ بَلَدِي؟

أَنَـا هُـنَـا خَـفْـقَـةٌ أَسْـيَـا وَجَـانِـحَـةٌ
ثَـكْـلَـى وَحَـظٌّ تُـغَـذِّيْـهِ الـهُـمُـوْمُ رَدِي

حَتَّى مَتَى؟ لَـمْ يَـعُدْ فِي مُهْجَتِي رَمَقٌ
أَشْـكُـو وَلا أَحَـدٌ يُـصْـغِـي إِلَـى أَحَـدِ!

فَـصِـيْـحَـةٌ لُـغَـةُ الأَقْـــدَارِ أَحْـرُفُـهَـا
تَـنْـقَـضُّ كَـالـبَـرْقِ أَوْ تَـفْـتَـرُّ كَـالـبَـرَدِ

رَبَّـاهُ إِنْ ضَـاقَ دَرْبِـي وَاسْـتَـبَـاحَ فَمِي
لَـيْـلٌ... فَـإِنِّـي إِلَـى نُـوْرِ الـيَـقِـيْنِ صَـدِي

أوسلو...

٢٠ عاماً من المؤامرة

- **عبدالغني التميمي:** (الجامعة العربية كانت جزءاً من المؤامرة).
- **رائد نعيرات:** (أمريكا عدو وليست طرفاً محايداً).
- **يحيى موسى:** (عباس لا يمتلك شرعية ولا يمثل إلا نفسه).
- **طلال عوكل:** (كانت أوسلو رشوة للشعب الفلسطيني من أجل إنهاء قضيته).

أحمد أبو دقة

في صيف عام ١٩٨٩م صدر بيان عن المجموعة الأوروبية التي اجتمعت في العاصمة الإسبانية مدريد، يوصي منظمة التحرير الفلسطينية بإجراء مفاوضات مع (إسرائيل) للوصول إلى السلام. وبتاريخ ١٩٩٣/٩/١م ذهب وفد فلسطيني بقيادة رئيس حركة فتح ورئيس منظمة التحرير الفلسطينية الراحل (ياسر عرفات) بصفته ممثلاً عن الشعب الفلسطيني، يرافقه وفد أردني برئاسة الملك الراحل (حسين بن طلال) إلى العاصمة النرويجية أوسلو لتوقيع اتفاق إعلان مبادئ مع رئيس الوزراء الإسرائيلي الراحل (إسحاق رابين)، وذلك برعاية الرئيس الأمريكي الأسبق بل كلينتون، وبتشجيع عربي ودولي. نص هذا الإعلان في مجمَله وَفْق ما نشر مركز دراسات الوحدة العربية في إحدى دراساته عام ١٩٩٥م على تشكيل سلطة وطنية فلسطينية ذاتية، تتولى قيادة الشعب الفلسطيني في مفاوضات لمدة خمس سنوات تقوم خلالها (إسرائيل) بالانسحاب من الضفة المحتلة التي تمثل مساحتها ٥٨٢٠ كم، وقطاع غزة الذي تبلغ مساحته ٣٦٠ كم، وكلاهما يشكلان ٢٢,٣٦٪ من مساحة فلسطين التاريخية.

وبموجب الصلاحيات التي ستعطى للسلطة الفلسطينية يتم تنفيذ انتخابات حرة لتشكيل المجلس التشريعي الفلسطيني الذي تغطي صلاحياته فقط الضفة الغربية وقطاع غزة، كما نصت بنود الإعلان على تشكيل عدد من السلطات التي تدير الأمور في أرضي السلطة، مثل: سلطة الأراضي، والمياه... إلخ.

ونصَّ البند الثامن من الاتفاق على أنه من أجل ضمان النظام العام والأمن الداخلي لفلسطينيي الضفة الغربية وقطاع غزة ستشكل قوة شرطة فلسطينية قوية بينما تواصل إسرائيل تحمُّل مسؤولية الدفاع ضد المخاطر الخارجية وكذلك مسؤولية أمن الإسرائيليين العام بغرض حماية أمنهم الداخلي والنظام العام. وكان من أخطر بنود الاتفاق بند ينص على تشكيل لجنة الارتباط الفلسطينية الإسرائيلية المشتركة التي سميت لاحقاً بظاهرة (التنسيق الأمني)، الذي باسمه قامت أجهزة الأمن الفلسطينية بملاحقة عناصر المقاومة الفلسطينية وتسليمهم للأجهزة الأمنية الإسرائيلية تحت ذريعة الإخلال بعملية السلام. ويعتقد كثيرون من أبناء الشعب الفلسطيني أن (أوسلو) جاءت بجهود عربية ودولية وبضغوط أمريكية وأوروبية للحفاظ على (أمن إسرائيل) بعد اندلاع انتفاضة عام ١٩٨٧م وبداية ظهور الحركات الإسلامية على رأسها حماس؛ التي أخذت ترسل فدائيين لتفجير أنفسهم داخل المدن في (إسرائيل)، وكذلك

للتخلص من عبء منظمة التحرير الفلسطينية التي كانت تؤثر على الأوضاع الداخلية لعدد من البلاد العربية، وتوجه العرب نحو السلام بعد توقيع اتفاق (كامب ديفيد) سنة ١٩٧٩م بين مصر و (إسرائيل)، فكانت الطريقة المثلى بالنسبة للجميع خارج فلسطين أن يوضع حد لمنظمة التحرير وتتخلص (إسرائيل) من العبء الأمني الذي بدأ يتصاعد ويؤثر على استقرارها.

في شهر مايو من عام ٢٠٠٠م جمع الرئيس الأمريكي بل كلينتون كلاً من رئيس الوزراء الإسرائيلي إيهود باراك ورئيس السلطة الراحل ياسر عرفات في قاعدة (كامب ديفيد) العسكرية في محاولة جديدة لتوقيع اتفاق نهائي، وعرض على عرفات في حينها الحصول على ٩٧٪ من أراضي الضفة المحتلة وقطاع غزة لكنه رفض خشية غضب الشعب الفلسطيني واتهامه له بالخيانة والتخلي عن المقدسات الإسلامية. وبعد رفض عرفات للاتفاق أخذت (إسرائيل) تقاطعه وتحاصره في الضفة المحتلة، وفي المقابل دعمت قوى جديدة كان أبرزها القيادي في حركة فتح (محمد دحلان) وعدداً من المحيطين به حتى وفاة عرفات في شهر نوفمبر عام ٢٠٠٤م، وفي ٢٠٠٧/٨/١٣م صرح طبيب ياسر عرفات الخاص (أشرف الكرد) لصحيفة هآرتس الإسرائيلية أن عرفات حُقن بفيروس (الإيدز) لإخفاء سرِّ موته وتشويه سمعته، وكان الجميع في فلسطين يرى أن عرفات كان مرحلة وانتهت بعد رفضه التوقيع في (كامب ديفيد).

بدا المشهد الفلسطيني منقسماً مع صعود القوى الإسلامية؛ وخصوصاً حركة حماس التي عززت قوتها العسكرية على الأرض واكتسبت شعبية كبيرة مكنتها من الحصول على أغلبية مقاعد المجلس التشريعي الفلسطيني وتشكيل الحكومة عام ٢٠٠٦م، لتبدأ الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي بالتخلي عن وعودهم وديمقراطيتهم التي يدعون لها، وبدأت تدعم رئيس السلطة الجديد ومهندس أوسلو (محمود عباس) الذي وصف ذات يوم صواريخ المقاومة الفلسطينية بـ (العبثية) ومع تزايد الفلتان الأمني المنظم في قطاع غزة والضفة وزيادة المقاطعة لحركة حماس والضغط العسكري والاقتصادي على سكان القطاع، حسمت حماس أمرها وسيطرت بين عشية وضحاها على كل شيء في القطاع لتعيد صياغة الوضع الأمني وتطرح رؤيتها بقوة على العالم في عام ٢٠٠٧م، ومنذ ذلك الحين والجهود تبذَل لإنهاء الانقسام الفلسطيني لكنها تبوء بالفشل؛ لأن حماس التي تعتبر المقاومة هي الطريق الوحيد لتحرير فلسطين من بحرها إلى نهرها لا تتفق ورؤى حركة فتح التي يقودها محمود عباس ويعتبر أن المفاوضات هي خيار منظمة التحرير لتحقيق السلام ولاستعادة أرضي الضفة الغربية وقطاع غزة وَفْق قرارات الأمم المتحدة التي لم تنتصر لمبادئها يوماً.

أجرت مجلة البيان حوارات مفصلة مع عدد من المحللين السياسيين وشخصيات فلسطينية بارزة للتعرف على موقفها تجاه مسيرة أوسلو خلال العقدين الماضيين ونتائجها على الأرض، وكانت الحوارات التالية:

مرحلة اشتباك:

يقول المحلل السياسي الفلسطيني (طلال عوكل) خلال حوارنا معه: إن عشرين عاماً طويلة مر بها الشعب الفلسطيني بتجربة معقدة عنوانها الانقسام الفلسطيني الذي لم يبدأ بسيطرة حماس عام ٢٠٠٧م؛ بل كان موجوداً من البداية بين مؤيدين ومعارضين لأوسلو، لكن الكل دخل في مناخ أوسلو؛ لأنها كانت رشوة للشعب الفلسطيني من أجل هدف واضح عنوانه (البحث عن السلام).

ويشير عوكل إلى تراجع دور الفصائل الفلسطينية خلال هذه المرحلة، وظهور حركة حماس منافساً قوياً لحركة فتح التي تهيمن على السياسة الفلسطينية. وبالنظر إلى هاتين القوتين في الواقع الذي نعيش فيه اليوم فإننا سنجد تعارضاً في البرنامج والخيارات وحتى السيطرة الميدانية، وهذا أدى إلى تغيرات جوهرية في أدوات النضال الفلسطيني.

ويتابع: الفصائل الأخرى تراجع دورها ولم تعد تسيطر على العامل الوسطي بين فتح وحماس، وكذلك حركة التضامن العربي والدولي صحبها كسل كبير أثَّر على مسار النضال الفلسطيني.

ومع مرور هذا الوقت يرى المحلل السياسي أن الشعب الفلسطيني الآن أمام مرحلة جديدة يجري فيها تحوُّل كبير متمثل في ضعف سيطرة خيار المفاوضات والبحث عن السلام إلى الاشتباك والصراع بوسائل جديدة. ويقول: (لاحظنا أن إسرائيل جرَّت الفلسطينيين إلى اشتباكات عسكرية مع بداية الانتفاضة وهذا ساعد القوى الإسلامية على النهوض. وعلى الرغم من ذلك فإن خيار المفاوضات لم يغب عن تلك المرحلة).

ويتابع عوكل خلال حديثه مع البيان: (هناك عملية مراجعة لم تتم بالمعنى العلمي؛ لقد مرت ٢٠ عاماً على بداية المفاوضات والنتيجة: لا يوجد أمل في تلك المفاوضات؛ فـ (إسرائيل) صادرت الحقوق الفلسطينية، والآليات التي اتُّبعت في المفاوضات كانت فاشلة، واحتكرت الولايات المتحدة رعاية المفاوضات، كذلك لم يكن هناك طرق تحكيم بين الطرفين... إلخ.

ربما يظن الرئيس محمود عباس أن الذهاب إلى مجلس الأمن للحصول على اعتراف بفلسطين سيفتح المجال أمام استئناف المفاوضات؛ باعتبار ذلك ضغطاً على الولايات المتحدة و (إسرائيل) لاستمرار المفاوضات).

ويستكمل الحديث قائلاً: (لكن برأيي هذه الخطوة خطوة صراع واشتباك وتسليم الملف إلى الأمم المتحدة وسحبه من اللجنة الرباعية الدولية).

ويرى الأستاذ عوكل أيضاً أن بعض العوامل التي ساعدت على اتخاذ مثل هذه الخطوة تتمثل في الأزمة الاقتصادية العالمية التي تعاني منها الولايات المتحدة، وكذلك أثرت على الوضع الداخلي في إسرائيل، والعزلة الدولية التي تمارَس ضد إسرائيل، والمناخ الثوري الذي جرى في الوطن العربي. هذا كله جعل الرئيس عباس يذهب إلى الأمم المتحدة دون خوف من أن يجري له ما جرى للرئيس ياسر عرفات.

ومن وجهة نظره يقول كذلك: (باعتقادي أن هذه المعركة السياسية قد تربح جزئياً، وفي كل الحالات هناك إنجاز، هو: وضع القضية الفلسطينية على أجندة المجتمع الدولي، وتقويض مصداقية الولايات المتحدة. واستخدام الفيتو سيلحق الضرر بعلاقات الولايات المتحدة بدول المنطقة العربية. أنا أشك في إمكانية حصول فلسطين على اعتراف دولي؛ لأن الولايات المتحدة تبذل قصارى جهدها لمنع حصول هذا الملف على تسعة أصوات لتتجنب استخدام حق الفيتو، وكل ذلك له علاقة بطموحات الرئيس الأمريكي باراك أوباما الانتخابية؛ لأنه بهذا الملف يريد شراء أصوات اليهود في الانتخابات القادمة).

ويعتقد طلال عوكل أن الوضع العربي والإقليمي يتحسن لصالح القضية الفلسطينية. وفي الجهة الأخرى من الصراع يرى أن (إسرائيل) تعمل على نسف كل ما يسمح بإمكانية إقامة دولة فلسطينية على حدود عام ١٩٦٧م، ويسعى الساسة الإسرائيليون الآن لتطبيق فكرة رئيس الوزراء السابق (أرئيل شارون) الذي اقترح عام ١٩٨٤م فكرة الوطن البديل، ومَنْح الأردن وطناً بديلاً للشعب الفلسطيني أو إنشاء دولة على أرض غزة و ٤٢٪ من أراضي الضفة الغربية، وذلك من خلال تهويد الأراضي في الضفة المحتلة والقدس.

وبحسب المحلل الفلسطيني فإن تركيا تنشأ بروح جديدة وبأولويات جديدة وستؤثر على مجريات الصراع العربي الإسرائيلي؛ وذلك وَفْقاً لحساباتها الإستراتيجية، وهذا ساعد كثيراً على انحسار الدور الإيراني. وكذلك التوتر في العلاقة بين باكستان والولايات المتحدة مؤخراً، والتغير في المنطقة العربية... كل ذلك يخلق قلقاً شديداً بالنسبة لـ (إسرائيل) ويجعلها في عزلة. ويضيف بكل تأكيد: إننا أمام مرحلة جديدة لصالح القضية الفلسطينية.

ويعلق عوكل سريعاً على ملف المصالحة الفلسطينية قائلاً: (المصالحة الفلسطينية لديها مناخ جيد يشجع على إتمامها، لكن للأطراف السياسية حساباتها، ومن وجهة نظري فإن الوضع الذي يعيشه الشعب الفلسطيني لا يسمح بأن نقول: إن اتفاق المصالحة الذي تم توقيعه في القاهرة كافٍ لإعادة صياغة الوضع الفلسطيني لمجارات الوضع العربي المتغير، نحن بحاجة إلى حوار إستراتيجي لإعادة بناء المؤسسات الفلسطينية على أسس تناسب المرحلة الحالية، وأشك في وجود مثل هذا التوجه للفصائل الفلسطينية.

أمريكا عدو وليست وسيطاً:

لم تكن الولايات المتحدة منذ بداية مسيرة أوسلو إلا سنداً وعوناً لـ (إسرائيل) وطرفاً عدواً للشعب الفلسطيني، هذا ما يراه جميع من حاورناهم في هذا التقرير، لكن بتفصيل أكثر يرى الدكتور رائد نعيرات (رئيس قسم العلوم السياسية في جامعة النجاح الفلسطينية) أنه عند الحديث عن الدور الأمريكي في الصراع الفلسطيني الإسرائيلي فإنه يظهر جلياً أن الإدارة الأمريكية تفردت برعاية المفاوضات منهجياً وسياسياً وإدارياً ولم تترك خياراً لأي قوى عالمية للتدخل في ذلك.

ويتابع نعيرات: (تحول الدور الأمريكي من دور الوسيط إلى دور الراعي المسيطر على العملية التفاوضية وتطورها، وتوجيهها وبالذات عند الحديث عن الأبعاد الاقتصادية لعملية السلام؛ فمما هو معروف أن الولايات المتحدة لا تقدم كثيراً للشعب الفلسطيني (مالياً)؛ ولكنها تتحكم في السياسات التمويلية).

ومن وجهة نظره فإن الإدارة الأمريكية سعت إلى إلغاء دور المؤسسات الدولية وإرجاع أي خلاف فقط لثنائية العلاقة بين الإسرائيليين والفلسطينيين وتحت الرعاية الأمريكية.

وقال نعيرات الذي يعيش في الضفة الغربية التي تسيطر عليها حكومة سلام فياض التي تعيش في كنف الولايات المتحدة و (إسرائيل): (اعتُبرتْ الولايات المتحدة بمثابة المروِّج لما لا تستطيع السياسات الإسرائيلية القيام به؛ فنجد في بعض الأحيان أن الموقف الأمريكي متصلب أكثر من الموقف الإسرائيلي في قضايا معينة).

ويرى أيضاً أنه لا يمكن الحديث عن إيجابيات في الموقف الأمريكي على المدى القريب إلا في عدة حالات تتمثل في تطورات الموقف الفلسطيني وملف المصالحة والدعم العربي للقضية الفلسطينية واحتضانها على أنها قضية مركزية، وكذلك التغيرات التي قد تطرأ على العالم العربي والإسلامي، والتي تجبر بعض الأنظمة على الخروج عن طاعة الموقف الأمريكي استجابة لرغبات شعوبها.

ومن الأسباب التي يرى الكاتب أنها تساهم في إضعاف التدخل الأمريكي ودفاعه المستميت عن المصالح الإسرائيلية، هو التغيرات في مواقف الدول الأوروبية وبعض دول العالم التي بدأت تأخذ منحىً جديداً.

مؤامرة على القضية:

أما الشيخ عبد الغني التميمي (رئيس رابطة علماء فلسطين في الخارج) فإن أوسلو بالنسبة له مرحلة سوداء ومظلمة في تاريخ الشعب الفلسطيني، وهي انعطافة خطيرة أريد من خلالها القضاء على مشروع المقاومة والجهاد في فلسطين، وإدخال الشعب الفلسطيني في نفق مفاوضات مظلم ليس له نهاية، وهذا – فعلياً – ما حدث خلال العقدين الماضيين.

ويقول خلال تصريحه لـ البيان: (مع أن أصحاب أوسلو نعوها منذ زمن واعتبروها عملية ميتة، لكن مع الأسف لا يزال بعضهم يتمسك بها ويسعى إلى إفشال المقاومة).

ويعتقد الشيخ التميمي أن أوسلو لم توصل الشعب الفلسطيني إلا من سيئ إلى أسوء، وهي مفاوضات من أجل المفاوضات وليس هناك أي إنجاز حصل منذ بدايتها؛ فبغطاء من (أوسلو) يستولي العدو الصهيوني على الأراضي ويبني المستوطنات في أماكن حساسة في الضفة الغربية.

وسألناه عن وجهة نظره في التصريحات الإعلامية التي تدعو إلى حل السلطة ككيان ممثل للشعب الفلسطيني؟ فقال: (إن خيار حل السلطة الفلسطينية في الظرف الراهن يحتاج إلى تأمُّل ودراسة وتوافق فئات الشعب الفلسطيني، أنا لست مع أو ضد؛ ولكن أنا مع دراسة الأمر بتأنٍّ. يجب إيجاد بديل قوي ومشروع لهذه السلطة التي فاوضت على كل شيء دون أن تأخذ بعين الاعتبار أن هناك ثوابت وخطوطاً حمراء لا يجب الحديث عنها في أي مفاوضات؛ فهي فاوضت على المقدسات الدينية في القدس والحرم الإبراهيمي في الخليل، فلم تدع شيئاً إلا وفاوضت عليه).

أما بخصوص الدعم العربي فقد انتقد التميمي الحالة العربية والإسلامية، وقال: (الدعم العربي والإسلامي مشكوك فيه من الأساس؛ فالقضية الفلسطينية ليست وليدة اليوم، ولكن مضى عليها أكثر من ستين عاماً وهي تراوح مكانها، وكلما امتد الزمان تواطأت عليها الأنظمة العربية والإسلامية، ولم تقف هذه الأنظمة موقفاً جاداً للدفاع عن فلسطين؛ لم تهيئ جيوشها وتعدَّ جندها لتحرير فلسطين، على الرغم من أنها أمة قوية وواحدة وتمتلك كثيراً من الثروات لكن مع الأسف تخاذل المسلمون وتخلَّوا

عن الشعب الفلسطيني في محنته، بل إن هناك مَنْ تآمر على القضية الفلسطينية وساعد على تشريع الاحتلال والاستيطان داخل فلسطين المحتلة.

وتحدث رئيس رابطة علماء فلسطين في الخارج عن موقفه من أداء الجامعة العربية خلال هذه المرحلة معبِّراً عن استيائه من حالة العجز التي تعيشها. وذكر أن الجامعة العربية تتحمل المسؤولية عن تمرير كثير من المخططات التآمرية من خلالها، ولم تقف يوماً من الأيام موقفاً جدياً تجاه القضية الفلسطينية.

توجه رئيس السلطة الفلسطينية إلى الأمم المتحدة للمطالبة باعترف (بدولة فلسطين) في حدود عام ١٩٦٧م دون الحصول على إجماع وطني فلسطيني، ويرى الشيخ التميمي أن هذه الخطوة من عباس خاطئة من الناحية الشرعية، ويقول: (هي جزء من حلقات التآمر التي تقوم ضد القضية الفلسطينية).

وتابع قائلاً: (نحن لا نمانع أن تُسترَد فلسطين على مراحل؛ ولكن لا يجب أن نعترف بدولة يهودية أو صهيونية داخل فلسطين المحتلة؛ ففلسطين التاريخية معروفة وهي من البحر إلى النهر، هذه خيانة ولا يجوز شرعاً الاعتراف بفلسطين ضمن حدود عام ١٩٦٧م، إن استرداد فلسطين مرحلياً جائز وَفْق طاقتنا وقدراتنا وقوتنا وما نستطيع أن نتخطاه من التآمر والكيد العالمي).

ودعا الشيخ عبد الغني التميمي المقيم في العاصمة السعودية (الرياض) الشعب الفلسطيني إلى توحيد صفه وخياره خلف المقاومة ضد العدو الصهيوني، وقال: (يجب أن نسعى بكل ما نملك لإفشال مخططاتهم؛ لذلك يجب على الفصائل الفلسطينية في هذه المرحلة أن تعيَ أن الانقسام والتشرذم هو من مصلحة الاحتلال وهو ما يسعى إلى تحقيقه؛ لذلك يجب أن تتسامى عليه، وأن تكون أكثر وعياً من هذا الكيد الذي يدبَّر للشعب الفلسطيني).

حماس بخير:

وبالنسبة لحركة المقاومة الإسلامية حماس التي تحكم قطاع غزة، فإنها ترى أن (أوسلو) كارثة حلَّت على الشعب الفلسطيني، وقال النائب في المجلس التشريعي والقيادي في الحركة (يحيى موسى): (بدون مبالغة، فإن أكبر كارثة تعرَّض لها الشعب الفلسطيني بعد نكبة عام ١٩٤٨م كانت اتفاقية أوسلو والمفاوضات التي أتت بعدها على مدار عشرين عاماً؛ فهي أقرَّت بالاحتلال وأعطته الشرعية وتخلَّت عن ٨٠٪ من أراضي فلسطين ولم تحسم أمر ٢٠٪ من الأراضي التي يتم التنازع عليها وتحاول إسرائيل تهويدها).

ويرى موسى (الذي شغل منصب رئيس حزب الخلاص الإسلامي في السابق) أن ما جرى هو فلسفة أمنية تقوم على منح الوقت الكافي للاحتلال الإسرائيلي من أجل تهويد مزيد من الأراضي. ولديه قناعه بأن التفاوض كان غطاء استغله الاحتلال الإسرائيلي لإقناع العالم بأنه يريد السلام وأن المشكلة في الفلسطينيين ومطالبهم.

وقال لـ البيان: (إن أوسلو أعفت الاحتلال من دفع الفاتورة الأمنية والاقتصادية، لكنَّ أطرافاً فلسطينية (كان لها مصالح مرتبطة بالاتفاقيات) لم تمتلك الإرادة السياسية للتخلص من هذه المرحلة القذرة في تاريخ الشعب الفلسطيني خوفاً على مصالحها).

ويؤيد النائب عن قائمة حماس إجراء حوار إستراتيجي فلسطيني لطرح كافة الأوراق الفلسطينية على الطاولة لمناقشتها وَفْق إجماع وطني، وتوحيد الصف الفلسطيني بعد الانتكاسة التي تعاني منها المصالحة الفلسطينية والمفاوضات التي تجريها السلطة الفلسطينية والخروج بأهداف واضحة لتحرير فلسطين.

ولا يعترف النائب موسى بشرعية منظمة التحرير ممثلاً للشعب الفلسطيني ويقول: (قرارات منظمة التحرير الفلسطينية مختطفة وليست دستورية ولا تسير وَفْق المشروع الوطني الفلسطيني، وهم يتخذون قرارات بعيداً عن الإجماع الوطني الفلسطيني وهذا يضاف إلى سجل مخالفات منظمة التحرير. نحن نعتبر أن قرار الذهاب إلى الأمم المتحدة للحصول على الاعتراف بدولة كارثيٌّ ويضر بمصالح الشعب الفلسطيني ويعطي شرعية للاحتلال ويضيع حقوق الشعب الفلسطيني، والشعب الفلسطيني لم يفوض عباس للتنازل عن حقوقه).

ويعلِّق القيادي في حماس على ما يجري في العالم العربي بالقول: (إن العالم اليوم لا يحترم إلا الأقوياء ومع تصحيح المسار السياسي العربي وبناء مجتمعات قوية، سيتم إعادة التوازن إلى هذا العالم وسيؤثر ذلك في سياسات القوى العالمية التي ستحترم رغبات الشعوب العربية والإسلامية).

ويرى موسى أن هذه المرحلة مفصلية في التاريخ العربي والإنساني، وهي بداية التخلص من الاستعمار وبداية مشاركة الشعوب في بناء أوطانها.

وحول الوضع الداخلي لحركة حماس قال موسى: (حماس مرت بمراحل مختلفة وظروف قاسية، واعتقد أنه على الرغم من كل ذلك فهي الآن بحالة أفضل؛ فهي خرجت من حصار وحرب وفلتان أمني ومؤامرات داخلية وخارجية، لكن ذلك زاد وحدتها وثقتها بنفسها).

فلسطين ورياح التغيير:

لخصت دراسة إسرائيلية نشرها معهد (شطاينمتس) لأبحاث السلام عام ٢٠٠٩م المرحلة التي تمر بها السلطة الفلسطينية بقوله: (إن الصراع المتواصل بين فتح وحماس داخل السلطة الفلسطينية قد يضعف السلطة كثيراً؛ ولذلك فإن فتح حريصة على بقاء السلطة كإنجاز تاريخي لها بالرغم من أن الجمهور الفلسطيني يرى أنها جهاز حكم فاشل).

وتضيف الدراسة: (إن حماس في المقابل تطرح نفسها بديلاً عن فتح لأنها تسعى إلى تحقيق تطلعات الشعب الفلسطيني في الاستقلال، وبالرغم من انتهاء ولاية أبي مازن كرئيس شرعي بدون إنجازات على الأرض، إلا أن المجتمع الدولي ما زال مهتماً بإبقاء السلطة وعدم التخلي عنها).

وتشير أيضاً إلى أن حماس تبدي جدية وحسماً في تعاملها مع الوضع الداخلي (كالتعامل مع العائلات، والمضربين عن العمل) في قطاع غزة ولا تسمح لأي جهة كانت بتهديد سيطرتها على مجريات الأمور في غزة، وإن كانت فتح بموازاة ذلك تقوم بفرض سيطرتها بالقوة على الضفة الغربية إلا أنها لا تتمتع بالشرعية الشعبية، وفي المقابل تطرح حماس نفسها على أنها حركة وطنية لها شرعية في أن تكون في الحكم.

وتقارن الدراسة بين حركتي فتح وحماس في تأثير غياب القيادة الكاريزمية؛ ففي حين أن حركة فتح تعتبر ذلك أمراً حاسماً في تحديد مصيرها، فإن حركة حماس يمكن أن تغطي ذلك بالفكر الأيديولوجي والإيمان بعدالة الطريق.

وتنتهي الدراسة بالقول: إن فتح تعاني من انقسامات داخلية مخيفة، والحرس القديم منقطع عن الجمهور، إضافة إلى أنه لا يستطيع التوحد في ما بينهما لاتساع حجم الخلافات، وهو ما أدى لتأكل شعبيتها وشرعيتها، بعدما فشلت في تطبيق الإصلاحات التي وعدت بها جمهور الضفة المحتلة لغياب روح القائد، كل ذلك أدى لتصاعد تأييد حماس هناك، وأيضاً لاعتقاد الناس أن فتح تقوم بدور (إسرائيل) في ملاحقة حماس، وهذا ما دفع بعض قيادات فتح لإبداء رغبتهم بحل السلطة بسبب فشل مسار المفاوضات.

ويعتقد أن الصراع بين فتح وحماس في أصله إنما هو حول علمانية السلطة في المستقبل أم تدينها؟ وهذا يخيف (إسرائيل) والعالم الغربي كثيراً، لكن أفعال (إسرائيل) على الأرض تمنح الفرصة لتعزيز قوة حماس في الأراضي الفلسطينية.

أما بخصوص رياح التغيير التي هبَّت على العالم العربي فإن دراسة (إسرائيلية) أعدها لواء الاحتياط (جيورا إيلاند) ونشرت في منتصف العام الحالي تقول: إن الدول التي يمكن أن يكون للثورات الحاصلة فيها تأثير مباشر أو غير مباشر على (إسرائيل)، هي: مصر وسورية ولبنان والأردن والبحرين، بينما استبعد الكاتب أن يكون لما حدث في تونس أو ما يحدث في ليبيا واليمين أي تأثير يذكر على (إسرائيل) من الناحية الإستراتيجية.

وبخصـــوص مصر يقول الكاتب: إن التغييـــر الحقيقي لم يحدث سوى أن حســـني مبارك رحل والمجلس العســـكري يستطيع أن ينتقم من مبارك ليجعل مؤيدي الثورة ســـعداء، لكن تحقيق تنمية اقتصادية ســـيكون صعباً، وتحدث الكاتب عن تشابك العلاقات الاقتصادية بين مصر و (إسرائيل)، وأشـــار إلى (السياحة وبيع الغاز والدخل من قناة الســـويس والحصول على المعونات الأمريكية). ويســـتنتج الكاتب أن النظام الموجود في مصر لن يضحي بسهولة بهذه المكاسب الاقتصادية.

أما على مســـتوى التحديات الأمنية فيعتقد (جيـــورا إيلاند) أن ضعف الســـيطرة على سيناء، واســـتمرار تهريب السلاح إلى غزة هي قضايا تكتيكية، بينما الأمر الأهم هو طبيعة التوجه المستقبلي المصري للتعامل مع (إسرائيل) في قضية الحرب والسلام.

ويرى الكاتب أن الاســـتقرار في ميزانية الدفاع الإسرائيلية أفادت (إسرائيل) في التوسع الاســـتيطاني وشن حرب على لبنان، وكل ذلك بفضل السلام مع مصر.

أما بخصوص سورية فسيتعرض (جيورا إيلاند) أربع سيناريوهات يمكن أن تؤول إليها الأمور في سورية:

الأول: أن يبقى نظام الأســـد يحكم ســـورية لعدة سنوات، ويشير الكاتب إلى أن هناك جهات في (إســـرائيل) تفضل هذا الســـيناريو، ويستشـــهد الكاتب بموقف (أرئيل شارون) الذي رفض التدخل لمحاولة إسقاط الأســـد عندما كان في اضعف حالته عام ٢٠٠٥ بعد اغتيال رفيق الحريري، وكان (شارون) يخشى من أن يصعـــد إلى الحكم أطراف غير معروفة التوجهات، بينما إذا ظل الأسد فـ (سينشـــغل في ترتيب البيت الداخلي، ومحاولة اكتســـاب الشـــرعية الدولية)؛ وهـــو ما يعني استبعاد أي خيار عسكري مع إسرائيل. وهذا التفكير من شارون (تفكر به أطراف من صناع القرار في إسرائيل).

أما الســـيناريو الثانـــي: فيفترض أن نظام الأســـد سيســـقط، وهو ما ســـيضعف ســـورية، ولكنه قد يزيد من التأثير الإيراني فيها، وفي المجمل ســـتضعف الدولة السورية؛ لكن الهدوء على حدودها مع (إسرائيل) سيهتز.

وأما السيناريو الثالث: فإنه سيصعد في سورية نظام حكم ســـني متدين، وهو ما قد يعنـــي فقدانه لجزء من الدعم الإيراني، لكنه قد يصبح أكثر ميلاً لاتخاذ مواقف عدائية ضد (إسرائيل).

وأمـــا الســـيناريو الرابـــع: فيتوقع قيـــام نظام حكم ديمقراطي في سورية ويقيم علاقات حسنة مع الغرب، لكن ذلك لا يعني استعداداً لتوقيع اتفاقية سلام مع (إسرائيل)؛ لأن ذلك سيغضب الشعب السوري.

وفـــي ما يخص لبنـــان فيرى (جيورا إيلانـــد) أن هذا البلـــد له وضعه الخـــاص، وأن حزب اللـــه معني في هذه الأيام بتعزيز شـــرعيته الداخلية، كما أن شعبيته في الشارع العربي تدهورت بســـبب دعمه للنظام الســـوري الذي يقمع شـــعبه، علاوة على أن الثورات العربية لم تستلهم روح الثورة الإيرانية، بل كان لها طابعها الخاص. ويذكر الكاتب أن حزب الله لن يلجأ إلى استفزاز (إسرائيل)؛ لأنه مشغول بالحفاظ على شرعيته في لبنان.

وعلـــى الرغم من هدوء الأوضاع فـــي الأردن إلا أن الكاتب يـــرى أن هناك بوادر حـــدوث تغيير في المملكة، ويؤكد (جيورا إيلاند) أن حـــدوث أي تغيير جوهري في الأردن سيفرض على إسرائيل تحديات أمنية كبيرة بسبب طول الحدود بينهما.

وتوقـــع الكاتب ضعـــف التأثير المصري والســـوري فـــي المرحلة الحالية؛ لأنهما ســـتكونان مشـــغولتان في شؤونهما الداخلية، وهو ما سيعزز الدور الإقليمي لتركيا والســـعودية. كما أن رئيس الوزراء التركي يتعاطى مع كل الأحداث في المنطقة في مقابل الســـلبية التي تتعامل بها الجهات الغربية.

[المسلمون.. والعالم]

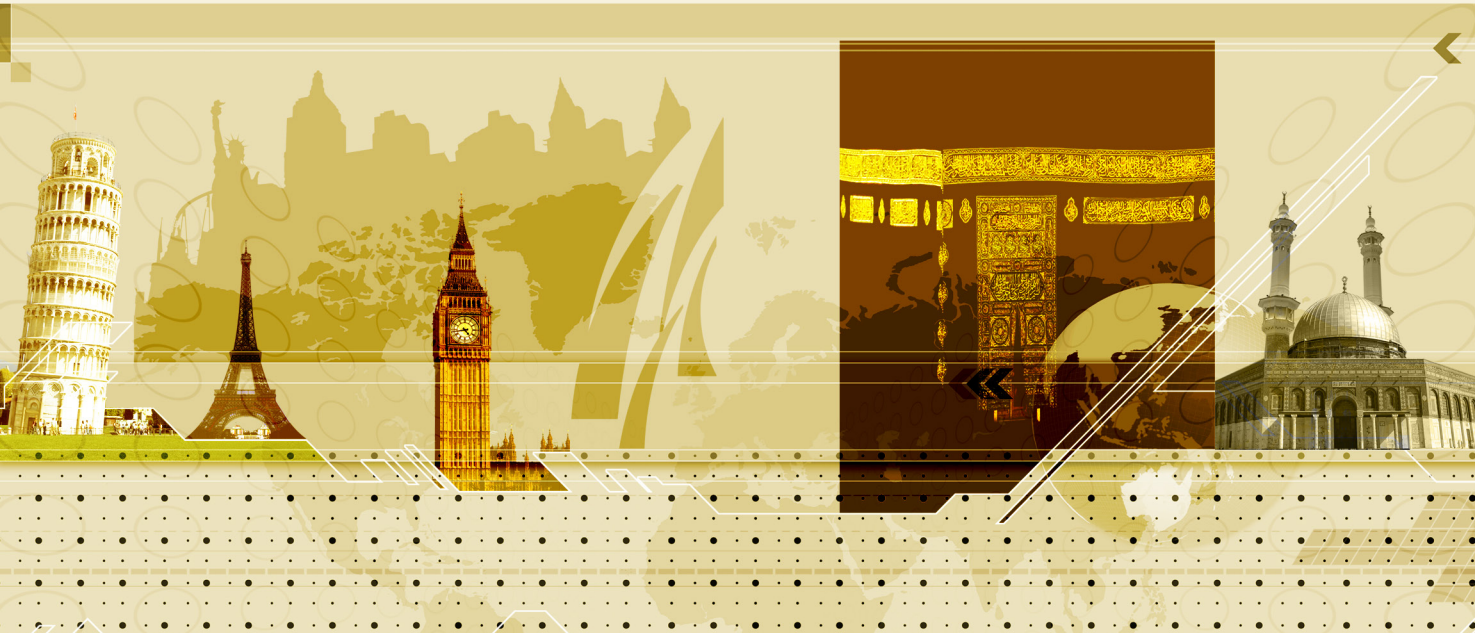

الثورات العربية... والانطلاق الدعوي
د. عبد العزيز كامل

السنن مصيدة الغافلين
د. يوسف بن صالح الصغير

أحداث ماسبيرو والانقضاض على مصر
محمد بن شاكر الشريف

مع بداية أخطر انتخابات برلمانية في تاريخ مصر
إسلام عبد العزيز

مرصد الأحداث
جلال سعد الشايب

الثورات العربية... والانطلاق الدعوي

د. عبد العزيز كامل
damk@hotmail.com

أمتنا أمة دعوة في منشطها ومكرهها، وفي قوتها وضعفها، وهذا سر خيريَّتها على سائر الأمم، كما قال - سبحانه -: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠]. فهذه الأمة هي الوحيدة الباقية على أصل التوحيد، باعتباره أعرف المعروفات، والناهية عن الشرك لكونه أنكر المنكرات. وهكذا صاغ الإسلام شخصية كل مسلم، فعقيدته «دعوة» للحياة على التوحيد، وشريعته «دعوة» للاستقامة على التوحيد، وأخلاقه «دعوة» بآثار هذا التوحيد، واحتسابه «دعوة» للصلاح والإصلاح بذلك التوحيد، وحتى جهاده «دعوة» لحفظ جناب هذا التوحيد وإدخال الناس فيه، و «عجب ربنا من قوم يقادون إلى الجنة بالسلاسل»(١). ولهذا أُمر رسول الله ﷺ بأن يصدع بهذا: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢ - ١٦٣].

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده عن أبي هريرة، رضي الله عنه.

والتغيُّرات والتحوُّلات الحادثة في الأمة - سواء كانت انتصارات أو انكسارات - تفرض دائماً تحركاً بالدعوة يناسبها؛ ففي حال الانتصارات والفتوحات يعقبها فتوحٌ في القلوب، فيهتدي كثيرون، لم يكن لهم بالإسلام سابق انتساب أو سابق التزام، كما أشار القرآن، في قول الله - تعالى -: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ [النصر: ١ - ٣]. وهؤلاء الداخلون يحتاجون إلى تسديد وترشيد بالدعوة لأحكام الدين عقيدة وشريعة. أما إذا كانت الأخرى، وحدثت هزائم أو انكسارات، فلا يجبر كسر الأمة، ولا يقيل عثرتها ويخرجها من جو الهزيمة، إلا الدعوة الحكيمة التي تصحح المسيرة، وتعالج الأخطاء.

وعند التأمل في أحوال الناس بعد الانتفاضات

والثورات العربية الأخيرة، نجد أنه إلى جانب انفتاح أبواب الدعوة أمـام الصالحين والمصلحـين؛ فإن أبواباً كثيرة، قـد فُتحت أمام دعاة الشـيطان الواقفين على أبواب جهنم؛ حيث من أجابهم إليها قذفوه فيها كما أخبر النبي ﷺ[1]. وفي كلا الحالتين لا مناص من إطلاق عنان الدعوة إلى الله بكل السبل، ترغيباً في سبيل المؤمنين، وترهيباً من سبيل المجرمين.

وقد كشـفت تطورات تلـك الثورات أن حزب الشـيطان له كثير من الخلايا التي كانت نائمـة، أزعجتها صيحات الإيمان هنا وهناك، فانطلقت بدعوات مضادة عالية الصوت عالمية الصدى، تستميت لأجل التشكيك في محكمات العقيدة، ومسلَّمات الشريعة وحرمات المسلمين، غير هيابة من العاقبة أو العقوبة؛ لأنها محمية بضمانةٍ (ليبرالية) كاملة في التمرد، تحت شـعار (حقوق الإنسـان) في أن يكفر أو يفجر، وفي ظـل (قيم الديمقراطية) التي إذا فتحت باباً من أبواب الإصلاح؛ فإنها تكسر آلاف الأبواب أمام طوفانات الفساد؛ لأن «قيم» الديمقراطية هذه لا تعني شيئاً غير ترسيخ العَلمانية بكل معانيها. وهذه حقيقة لا بد أن يعرفها من لا يعرفها، ويعترف بها من لا يريد الاعتراف بها.

لكن آفاقـاً جديدة نحو صحوات إسـلامية جديـدة، بدأت بوادرها تلوح في الأفق مؤخراً، في بلدان وبيئات لم تكن قد أخذت حظها من موجات انتشار المد الإسلامي في العقود الأخيرة لشدة البطش فيها، مثل: تونس وليبيا وسورية، وهذه الصحوات المنتظَرة في تلك البلاد وغيرها، تسـتوجب اسـتنفاراً دعويـاً من داخلها وخارجها، يتلقـف الداخلين في دين الله أفواجاً. وفي الوقت ذاته هنـاك مراحل جديدة من الصحوة في البلدان التي سـبقت إليها الصحوات، يرجى لها أن تتحول إلى نهضات.

لكن هناك قوى داخل بلاد المسلمين وخارجها لا تريد لهذه الأمة أن تنهض بالإسلام أو تتقدم أو تصل إلى أي إنجاز أو خير لدنيا أو آخرة، وهذه القوى الكارهة للدين تتربص الآن بالبلدان التي شهدت تحولات جماهيرية لتحوِّلها إلى صدامات وصراعات وفتن لا تنتهي، والأمر كما قال الله – تعالى –: ﴿مَا يَـوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلا الْمُشْـرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّـنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [البقرة: ١٠٥]، وقال: ﴿وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَـارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٠]،

(١) أخرج البخاري في صحيحه عن حذيفة بن اليمان – رضي الله عنه – يقول: كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني، فقلت: يا رسول الله! إنَّا كنا في جاهلية وشر فجاءنا الله بهذا الخير؛ فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: «نعم». قلت: وهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: «نعم، وفيه دخن». قلت: وما دخنه؟ قال: «قوم يهدون بغير هديي تعرف منهم وتنكر». قلت: فهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: «نعم، دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها». قلت: يا رسول الله! صفهم لنا. قال: «هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا». قلت: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال: «تلزم جماعة المسلمين وإمامهم». قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: «فاعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تعض بأصل شجرة، حتى يدركك الموت وأنت على ذلك».

وقال: ﴿الَّذِينَ يَتَرَبَّصُـونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْـتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [النساء: ١٤١].

وهذه القـوى المتربصة بالدين وأهله تتحـين الفرص الآن بالبلدان التي شـهدت تحولات جذرية أو كلية، لتحُول بينها وبين العودة للإسـلام أو النهوض به من جديـد، مصممة على إعادة الإسـلاميين إلى أجواء الكبت والتضييق والتهميش والتشـويش على سـمعتهم وأمانتهم وكفاءتهم؛ ليحولوا بينهم وبين الجماهير المتعطشـة والمتعاطفة مع الدين وأهله من الصالحين. لذلك فإن المرحلة القادمة ستشـهد بذل كل المحاولات لتشـيط (دعوات مضادة) تسـير مع اتجاه الثورات المضادة التي يقوم بها الملوثون المنحرفون الذين يتضررون من الاسـتقامة والنقاء. سيزداد هذا التكالـب و «البلطجـة الفكرية» كلما لاحـت فرصة من فرص النجاح الإسـلامي (سياسـياً كان أو اقتصادياً أو اجتماعياً، أو حتى إعلامياً). أما إذا تطـور نجاح مَّا في بلد مَّا؛ بحيث يتطلع الإسـلاميون من خلاله إلى الوصول لمقاعـد التأثير والتغيير – رئاسية كانت أو نيابية – فهنا لن تكونَ إلا الحـرب! نعم، الحـرب بكل معانيهـا، وهـذا ما دل عليه تاريخ قرن كامل من الصراع ضد مشروعات النهوض الإسلامي منذ إسقاط الخلافة العثمانية عام ١٩١٤م. فهناك بالفعل اتفاق (غير مكتوب) بين قوى الطغيان في العالـم منذ نهاية الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٨م، يقضي بألا يُسمَح – سِلْماً أو حرباً – لأي كيان للإسلام الصحيح بأن ينجح أو يسـتمر في النجاح، دون أن يحاط بالفتن والمؤامرات المجهدة أو المجهضة؛ بحيث لا يعطي ذلك الكيـان «النمـوذج» الـذي يمكـن الاقتـداء بـه فـي (قوته) و (تقدمه) و (استقلاله) و (عالميته).

ولـم تكن تلك المعركة الطويلة التـي خاضها – ولا يزال يخوضها – أعداء الشرق والغرب إلا تجسـيداً وتطبيقاً لروح ذلك التحالف غير المقدس ضد مشـروعات النهوض الإسـلامي. وقد كانت ممارسـات الأنظمة القمعية المحلية ضد الإسلاميين على مدى ما مضى من عقود، تمثل دور النيابة عن قوى الاستكبار الدولي في الحيلولة دون استئناف الـدور العالمي الرائد للمسـلمين، بعد أن نجح أعداؤهم في تشـتيت وتفتيت كيانهم الجامع الأخير؛ بحيث لا يسـمح بعده لبوادر مشـروع إسـلامي أن ينجح أو يسـتمر، ولذلك أُجهضت أو سُرقت كل الثورات التي كانت في بداياتها إسـلامية، هذا ما حدث مع الثورات الجزائرية والتونسـية والمصرية، وجهاد الشـعب الليبي والسوداني وشعوب بلاد الشـام والعراق، كل ذلك في النصف الأول من القرن العشـرين، ولما انتصـف النصف الثاني منه وبـدأت بوادر الصحوة الإسـلامية في التسـعينيات الهجرية الموافقة للسـبعينيات الميلادية؛ حوربت هذه الصحوة بشراسة وعنف، رغم بداياتها السلمية، وسط ترحيب «العالم الحـر»! وهو ما كان صعباً على الفهم إلا في ضوء تنفيذ «الاتفاق غير المكتوب» بعدم السماح بنهضة إسلامية تؤمن بالعالمية في أي مكان في العالم؛ حيث لم يسـمح لهذه النهضة أن تسير في طريقها في مصر – مثلاً – على يد مجموع الجماعات الإسـلامية، ولا في الجزائر بقيادة الجبهة الإسـلامية للإنقاذ، ولا في أفغانستان على يد المجاهدين ضد الغزو السـوفييتي سابقاً، ولا الطالبان لاحقاً، ولا في الشيشان ولا في البوسـنة، ولا حتى في الصومال «الفقيرة» بزعامة المحاكم الإسلامية، ولا في غزة «الصغيرة» حيث تجربة حركة المقاومة الإسلامية.

ولهذا فإن المعطيات المسـتجدة على الساحة العربية بعد الثورات التي فتحت نوافذ الأمل أمام الإسلاميين؛ فتحت معها أبواب صراعات جديدة، تأخذ صورة حرب منهجية – لا زلنا في بداياتها – بين المشروع الإسلامي المتطلع للنهوض، والمشروعات الأخرى غير المشروعة، المصرَّة على الاستئثار والاحتكار لكل مواقع التأثير والتغيير!

التحدي الكبير والتصدي الأكبر:

لا بد مـن انطلاقة دعوية جديـدة تواكب تحديات المرحلـة الدقيقـة الراهنـة؛ حيث تتعدد مسـوغاتها ومسـبباتها؛ فإضافة إلى ما سـبق إيضاحه فإن هناك عوامل عديدة تزيد من جسـامة المسـؤولية للانطلاق الدعـوي في مجابهـة (الحرب المنهجيـة) المقبلة ضد الإسـلاميين، من هذه العوامل: أن تلـك الحرب؛ مهما تسترت بالسـلمية، وتدثرت بالديمقراطية، فإنها تحتاج إلـى أنصار جدد مـن جماهير الأمة لصالح المشـروع الإسلامي.

ومنها: أن الشـرائح الجديدة والكبيرة التي ستلحق بركب الإسلاميين، بسبب ما فتحه الله من أبواب العودة للدعوة، سـتحتاج – حتماً – لجهود استثنائية، تستوعب هؤلاء ضمن الجسد الإسلامي الواحد.

ومنهـا: أن (حرب الأفـكار) التـي أطلقها الغرب النصراني علانية منذ عشر سنوات بغرض «كسب العقول والقلوب» بالدولارات بعد الدبابات، تكتسب أبعاداً جديدة في أنماط جديدة، تتسـم هذه المرة بالمجهودات المحلية المسنودة والمدفوعة بأجندات أجنبية، ومثل تلك الحرب تحتاج إلـى لون جديد من الدعوة الدفاعية والهجومية، التي تحصن الأمة من الغارة التغريبية الجديدة.

ومنهـا: أن هنـاك خصوماً جدداً لمنهج الإسـلام الصحيـح؛ دخلـوا على خـط المواجهـة إضافة إلى الليبراليين واليسـاريين العَلمانيين، وهم أزلام مشـروع «فارس الجديدة» الذين عزموا على المشاركة في معترك كسب العقول والقلوب، بسحنة صفوية رافضية متسترة أحياناً بخرق صوفية! وهذا المشروع «التبشيري» الإيراني الباطني، لا يقل خطورة – إن لم يزد – عن مشـروعات التنصير البابـوي؛ لأن أتباع الباباوات يحاولون الدخول يائسين من نوافذ الشـرك المؤصدة أمام الموحدين، أما أولئـك المتشـيعين فيحترفون الدخول مـن باب «أهل البيت» محمولين على ظهور المتصوفين!

كل ذلك يضاعف المسؤولية على العلماء والدعاة وطلبة العلم والمفكرين والمثقفين رجالاً ونساء؛ فعلى عاتقهم جميعاً تقـع أمانة البلاغ؛ دفاعاً عن دعـوة التوحيد، وهجوماً على مهاجميهـا، وهذه بعض الأفكار والمقترحات لتفعيل التحرك الدعوي الذي تحتاجه المرحلة:

أولاً: المساجد (أوسع وسائل الإعلام انتشاراً):

لأســرار عظيمة شــرعت شعائر التجمع للمســلمين في بيوت اللــه؛ في الصلوات الخمــس، وصلاة الجمعة بوجــه خاص؛ حيث ألزمت الشريعة جموع الحضور من الساعين إلى ذكر الله، بالصمت والإنصــات، وتركت للخطيب الناجح مهمة تعبئــة القلوب والعقول، بالوصول إلى أفهام وثقافات متنوعة، لأعمار مختلفة، ذات مستويات متباينة من حيــث الالتزام بالدين. وقد أزالت التحولات الأخيرة في البــلاد العربية - بفضل مــن الله - كثيراً مــن العوائق التي كانت تحول دون تأدية هذه الشــعيرة لوظيفتها السامية، وهنا يقترح على الإسلاميين أن يســارعوا إلى ملء الفراغ الذي اصطنعه العَلمانيون لتهويــن أمر هذه الشــعيرة؛ وذلك من خلال إيجــاد صيغ للتواصل المنهجي بين خطباء وأئمة المســاجد في صور نظامية، تأخذ شــكل رابطات أو جمعيات، والأفضل نقابات؛ فالعمل النقابي الذي اتســع في بلد كمصر مثلاً ليشــمل نقابة رســمية للســينمائيين، وأخرى للممثلين، وثالثة للموســيقيين، ورابعة للفنانين التطبيقيين، وخامسة للمصممين التطبيقيين، وسادســة للفنانين التشــكيليين، وســابعة للسياحيين، وثامنة للرياضيين، وتاسعة للصحفيين، وحتى خصصت نقابة لأصحاب المكوس من الجمركيــين... بحيث تنفق الدولة على تأهيــل ورعاية أعضائها؛ هذا العمل النقابي لا بد (بعد الثورات) ألا يضيق عن نقابة للخطباء وأئمة المساجد، لأنهم أَوْلى من كلٍّ من سبق ذكرهم بأموال دافعي الضرائــب التي أحلها العَلمانيون محل الزكاة الواجب جمعها للنفقة في أبوابها، ومنها باب (في ســبيل الله) الذي كان يمكن أن يرعــي أحوال المبتدئين المحتاجــين للرعاية من أئمة وخطباء المساجد لمصلحة الأمة كلها.

إن تكوين تلك الرابطات أو الجمعيات أو النقابات التي تنظم دور المســاجد في الدعوة، لا بد منه؛ لتحقيق تنسيق أكمل لأداء أفضل، يمكن أن يؤدي دوراً محورياً في صناعة وصياغة رأي عام ناضج في القضايا العامة والهامة التي تمر بها الأمة، إضافة إلى الغرض الأصلي للمســاجد؛ وهو ربط الناس بحبل الله، وبعروة الإســلام الوثقى، كما قال - ســبحانه -: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ** ﴾ [**الجمعة** : ٩].

إن الانطلاق الدعوي إذا ركز على المساجد التي أمر الله أن تُرفَع ويُذكَر فيها اســمه، سيجعل مهمة المصلحين في الإصلاح أسهل وأشــمل؛ لأن المســتهدَفين بالإصلاح قد ألزمهم الشرع بالحضــور للانتفاع، في مؤتمرات أســبوعية منتظمة منذ أكثر من أربعة عشــر قرناً دون انقطاع؛ يحضرها عشــرات الملايين، في عشــرات الآلاف من خير البقاع - فخير البقاع في الأرض المســاجد - فتجتمع هنا الخيرية في الزمان والمكان والإنسان، الــذي هو موضــوع التغيير الحقيقي في أي تحــوُّل جادٍّ نافع؛ فماذا لو أُحســن توظيف منابر المســاجد لتقديم خطاب دعوي راشــد ومنظَّم ومســتمر؟ إن هذه المهمة لن يقــوم مقامها في النهوض بوعي الأمة؛ عشرات القنوات الفضائية، ومئات المواقع الإلكترونيــة، وآلاف المطبوعات الدورية - على أهمية كل هذا - لأن إقامة الجمعة من شعائر الله ﴿ **ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ** ﴾ [**الحج** : ٣٢].

ثانياً: الفضائيات والإعلام الجديد (الفرصة سانحة لاستفاضة البلاغ):

فإبــلاغ كلمة الله للعالمين من أعظم الوظائف التي تميز هذه الأمــة، ومن أهم الخصائص التي وقــع التفريط فيها على نحو خطيــر. والمســاجد - رغم عِظَم دورهــا - لا يؤمها إلا المحبون للدين، أما اللاهون المخدوعون، فلا يســوِّغ إعراضُهم الإعراضَ عن دعوتهم، فالبلاغ واجب علــى كل من يعلمه، لكل من يفهمه. وقد قال الله - تعالى - لنبيه ﷺ: ﴿ **يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ** ﴾ [**المائدة** : ٦٧] وقد ورثت الأمة عنه ﷺ واجــب البلاغ، غير أنه قد طــال الإهمال لمهمة البلاغ المبرئ للذمة، بدليــل أن مئات الملايين من الغربيين - مثلاً - لم يعلموا عن الإســلام شيئاً قبل أحداث الحادي عشر من سبتمبر، فلما انتبهوا له، قُدمَت لهم صور مشوهة عنه، وتظل الأرحام تدفع لقبور تبلع زمراً من الناس، يحشــرون إلى مصيرهم عمياً وبكماً وصمــاً، دون أن يقوم أهل دعوة التوحيد بواجب البلاغ تجاههم. وسواء كان ضحايا التقصير في البلاغ من الكفار الذين لم يُعرَض عليهم التوحيد، أو من الضلال الذين لم تُشــرَح لهم أصول أهل الســنة، فإن الأجواء الآن أنســب، والآفاق أرحب لجذب هؤلاء وهؤلاء إلى الدين الصحيح، من خلال طرح ســليم وخطاب نقي راقٍ، يمكن توجيهه عبر القنوات الفضائية الدعوية، بعد تطويرها وتحسين أدائها، لتنتقل من مجال الكم إلى مجال الكيف، مخاطبة جمهوراً أعرض بخطاب دعوي أرحب. وكذلك من خلال وســائل الإعلام الجديد (الفيســبوك) و (التويتــر) وغيرها، فإذا كانت مشــيئه الله قد جعلت لهذه الوســائل الــدور الأكبر في إطلاق الثورات العربية من منطلقات دنيوية، فإنه لا يزال لها دور منتظر في تحريك الانطلاقة الدعوية بأشواق أخروية.

لا بد ونحن نتحدث عن استفاضة البلاغ، أن نتذكر أن البلاغ

قســمان: بلاغ عام بأصل التوحيد، وهو مــا يدخُل به المرء في أصــل الدين الذي يعصم دمه ومالــه، ويكون به من أهل القبلة. وبين القســم الثاني: وهو البلاغ بتفاصيل وأصول التوحيد، التي يدخل المــرء بمعرفتها والإيمان بها وامتثالهــا في عداد الفرقة الناجية من أهل السنة والجماعة.

ولا شــك أن البــلاغ التفصيلي الثاني بأصول أهل الســنة والجماعة التي أجمع عليها ســلف الأمة، لا تزال بقاع كثيرة من العالم الإســلامي في شــده الافتقار إليها، إن بعض المجتمعات والبيئات حصل فيها شبه تشــبُّع بمعرفة هذه الأصول، لانتشار العلم وتوافر العلماء، ولكن غيرها من البلدان – ومنها أكثر بلاد الثــورات – لا تزال تعاني فقراً وقفراً فــي العلم بها أو الدعوة إليها، هناك حاجة حقيقية للانطلاق الدعوي بأصول الســنة، وبخاصة فــي المجتمعات التي لا تزال غارقــة في بحار الجهل والخرافة والبدعة، التي اســتوطنت بإشــراف وحماية أنظمة الفساد والاستبداد.

ثالثاً: التعليم: (منبر الدعوة بالقدوة):

في كل المجتمعات العربية والإسلامية هناك طبقات بالملايين، تخضع للتعليم في المراحل العمرية المختلفة، من الابتدائي التمهيدي وحتى الجامعة وما بعدها، وقد كان إفســاد العملية التعليمية من الناحية المفاهيمية، في ظل التســلط والاســتبداد العَلماني قبل الثــورات، من أكبر عوامل تعطيل النهــوض بالأمة؛ نظراً لفقدان الأجيال للانتماء، فمسخت الهوية وضاعت الشخصية. وفي بلدان كمصر وليبيا والجزائر وتونس وسورية، كانت العناصر الإسلامية تُســتبعَد عمداً عن مراكز التأثيــر التعليمي والتربوي، لدرجة أن لا يُقبَل في درجــات ومناصب التعليم العالي إلا بإذن من الأجهزة الأمنية، وما ذلك إلا لعلم العَلمانيين بخطورة موقع المعلم، وبخاصة في مراحل بناء الشخصية الفكرية للمتعلم. وقد كان الأمن يتضافر مع الإعلام في تشويه صورة المعلم الملتزم، حتى تنطبع صورة منفرة عنه. وحتى العلم الشرعي كانت معاهده وجامعاته لا تكاد تهيأ إلا للمســتويات الأدنى ثقافياً ومعرفياً، حتى اشتهر عن الشيخ محمد الغزالي – رحمه الله – قوله: «إن التعليم الديني في بلادنا، صيغت أنظمته بحيث لا يســمح في الالتحاق بــه، إلا للموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع»!

لكن الآن، زالــت – أو كادت تزول – كل العقبات التي كانت تحول بين الإســلاميين، وبين تســلُّم أماكن التأثير الجديرة بهم فــي العملية التعليمية، التي تدمج بــين القدرة والقدوة، وتربط بين العلم والدعوة؛ ســواء في مجال التعليــم الديني، أو التعليم الدنيوي، ويمكن في هذا الصدد، مراعاة ما يلي:

• الســعي لإنهاء الخصومة المفتعلة بين ما يسمى بـ (العلم المدني) و (العلم الديني): حيث سعى العَلمانيون بكل طاقاتهم إلى إعلاء شــأن العلوم الدنيوية على العلوم الشرعية في كل شيء، حتى في ســلَّم التوظيف والرواتب والنظــرة الأدبية للمجتمع. وسبيل إنهاء تلك الخصومة: الســماح لكل من يريد طلب العلم الشــرعي، بأن يلتحق بمعاهده وكلياتــه، دون نظر إلى المراحل التعليمة الســابقة في عمره؛ حيث كان يشترط أن يكون قد بدأ التعليم الديني من بداية عمره.

• توجيه قدر من مشــاريع المســتثمرين، ونفقات المحسنين نحو إنشــاء المدارس والمعاهد التعليمية الإســلامية في المراحل المختلفــة: بحيث تصنع هذه الصــروح الجديدة مناهج نقية من لوثات العَلمانية، صافية العقيدة، سليمة الفكر.

• الدفــع بأجيال جديدة للالتحاق بســلك التعلــم والتعليم الشرعي بكل عزة واعتداد بعد أن كان الناس يستنكفون من ذلك، حتــى الطيبين؛ تأثراً بالنظرة الدون مــن المجتمع لمن يُقبِل على تعليم الشريعة.

رابعاً: العمل السياســي: ﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾:

القدرة والخبرة والأمانة، مؤهلات التصدي للعمل القيادي في السياسة وغيرها، وهنا يجب تغليب الجانب التكليفي على الجانب التشــريفي. وإذا كانت الظروف الدولية والإقليمية والمحليــة، لا تزال غير مناســبة لتصدُّر الإســلاميين للواجهة السياســية في بلاد الثورات – من وجهة نظرٍ شــخصية – فإن العمل السياسي له أوجه كثيرة أخرى: كالمقاعد النيابية والشورية والإدارة الأهلية المحلية، والنقابات وجماعات الضغط السياسي وغير ذلك. ويستطيع الإســلاميون من خلالها أن يحققوا ثلاثة أهــداف مهمة دون الإغراق في الانهماك في العمل السياســي على حساب العمل الدعوي:

أولها: أن يرسِّــخوا وجودهم علــى الأرض بتكثير الأنصار ومواقع التأثير.

وثانيها: أن يجابهوا جهات الفساد والاستبداد بصورة عملية ليحولوا بينهم وبين العودة لاحتكار الصدارة في كل شيء.

وثالثهــا – وهــو المقصود هنا –: أن يــؤدوا الدور الدعوي

من خلال الأداء السياسي المحسوب؛ فلا فصل - في تصورنا الإسلامي - بين ممارسة العمل السياسي والعمل الدعوي، صحيح أن هناك تخصصاً في هذا وذاك؛ لكن ذلك لا يعني الفصل على طريقة قول العَلمانيين (لا سياسة في الدين ولا دين في السياسة)؛ فهذا قول ساقط، يقوله حتى بعض الإسلاميين اليوم بلسان الحال لا بلسان المقال، فيثبت من يقول بذلك أنه لا يفهم لا في الدين ولا في السياسة.

السياسي يمكن أن يمارس الدعوة في أجلى مظاهرها، من خلال ربط خطابه الدعوي بأدائه السياسي، وضبط أدائه السياسي بالتزامه الدعوي، فيقدم بذلك قدوة في المجالين معاً. وعمل المتدينين في المجال السياسي وأنظارهم على دعوتهم ليس بدعاً من الإسلاميين؛ فما أكثر من يمارسون السياسة في العالم - رسمياً - من أصحاب التوجهات الدينية وأعينهم على أجندات اعتقادية، مع أن أكثرها خرافية. يمكن للسياسي أن يطرح قضايا العقيدة والشريعة بكل وضوح، فتكون إحدى مهماته، مهمة الإبلاغ، ولو لم يبلغ مراده من الترشح، كفاه أن يُسمِع الغافلين كلام الله، كما فعل يوسف - عليه السلام - في شدة استضعافه، وفي قمة تمكنه، وكما يفعل الآن الشيخ حازم صلاح أبو إسماعيل (أحد مرشحي الرئاسة المحتملين في مصر)، الذي أدى دوراً دعوياً رائداً، حتى قبل أن تبدأ المعركة الانتخابية السياسية؛ حيث خاطب كل الاتجاهات بخطاب إسلامي عصري متوازن دون استحياء أو استعلاء.

ومِنْ رَبْط السياسة بالدعوة: أظهار حرص الإسلاميين على مصالح الناس، وحفظ أرواحهم وأموالهم وحرماتهم التي طالما فرَّط فيها أو استباحها المستبدون في العهود البائدة، ومِنْ رَبْطِهما أيضاً تقديم مفهوم الأمة المعتصمة بحبل الله، والداعية إلى سبيل الله على المفاهيم القطرية والحزبية والعنصرية، ومِنَ الربط أيضاً: تشكيل التكتلات وجماعات الضغط التي لا تسمح بالعودة لتجاوز الشريعة بتجاهل المناوئين لها للمنادين بها وهم الكثرة الكاثرة من الشعوب الثائرة. ويدخل في ربط السياسة بالدعوة: تصدي فريق من أهل العلم والباحثين لوضع رؤى معاصرة لقضايا السياسة الشرعية التي طالما فرَّط الإسلاميون في الاهتمام النظري بها، ثم فوجئوا بالاضطرار العملي لها. ومن الربط كذلك: الإصرار والمثابرة وطول النَّفَس للمضي قدماً في تشكيل نواة (مؤسسة أهل الحل والعقد) التي تجمع كبار رموز العلم والدعوة والفكر والتخصص الدقيق في المجالات المختلفة، وقد بدأت بواكير ذلك في مصر من خلال (الهيئة الشرعية للحقوق والحريات)، فكانت بداية طيبة لمبادرة طموحة لها ما بعدها بإذن الله.

ومِنْ رَبْط السياسة بالدعوة: إعادة النظر في الموقف من العمل بالجيش في ضوء المستجدات الحادثة بعد الثورات، فالتجنيد بالجيش كان همّاً مؤرِّقاً لكل الأسر في البلاد المحكومة بالاستبداد العَلماني، مع أن الأصل في الجيش أنه يمثل مؤسسة الجهاد في سبيل الله، لكن لما كان العَلمانيون على غير سبيل، فقد تعقبوا الدين والمتدينين حتى جعلوا حصول الشباب على (شهادة) الإعفاء من الخدمة العسكرية، أهم عندهم من الحصول على الشهادة الثانوية أو الجامعية! والآن لا بد من استعادة الوجه الدعوي لمؤسسة الجهاد في سبيل الله، ولو على مراحل؛ باعتبار أن الجهاد ذروة سنام الدعوة إلى الله؛ لأنه حاميها وحافز الناس للدخول فيها على مرِّ تاريخ أمتنا وأمم الرسالات الكبرى قبلنا. وحتماً سوف تحتاج بلاد الثورات وغيرها إلى رفع لواء الجهاد بتشريعاته وشعاراته، ضد الطغاة الغزاة الذين لن ترضيهم عودة رسالة الأمة إلى أمة الرسالة ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾ [البقرة: ٢١٧].

وأخيراً:

فإنَّ كل ما سبق يُعَد قليلاً جداً، من كثير جداً من المقترحات والأفكار المطلوب جمعها لتفعيلها وتطويرها. ولذلك فالمقترَح أيضاً أن يخصَّص جزء من نشاط (مراكز التفكير) والمؤسسات البحثية ذات الصبغة الإسلامية لتكوين (بنك للأفكار الدعوية) يقبل المقترحات الجادة ليحولها إلى دراسات لمشروعات قابلة للتنفيذ. فالأبواب مشرعة، والأجواء مهيأة، والمتاح اليوم قد لا يكون مباحاً غداً!

لا عذر للإسلاميين في انطلاقتهم للدعوة إلى سبيل الله في كل أشكالها، وفي كافة ميادينها؛ وخاصة أن الله قد أراهم من آياته في الآفاق وفي أنفسهم ما تبين لهم به أنه الحق وأن دينهم هو الحق، وأن العاقبة لهم ما داموا فيه وما استقاموا عليه ﴿عَسَى رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾. [الأعراف: ١٢٩]

السنن
مصيدة الغافلين

د. يوسف بن صالح الصغير(*)

تمر الأمة حالياً بفترة مخاض عسيرة، ما زالت أحداثها تجري بصورة يصعب معها توقع النهايات؛ وذلك لكثرة اللاعبين واختلافهم في الأهداف والوسائل، مع التأكيد على أن الأحداث الكبيرة المتسارعة تعطي فرصة أكبر للإحاطة بالحدث. فنحن أمام كمٍّ هائل من الوقائع الحاضرة التي تتابع مع سيلٍ من المعلومات المتعلقة بها، وهو ما يعطي فرصة نادرة لإدراك ما يحصل فنحن أمام أحداث كبيرة تجري في وقت قياسي لا يتكرر كثيراً في التاريخ؛ فمنذ أقل من سنة دخلت المنطقة في حَراك لا يمكن إيقافه أو الوقوف في وجهه، بل الحل الوحيد الممكن هو التماشي معه؛ فهذا الحراك ليس حدثاً آنياً محدوداً بل هو سلسلة من الأحداث المتتابعة بدون توقُّف إلى أن تزول أسباب نشوئها. ولذا فلا نتوقع هدوءاً قريباً أو قدرة القوى الإقليمية أو الدولية على التحكم بالأحداث؛ فمن عجز عن توقع الحدث فسيكون عجزه أكثر وفشله أكبر عند التعامل مع الحدث؛ لأن ما نعيشه الآن ببساطة هو بداية سُنَّة جارية نسأل الله فيها لطفَه بالمؤمنين ونصرَه للمستضعفين.

لقد توقفتُ عن الكتابة لفترة من الزمن مع كثرة الإلحاح عليَّ، ويعلم الله أنه ليس لأني لا أريد أو لا أحس بأهمية المشاركة في بيان ما يجري ومحاولة تحليله؛

(*) أستاذ مشارك في كلية الهندسة – جامعة الملك سعود – الرياض.

ولكنني مع تفاؤلي الشديد بنتائج الأحداث وأثرها الإيجابي على مستقبل الأمة، فإن تتابع الأحداث السريع وتكاثر اللاعبين - سواء المصلحون أو المفسدون - وما صاحبه من شعارات وتحركات بعضها إصلاحي ولكن كثيراً منها التفافي يُقصَد بها تفريغ الحَراك من المضمون، يجعل من الصعب تصوُّر مسارات الأحداث المتوقعة. ولكن بعد مرور ما يقرب من عام على بداية الأحداث فإنني أعتقد أننا على أبواب أحداث كبيرة ستقلب الأوضاع في كثير من البلدان؛ فقد وصلت الأوضاع إلى درجة من السوء بحيث أصبحنا أمام طريقين لا ثالث لهما: إما الإصلاح أو الانهيار. ومن رحمة الله أن الشعوب بدأت تبتعد عن الطواغيت وتنحاز عنهم؛ فبعد عقود من العسف والاستعباد ومحاربة الناس في عقائدهم وعباداتهم، بل وحتى أخلاقياتهم، عاد الناس من جديد إلى المسجد يدخلون إليه وقد عبَّدوا أنفسهم لله، ويخرجون وقد تحرروا من عبوديتهم لغير الله؛ فلم يعودوا عبيداً لبشر أو نظام. ولذا كان المقصود بشعارهم (الحرية): أنها الحرية التي كان يعنيها عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - بقوله: «متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً».

إن هذا الانفصال إنما هو بداية الخلاص والأمان من عموم العقوبة، ولا ننسى أن الله بعث موسى إلى فرعون وأمره أن يتلطف له بالقول لعله يتذكر أو يخشى وأقام الحجة على عموم الناس بحادثة السحرة وبناءً على ذلك كانت العقوبة على فرعون وكلٍّ من تبعه بعد إعلانه أنه ما علم لهم من إله غيره. وقد وجد في هذا الزمان من يمتحن الناس بهذه الدعوى العظيمة التي حتى ولو مورست على سبيل الإذلال فهي تدل على بلوغ الغاية في الظلم، وهذا في حد ذاته علامة قرب الفرج، وهذا ناموس الكون. فعندما يأذن الله بظهور المهدي فهو ليملأ الأرض عدلاً بعد أن ملئت جوراً، والمسيح - عليه السلام - ينزل ليقتل الدجال الذي ملأ الأرض فساداً وكفراً.

إن شيوع الظلم وظهور الكفر يعقبه نصر وتمكين للمؤمنين؛ فقد تكفل الله بحفظ هذه الأمة ودينها فالطائفة المنصورة لا تزال موجودة وقوافل المجددين تترى والابتلاء حتمٌ لازم للتمكين. وإليك - أخي القارئ الكريم - بعض الشواهد التي تعين على تلمُّس الطريق في هذا الزمان:

يقول الله - تعالى -: ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً﴾ [الأحزاب: ٦٢].

ويقول الله - تعالى -: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١].

ويقول - تعالى -: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الأنفال: ٥٣].

ويقول الله - تعالى -: ﴿وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ﴾ [محمد: ٤].

ويقول أيضاً: ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٤٠].

ويقول كذلك: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ٢١٤].

ويقول - سبحانه -: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور: ٥٥].

ويقول الله - تعالى -: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ﴾ [الحج: ٤٠].

ويقول الله - تعالى -: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦].

إنها آيات عظيمة فيها سنن الله التي لا تتبدل ولا تتغير، ومن يتعايش معها ويتفكر فيها يستيقن أن التغيرات التي تحصل للأمم إنما هي نابعة بإذن الله من أنفسهم؛ فكما أن بقاء النعمة مرهون بثباتهم وعدم انحرافهم فإن التمكين والرفعة مرهون أيضاً بشروط ذُكِر منها في هذه الآيات: الإيمان، والعمل الصالح، والخلوص من الشرك والتعلق بالله، وعدم استبطاء النصر، وأن الطريق فيه ابتلاء وشدة، ونصر تتخلله هزائم وكرب، وأنَّ تنازع الصالحين باب واسع للفشل والانكسار. ولذا فإن الشعوب التي بدأت بالتغير سيكون نجاحها كاملاً بقدر ما يكون تغيرها مكتملاً والخطر الأساسي عليها ليس كَيْد الأعداء بل عدم اكتمال التغير ووجود الموانع الذاتية. والذي أرى أنه من المفيد: أن نستعرض بعض الوقائع ونحاول أن نصنفها إلى عوامل إيجابية أو سلبية، وهو ما يعطي تصوراً أوَّلياً للوضع الحالي ويساعد على توقع المسار المحتمل للأحداث:

أولاً: تعـــرُّض الهيـــاكل الأمنية والحزبيـــة – القائمة أصلاً على هدف أساســـي هو حماية النظام – لأول اختبار حقيقـــي تكون فيه المعارضة شـــعبية ذات قاعدة عريضة. وهنـــا نلاحظ أنه كلما كان النظام قائماً على عصبية قبلية (اليمن وليبيا) أو طائفية (ســـورية) فإنه أقدر على المقاومة وممارسة البطش؛ حيث إن الأنظمة في هذه الحالة تفتقد للشـــعار والمبدأ وتقوم على زعامـــة الفرد؛ ولذا فإن افتقاد العصبيـــة يجعل الولاء قائماً على المصلحـــة الوقتيه، ومن ثَمَّ فـــإن ثباته غير مضمون. لذلك فإننا نلاحظ عدم قدرة النظام المصري على المقاومة لأنه قائم على شـــبكة مصالح مادية لا غير. إن هذا لا يعني نجاح هذه الهياكل في مهمتها بقـــدر ما يعني قدرتها على الفعـــل، وأما نجاحها فيتوقف على الطرف الآخر. والـــذي أراه أنه كلما طال الوقت فإن العصبية يضعف ولاؤها للزعامـــة الحالية لأنها تدخل في حســـابات المصالح المستقبلية في ظل زعامات جديدة ومن ثَمَّ تفككها مع إمكانية بقاء جزء محدود على ولائه بحســـب ما ارتكب من جرائم وضاقـــت به الحيلة. وَلْنتذكر ما فعله الرسول ﷺ بأهل مكة بعد الفتح؛ فقد أمر بقتل عدد معيَّن وقليـــل حتى لو كان متعلقاً بأســـتار الكعبة أما البقية فقد شـــملتهم «اذهبوا فأنتم الطلقاء». فمن يرفع راية الإصلاح للأمـــة لا مكان عنده للانتقام الشـــخصي ﴿ادْفَـعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: ٣٤].

ثانيـــاً: التحالفـــات الخارجية ومظلات الحماية – ســـواء كانت اتفاقيات ســـرية أو معلنة مـــع دول أو هي مجرد علاقات شـــخصية مع زعامات، وكلها مدفوعة الثمن من ثروات وسيادة ومصالح البلد – لا تفيد شيئاً في مثل هذه الظروف؛ لأن أولئك تحالفوا مع أشخاص لأنهم في السلطة؛ ولذا فهم حريصون على بقـــاء التحالف والحفاظ على المصالح ولو مـــع آخرين، والذين كانوا يسارعون للتعاون مع القذافي أصبح همُّهم الحصول على الوثائق التي أصبحت تدينهم. ولذا لا نستغرب أنَّ من كان يدعم النظام قد يسعى في إسقاطه ليكسب يداً ولا يكون غائباً. وهنا رسالة للذاهبين والقادمين ﴿وَلَا تَرْكَنُوا﴾ [هود: ١١٣].

ثالثـــاً: هناك ظاهرة عامة للحَراك الشـــعبي أنه مرتبط بالدين؛ فميادين الاعتصام تقام فيها صلوات الفروض والجمعة والعيد، والمظاهرات تنطلق من المســـاجد، وأصبح يوم الجمعة موعداً أســـبوعياً، باختصار فقد عاد الناس للمساجد وانطلقوا منها بعـــد غياب طويل ومع كثرة القتلى بـــدأ مفهوم التضحية والشـــهادة يتعمق أكثر عند عامة الناس. إنها أهم ميزة للحَراك أنه كشـــف عن هوية الأمة الحقيقيـــة، وأن الجماهير كما أنها مرتبطه بالتدين فهي قابلـــه للانقياد للدين؛ وهي فرصة نادرة للدعاة والمصلحين فالناس يرغبون التغيير ونهضوا في ســـبيله، وحتى يكون التغييـــر حقيقياً وإيجابياً يجـــب أن يكون محقِّقاً للشروط الربانية التي ذكرت سابقاً. وهذا لا يتحقق إلا باندماج العلماء المخلصـــين مع الناس تعليماً وتربية يصيبهم ما أصابهم فهمُّهم واحد: ﴿حَتَّى يَقُولَ الرَّسُـــولُ وَالَّذِينَ آمَنُـــوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢١٤]؛ فحتى الرســـول يعاني ويتحرى نصر الله فالناس يحتاجون العالِم الذي يعيش معهم أولاً ويقودهم ثانياً.

رابعـــاً: من المظاهر العامة لهذا الحَراك طبيعة الشـــعارات المرفوعة في التجمعات والمظاهرات: فهناك شـــعارات قوية مثل (الشعب يريد إسقاط النظام)، و (الشعب يريد محاكمة الرئيس)، و (الشـــعب يريد إعدام الرئيس)، و (ارحل وكفى)، و (الموت ولا المذلة)، و (حرية حرية)، مع شـــعارات تحية للمتعاطفين وعتاب للمتواطئـــين علناً مع النظام، ويســـمع شـــعار (لا اله الا الله)، و (الله أكبر). أما في الجنائز فيردَّد فيها: (لا اله الا الله والشهيد حبيب الله). إنها شـــعارات تؤكـــد إرادة التغيير ولكنها لا توحي بشـــكل النظام الـــذي يتوق إليـــه الناس. ومن الغريـــب أنه مع وضوح دور التيار الإســـلامي الشـــعبي في هذا الحَراك فهناك غياب للطرح الإســـلامي لمدى التغييـــر الذي يطمح إليه وملامح النظام الذي يحقق طموحات الناس! وهل يرضى الناس أن يبنى النظام الجديد على أسس النظام السابق وأخلاقياته وارتباطاته الخارجيه نفســـها مع تغيير أســـماء الكبار؟ والجواب ســـيكون بالطبع: لا. ولكن كيف نمنع ذلك إذا لم تطرح من الآن شـــعارات يتشربها الناس وتكون مانعاً من سرقة أمل الناس بحياة جديدة؟ وأنا هنا لن أحدد الشـــعارات المطلوبة؛ ولكن يجب أن تكون دالة على الهدف البعيد.

خامساً: هنا نتطرق للشعارات التي يرفعها السياسيون والإعلاميون من ورائهم، وهي الأخطر! فإذا كنا نؤكد على وجوب طرح شعارات معبِّرة أثناء الحَراك الشعبي فيجب أن تكون الشعارات السياسية أكثر وضوحاً؛ وأن يكون هناك أكثر من مستوى للطرح؛ فلا يطرح الممكن ويغيَّب المثال! فنحن أمام طرح فكري وسياسي وإعلامي يريد أن يسوِّق المبادئ التي أدت بالأمة إلى وضعها الحالي المزري بدعوى أن هذا ما يسمح به الغرب، بل ويتم طرح شعارات إقصائية، مثل: (لا للدولة الدينية)، و (لا للطائفية)، و (لا لدكتاتورية الأكثرية). وفلان قائد الثوار كان يوماً مَّا في أفغانستان واختطفته المخابرات المركزية الأمريكية وباعته للقذافي، وبصريح العباره يريدون أن يستبدلوا الطغاة السابقين بمجموعة من الضعفة المسالمين، وإذا أمكن فمن الأتباع المقربين. أما أهم الشعارات المرفوعة فهو (الدولة المدنية)، وهو شعار خطر لأنه موهم؛ فهو اصطلاح للدولة اللادينية ويمكن استبداله بدولة العدالة والحرية مع التأكيد على وجوب حضور الشعارات الإسلامية الخالصة؛ فهناك تسويق أن الدولة الدينية مرتبطة بالظلم والطغيان، ويجب مواجهته.

سادساً: لقد حكمتنا أحزاب عَلمانية وقبائل وطوائف شاذة عن الأمة، فلماذا لا نرفعها عالياً: (نريد أن يكون الحكم للأغلبية للـ ٩٠٪)؛ يجب أن يعود أهل السنة للواجهة بالفكر الذي يعبِّر عنهم، ولا لممثلي الآخرين ولا للمستوردين.

سابعاً: كلمة لأهل الخير والصلاح: تنافسوا ولا تختلفوا، اجتمعوا ولا تفترقوا، تحابُّوا ولا تتباغضوا؛ فنحن في مرحلة مصيرية، وإذا كانت سنة الله جارية ولا تحابي أحداً، فَلْيكن أمامكم دائماً قوله – تعالى –: ﴿**وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ**﴾ [**الأنفال**: ٤٦].

إنني أحس أن الأحداث هي تطبيق لسنن إلهية؛ ولذا فإنَّ كلَّ مَن بعث الله شعبَه من الرقاد فليس له حل إلا الابتعاد؛ فقد حق عليه القول وقضي فيه الأمر، ولكن من أمهله الله إلى حين فعليه أن يجدَّ ويجتهد في دفع البلاء برفع الظلم وتطبيق العدالة، ولن يكون هذا إلا بالعودة إلى الله والتوبة النصوح؛ فرضا اليهود ليس هو الضامن، وحماية البشر لا تغني من الله شيئاً، تقرب إلى الله ولو قليلاً يقترب منك أكثر؛ فكفى غفلة ولا ننس أن سنن الله مصيدة للغافلين.

أحداث ماسبيرو والانقضاض على مصر

محمد بن شاكر الشريف
alsharif@albayan.co.uk

لم يكد الشعب المصري ينتهي من إزاحة أشرس طاغية مَلَكَ البلاد والعباد في العصر المصري الحديث خلال ثمانية عشر يوماً من الاحتجاجات العارمة والمظاهرات والاعتصامات حتى سقط الصنم وزُجَّ به وبأركان نظامه إلى السجن؛ حيث يحاكمون على ما اقترفته أيديهم، لم يكد المصريون يحققوا ذلك حتى بدأ النصارى الأرثوذكس - في ظل حالة عدم الأمن أو ضعفه الناتج عن الثورة - محاولاتهم للانقضاض على مصر، رغم أن كاهنهم الأكبر كان قد أعلن في بداية الثورة تأييده للرئيس المخلوع وطلب من أتباعه عدم المشاركة في الثورة، لقد ظهرت عدة مناوشات من قيادات كَنَسِية وافتعال بعض المصادمات التي كثيراً ما كان يتم تطويقها من خلال التحلي بالمسؤولية الفائقة التي تتمتع بها القيادات الإسلامية أو قيادات المجلس العسكري والحكومة؛ حتى خيِّل لمن يريد الانقضاض على مصر من النصارى أن النظام ضعيف لا يقوى على الثبات أمام أية هبة قوية، ومن ثَمَّ بدأت الأحداث الدامية التي لا يمكن تسويغها بأي منطق عقلي سليم. فالذي تذيعه قيادات كَنَسِية: أن هناك مشكلة متعلقة بكنيسة في محافظة أسوان، رغم أن هناك دلائل قوية على أن الأمر ليس على الصورة التي حاول المغرضون المحرضون على الفتنة أن يسوِّقوها. وليس لي في هذا المقال أن أفصل أي الروايتين أسلم وأدق؛ فذلك تفصل فيه جهات قضائية؛ مع أن الملاحظ من كثير من التصرفات أن هناك تجاوزاً للعدل في قضايا النصارى تجاه مخالفيهم أو مخالفاتهم؛ سواء في تعامل الإعلام نظير ما يحصلون عليه من منافع أو في تعامل المسؤولين؛ وذلك مراعاة لهم وحتى لا تتهم الدولة بالوقوف ضدهم.

إذا أخذنا برواية الكنيسة كاملة في تلك المشكلة ولم نلتفت إلى الدلائل القوية التي تبيِّن أنها رواية غير متماسكة وتلوح عليها أمارات الكذب البادية للعيان. يبقى هناك أمر في غاية الغرابة ويقدح في كل ما حاولتْ أن تسوقه قيادات الكنيسة - سواء قبل الأحداث أو خلال الأحداث نفسها أو بعدها - مما يبين أن تلك المشكلة اتُخذَت سلَّماً لفرض إرادتهم على الدولة الضعيفة والانقضاض عليها ثم التهامها لتحقيق حلمهم في تحويل مصر لدولة نصرانية أو اقتطاع جزء منها ليقيموا عليه دولتهم النصرانية - علماً أن مصر لم تكن يوماً دولة نصرانية: لا قبل الفتح الإسلامي مباشرة ولا زمن وجود عيسى رسول الله - عليه السلام - على أرض مصر.

قبل الأحداث:

إن المتوفر المعلَن هو قيام بعض القساوسة بعمليات شحن النصارى وتهيئتهم للقيام بما يخططون له من إحداث الفوضى العارمة لتكون مدخلاً للتدخل الغربي في مصر؛ حيث يرون أن التدخل الغربي هو الذي سوف يحقق لهم أمانيهم من السيطرة على مصر. ومن ذلك: ما دعا إليه بعض النصارى الذين يعيشون في الدول الغربية من فرض الحماية على مصر، ودعوتهم لاحتلال مصر من قِبَل أمريكا ودولة اليهود وإثيوبيا. وأيضاً ما قام به بعضهم الآخر من إعلان قيام الدولة النصرانية على أرض مصر.

أما نصارى الداخل فما فتئوا يتطاولون على السلطات القائمة ويعلنون تحديهم لهم ويخاطبونهم بطريقة فيها استفزاز؛ فها هو أحدهم يقول عن محافظ أسوان: «المحافظ دا كذاب ولو قابلته أحط أصابعي في عينه وأديله باللي في رجلي» ويقول بلهجة الآمر: «المحافظ دا لازم يستقيل وإذ ما استقالش في خلال ٤٨ ساعة حيموت موتة شنعية». وهذا تهديد بالقتل ثابت بالصوت والصورة، وهذا لا شك يشجع الاتباع على أن يفعلوا ما قاله أبوهم من غير أن يجدوا في أنفسهم حرجاً، وعندما يصرِّح أحد قساوستهم وهم في مسيرتهم إلى ماسبيرو بأن الجيش كافر، فماذا ننتظر من الأتباع أن يفعلوا؟ ويقول موجهاً خطابه للمشير محمد حسين طنطاوي - وهو بمثابة رئيس الجمهورية -: «أنا بقول للمشير يحل المشكلة أحسن وهو عارف إيه اللي ممكن نعمله، يحلها أحسن». وهو تهديد واضح وصريح ودليل على ما يبيتون! وهو ما يشير إلى أن الأحداث التي جرت بعد ذلك لم تكن عفوية؛ وإنما كان مخططاً لها لتخرج على النحو الذي خرجت عليه، والدليل على التخطيط والنية المبيتة أن التظاهرات خرجت في وقت واحد في محافظات متعددة متباعدة لإرباك النظام، وهذا قسٌّ آخر يقول: «حنعمل مسيرة ما شفتهاش مصر قبل كده... وحنختم مسيرتنا جوا ماسبيرو». لقد ذكرني هذا الكلام بما قاله أبو لؤلؤة المجوسي - لعنه الله - لعمر بن الخطاب - رضي الله تعالى عنه -: سأعمل لك رحى تتحدث عنها العرب. فقال عمر - وهو الفطن اللبيب الأريب -: «لقد توعدني العبد». وكون القس سيختم المسيرة داخل (جوا) ماسبيرو، فإن ذلك يعني دعوة المتظاهرين لاحتلال مبنى الإذاعة والتلفزيون.

وعندما يهتف حاديهم في المظاهرة في وجود القساوسة، والجموع تردد خلفه: «بيقولوا علينا أقلية... أحنا أصحاب الأرض دية» وهم يحملون الأسلحة النارية والبيضاء وزجاجات الملوتوف! ماذا يمكن أن يؤدي هذا في وجود هذا الجمع المتلاطم وفي ظل إقرار القساوسة له، وإذا كانوا هم أصحاب الأرض فمعنى ذلك أن المسلمين الذين يشكلون الأكثرية بنسبة قريبة من ٩٥٪ مغتصبون للأرض! وما حجم الشحن الذي يعمله مثل هذا الهتاف في جموع المتظاهرين؟

إن هذا الهتاف ليس هتافاً وليدَ فورة حماسة، أو من شاب أغرَّ أو نحو ذلك؛ بل هي عقائد تورَّث لهم؛ يشبون عليها وعليها يهرمون، يقولها النصراني العامي كما يقولها رجل الدين عندهم، وتتفاعل في أنفسهم يوماً بعد يوم، وليس أدلَّ على ذلك من كلام الرجل الثاني في الكنيسة قبل ثورة ٢٥ يناير بزمن؛ في شهر سبتمبر أيلول عام ٢٠١٠م عن المسلمين أنهم ضيوف عليهم؛ وهو ما يعني أن النصارى أصحاب الدار! كما رفض بشدة الدعوات لإخضاع الأديرة لرقابة الدولة، أسوة بالمساجد، إلى حد أنه لوح بـ «الاستشهاد» في مواجهة سيناريو من هذا النوع، وهو ما يدل على أن الكنيسة قد خرجت عن الحدود المرسومة لها من القيام بالعظات الدينية وتثبيت العقائد في وجدان أفرادها، إلى تغذية الضغائن والأحقاد في نفوس أتباعها ضد الغالبية المسلمة، وتحدي سلطات الدولة.

الحدث نفسه:

عندما نأتي لليوم الموعود مساء يوم الأحد الحادي عشر من شهر ذي القعدة عام ١٤٣٢هـ، الموافق للتاسع من شهر أكتوبر عام ٢٠١١م، فإننا نجد أن هناك آلافاً مؤلفة قصدت الذهاب إلى ماسبيرو، ومع اكتمال الأعداد اشتبكت هذه الجموع الغفيرة مع قوات الجيش بحقد دفين وقسوة بالغة تأخذ بفكرك إلى مقاتلة عدو لعدوه وليس تعاملاً من مواطن مع جيش بلده! وإذا سلمنا بأن الداعي لتلك المظاهرات هو الغضب لما يدَّعون من قيام محافظ أسوان بمنعهم من استكمال بناء الكنيسة؛ فما علاقة جنود الجيش الذين يحمون مبنى الإذاعة بذلك؟ ولماذا يعتدَى عليهم بقسوة بالغة لا تنم عن وجود أي قدر من الرحمة في قلوب المعتدين؟ عندما نجد القتل بلا رحمة وإحراق عربات القوات المسلحة وبداخلها الجنود بل

وعربات مدنية ليس للدولة علاقة بها لا من قريب ولا من بعيد، نقول: ما علاقة ذلك بموضوع الكنيسة التي يريدون بناءها في قرية المريناب؟ إلا أن تكون هذه النفوس قد تعرضت لعمليات شحن مستمرة على مدى زمني طويل. ولقد ظهر منهم نحو ذلك في كل مرة يحتكون بالدولة، وأقرب مثال لأحداث ماسبيرو ما سبق من أحداث عند محافظة الجيزة قبل الثورة بخصوص كنيسة العمرانية التي تبنى مقابل الطالبية، وكذلك العدوان الذي مارسوه على الجنود وعلى المارة. ما الذي يدعو لحمل قطع السلاح - سواء الناري أو الأبيض وزجاجات المولوتوف - في مظاهرة لو كانت سلمية وكان المراد فقط هو إظهار الاعتراض على قرار محافظ أسوان؟

بعد الحدث:

تصور المخططون المدبرون لهذه الجريمة أنهم استطاعوا أن يُظهِروا الحكومة والمجلس العسكري في وضع المعتدي ومن ثَمَّ ظهرت مطالبهم التي لا علاقة لها بأصل الموضوع، وهو ما يبين الدافع الحقيقي لتلك الأحداث. إن قوماً يبيح لهم كتابهم - الذي يزعمون أنه من عند الله - الكذب لنشر دينهم لا يُستبعَد منهم تعريض طائفة للقتل منهم أو من غيرهم من أجل تحقيق مطالبهم؛ فماذا كانت مطالبهم؟

أعلن المحامي نجيب جبرائيل (المستشار القانوني للكنيسة في جرأة عجيبة) - وما جرَّأه إلا تهاون الدولة في تعاملها مع النصارى وتدليلها لهم وعدم أخذهم بصولة القانون وسطوته - أنه سيعطي الحكومة والمجلس العسكري أسبوعاً لتنفيذ وعودهم بتحقيق مطالب الأقباط كمواطنين مصريين.

أهم المطالب التي أعلنها المحامي:

١ - فتح الكنائس المغلقة قبل صدور قانون دور العبادة الموحد.

٢ - الإفراج الفوري عن الـ ٢٨ قبطياً، المقبوض عليهم في أحداث ماسبيرو.

٣ - تعويض الشهداء في أحداث ماسبيرو الأخيرة، أسوة بشهداء ثورة ٢٥ يناير.

٤ - إقالة محافظ أسوان فوراً ومحاكمته.

٥ - إقالة وزير الإعلام ومحاكمته.

٦ - محاكمة رئيس قطاع الأخبار والمذيعة (رشا مجدي).

٧ - تخصيص حصة للأقباط في البرلمان، والتحقيق في الأحداث السابقة لينابر وحتى الآن ضد الكنيسة.

إنها مطالب في صيغة الإملاء والأمر، وما على الحكومة والمجلس (عنده) إلا التنفيذ! لكن ما علاقة تلك المطالب بموضوع كنيسة المريناب في محافظة أسوان؟ أليست تلك المطالب تدل على أن المريناب لم يكن إلا شماعة لمطالبهم غير المشروعة؟

من المعروف أن غالبية الكنائس المقامة في مصر لم تحصل على ترخيص رسمي بذلك، وكان النظام البائد يتهاون في ذلك؛ فهم يريدون أن تكون تلك الأحداث سُلَّماً لترخيص تلك الكنائس التي تزيد على ٥٠٪ من مجموع كنائس مصر التي أقيمت مخالفة للقانون.

التدخل في أعمال القضاء بالإفراج عن المتهمين من غير أن تأخذ العدالة مجراها الطبيعي، وانظر إلى صيغة الاستعلاء في الطلب: (الإفراج الفوري)!

المساواة بين من قُتلُوا دفاعاً عن الأمة كلها في تصديهم للمخلوع أثناء الثورة، وبين من قُتلُوا أثناء عدوانهم على قوات مصر المسلحة بطلب التعويضات لأسرهم.

إقالة المحافظ فوراً ومحاكمته؛ لأنه تصدى لمخالفة النصارى للقانون بالقانون.

إقالة وزير الإعلام ومحاكمته لأنه نقل الصورة الحقيقية من خلال التلفزيون المصري لما حدث من عدوان من النصارى على الجيش بلا أدنى مسوغ. ففضح بذلك أية محاولة للتستر على تلك الجريمة.

محاكمة رئيس قطاع الأخبار والمذيعة للسبب نفسه المتقدم آنفاً.

تخصيص حصة للأقباط في البرلمان، وهذا من أعجب ما يكون من الطلبات؛ حيث يطلبون تمييزاً لصالحهم. والملاحظ أنك تجد في كل طلباتهم عنصر الفئة والطائفة النصرانية بارزاً كأشد ما يكون البروز في الوقت الذي ينكرون فيه على الأغلبية المسلمة تمسُّكَهم بدينهم وبما تتيحه لهم أغلبيتهم، فكأنه يريد أن يحقق من خلال المطالب ما لا يحققه لهم وضعهم كأقلية في مجتمع المسلمين.

الحل:

إن من أكبر الأخطاء التي ارتُكبَت في العهد البائد، والتي ما زلنا نتجرع غصصها: هو الوضع المتميز الذي أعطته الدولة للكنيسة حتى صارت دولة فوق الدولة؛ يجرم أتباعها في حق الدولة وحق المسؤولين فيها ثم لا يلقَون جزاء ما اقترفته أيديهم، بل من قُبضَ عليه منهم متلبساً بالجريمة ما هي إلا أيام قلائل يقضيها في الحبس - ذرّاً للرماد في العيون - ثم يفرَج عنه وتُحفَظ قضيته. ويكفي أن يمتنع كاهنهم الأكبر عن إلقاء موعظته الأسبوعية أو يعلن عن اعتكافه في الدير حتى يسارع الجميع إلى استرضائه وتحقيق طلباته! وليس أدلَّ على ذلك من قيام الدولة في العهد البائد من تسليط الكنيسة على النصرانيات اللاتي أسلمن وجوههن لله - تعالى - وقيام الكنيسة باحتجازهن لإجبارهن على العودة إلى الكفر بعد إذ أنقذهن الله منه، رغم أن جهات الضبط وأماكن الاحتجاز محددة تحديداً واضحاً لا يشتبه في القانون والدستور، وليس من جهات الضبط - قطعاً - القساوسة ولا حتى كاهنهم الأعظم، وليس من أماكن الاحتجاز - قطعاً - دور العبادة أو الكنيسة أو أي مكان غير الأمكنة المحددة قانوناً! ومع كل أسف ما زال الوضع على ما هو عليه حتى بعد قيام الثورة.

من الخطيئات التي كانت رائجة في حقبة نظام المخلوع، والتي ما زالت قائمة بعد انهيار نظامه: التعامل مع الكنيسة لا على أنها مؤسسة من مؤسسات الدولة عليها أن تلتزم بالقانون ولا تخرج عليه؛ بل معاملة الند للند حتى تظهر الكنيسة وممثلوها في هيئة دولة مناظرة لدولة مصر.

من المعلوم أن رأس الكنيسة ومن يعاونه في مهمته دَورُهم روحي فقط؛ لكن الدولة أعطتهم دوراً سياسياً وسلطاناً على أتباعه خارج السلطان الديني وهو ما أوقع الحكومة في خطيئة بارزة جداً، وهي: الذهاب لكاهنهم الأكبر في مقر إقامته لتقديم العزاء في الذين قتلوا أثناء عدوانهم على جيش الدولة التي تمثله تلك الحكومة! ومن التناقضات الغريبة أن أحداً من القسس لم يكلف نفسه أن يعزي الجيش في جنوده الذين قتلوهم وهم يقومون بما يجب عليهم! ونحن لسنا ضد تعزية النصراني في وفاة قريب له؛ لكن العزاء يكون لأولياء القتيل وليس لكاهنهم الأكبر فإن الحكومة بهذا المسلك ترسخ الولاية السياسية له على أتباعه.

وهنا أيضاً تناقض عجيب؛ فرئيس وزراء الدولة التي سُفِك دماء جنودها بغياً وطغياناً يذهب لتعزية رأس الكنيسة في قتلى النصارى، ورئيس النصارى لا يعزي الدولة في قتلاها الذين قتلهم أتباعه! أليس هذا دليلاً على ضعف النظام وعدم حنكته في التصرفات التي ينبغي أن تعبِّر على الأقل عن غضبه من الاعتداء على جنوده؟ وفي المقابل أليس هذا دليلاً على أن رأس الكنيسة لا يرى في قتل الجنود أي نوع من الخطأ؛ لدرجة أنهم لا يستحقون أن يعزي فيهم أحد؟

لذلك لا بد من مواجهة الحـــدث مواجهة حقيقية تضع النقـــاط على الحروف كما يقال؛ بحيث لا يُســـتثنَى من ذلك أحـــد مهما كان وزنه؛ حتى لا نســـلك مســـلك اليهود الذين كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقامـــوا عليه الحد. إن محاولة الروغـــان إزاء مواجهة الواقع على حقيقته ومحاســـبة كل واحد على ما اقترفت يداه يعني اســـتمرار النهج المدمر من غير أن يكون هناك أمل في وضع نهايـــة عادلة لمثل هذه الأمور، وهذا ينذر بتدمير المجتمع؛ لأن محاباة طائفة (أقلية) على حســـاب طائفة (أكثرية) لا يمكن أن يُحتَمَـــل، وإذا قُدِّر أن يُحتمَل ذلك لبعض الوقت فلا يمكن أن يطـــول الاحتمال. إن من يســـلك هذه السياســـة العوراء العرجـــاء في التعامل مع الطوائف إنما هو ســـاعٍ في تخريب المجتمع وتدميره وهو لا يـــدري. إنك عندما تجدُ أن التعامل يختلف لاختلاف الطائفة مع أن الخطأ والجريمة في إحداها ثابتـــة، بينما في الأخرى مظنونة وتقوم دلائل كثيرة على عدم صحتها، فيحاسب صاحب الخطأ المظنون حساباً عسيراً (لأنه مســـلم)، بينما يظل صاحب الخطأ أو الخطيئة الثابتة مطلق الســـراح (لأنه نصراني)؛ تستيقن أن هناك تمييزاً للنصراني على المســـلم؛ تمييزاً لا يقوم به أفراد إنما تقوم به مؤسسات تابعة للدولة التي آلت على نفسها مقاومة أي نوع من التمييز ووضعت له القوانين وفرضت بســـببه العقوبات. لكن الظاهر أن التمييز الممنوع هو تمييز المسلم على النصراني فقط! أما تمييز النصراني على المســـلم في دولة دينها الإسلام وغالبية شعبها من المسلمين فلا شيء فيه عندهم! اعتبرُ ذلك بقضية الشـــيخ مفتاح فاضل أبي يحيي بطل قضية إســـلام الأخت كاميليا – فرج الله كربها – كيف اتُّهم في قضية إمبابة وقبض عليه وأودع السجن وحوِّل لمحكمة أمن الدولة طوارئ رغم أنه لم يكن موجوداً في موطن الحدث كما تدل على ذلك شـــهادة الشـــهود، وكأن هذا عقوبة له على قيامه بمســـاعدة الأخت في إســـلامها وشـــهادته بذلك وإقامته للأدلة على إسلامها! واعتبرُ ذلك بالقساوســـة الذين ظهـــرت مقاطع الفيديو لهم وهـــم يحرضون على القتل والتخريب ويهددون رئيس المجلس العسكري وهم ما زالوا آمنين مطمئنين بين أهليهم وذويهم لم يقربهم أحد.

إن من الروغان والالتفاف على الواقع محاولة تحميل كل مســـؤولية أخطاء طائفة النصارى الثابتة بالصوت والصورة لأشـــخاص وهميين، كقولهـــم: إن الفاعلين قلة مندســـة أو بلطجية أو فلـــول أو قوى خارجية وكفى. وهذا لا يصلح؛ فلو كان هذا القول صحيحاً فلا بد أن يكون هؤلاء قد عُرِفوا؛ وإلا كيف يصح إسناد فعل لأشخاص غير معروفين؟ ولن يعدم أحد كلما أراد الهرب من استحقاقات التصرفات الطائشة الرعناء أن ينسبها لأولئك الأشخاص الوهميين. إن من عرَّضوا البلاد وســـلامتها لخطر حريق قد لا ينطفـــئ إلا بعد هلاك مدمر لا بد أن يحاسَـــبوا حساباً عادلاً ســـريعاً من غير شطط أو محاباة، ولا بد للجهات المســـؤولة أن تتخلص من عقدة خوف الاتهام بظلم النصارى؛ لأن هذه العقدة إذا سيطرت على ذهن المســـؤولين فلن يمكنهم أن يقيموا العدل في أي قضية يكون النصارى طرفاً فيها.

لذا أوجـــه كلامي من هنا وأقول: مـــن كان محباً لمصر، حريصاً عليها، ســـاعياً في خيرها وكف الشر عنها، فعليه ألا يقصر أو يتوانى في محاســـبة كل متورط في هذا العمل أياً كان اســـمه ورســـمه ومنصبه؛ ذلك أن مثل هذا العمل الذي يمكـــن أن يأتي علـــى الأخضر واليابس؛ إذ لا شـــخص فوق المساءلة. وحفظ ماء وجوه بعض القوم لا يمكن أن يكون على حســـاب اســـتقرار البلد وأمنها، كما لا ينبغي الاعتماد على تعقُّل القيادات الإســـلامية وحرصها على مصالح البلد؛ فإن الطغيان عندما يصل لحدود معيَّنة فإنه لا يُحتَمَل، وســـاعتها لن يكون في مقدور أحد إطفاء الحريق الذي سيصيب شرره كلَّ من يعبث به.

اللهم احفظ بلاد المســـلمين من كل شر وشرير، وقِها شر الأشـــرار وكيد الفجار، واجمع كلمة المسلمين على الحق والبر والتقوى وحب الجهاد في سبيلك يا كريم يا منان!

جوال
بالمليون
للإشتراك
ارسل رسالة فارغة
STC
الاتصالات السعودية
٨٨٠٠٤
موبايلي
mobily
٦٣٦٣٩٣
zain
٧٠٤٠٤٧
رسائلنا تحكي أهدافنا

مع بداية أخطر انتخابات برلمانية في تاريخ مصر:

- **هل يستطيع الإسلاميون صياغة الحياة السياسية بعد استبعادهم لفترات طويلة؟**
- **فلول الحزب الوطني يتربصون بالتجربة بإشعال الفتن الطائفية والعصبية.**
- **اختلفت الآراء حول جدوى الرقابة الدولية في نزاهة وشفافية التجربة المصرية الوليدة بدون رئيس للدولة.**

إسلام عبد العزيز(*)

تشهد مصر هذه الأيام أخطر انتخابات برلمانية في تاريخها؛ لأن من يقع عليهم اختيار الشعب سيقومون بصياغة مستقبل مصر ووضع دستورها الذي يكفل الحريات الحقيقية لكافة الطوائف والفئات بدون تمييز أو تفرقة.

مما زاد من خطورة الانتخابات البرلمانية الوجود النشط للتيارات الإسلامية بعد تطهير الحياة السياسية من رموز الحزب الوطني الذي يغيب عن الانتخابات لأول مرة بعد أن احترف تزويرها منذ أيام الرئيس السادات؛ حيث سيتم استبعادهم من خلال قانون الغدر. إلا أن هذا لا يمنع من محاولتهم إشعال الفتنة العصبية وتعكير الانتخابات؛ وخاصة إنهم ما زالوا يمتلكون الثروة وبعض السلطة ويستأجرون البلطجية في ظل غياب دولة القانون والحزم .

من هنا تأتي أهمية هذا التحقيق الذي نستعرض فيه آراء الخبراء والمتخصصين والناشطين الإسلاميين والسياسيين؛ فماذا قالوا؟

المشاركون في تحقيق الانتخابات البرلمانية المصرية:

- **الأستاذ عبد العظيم الباسل** (مدير تحرير جريدة الأهرام، وعضو مجلس الشعب السابق).
- **الأستاذ محمود نفادي** (نائب رئيس تحرير جريدة الجمهورية، ورئيس شعبة المحررين البرلمانين بمجلِسَي الشعب والشورى، ورئيس مجلس إدارة جمعية أصدقاء البرلمان).
- **الدكتور ناجح إبراهيم** (عضو مجلس شورى الجماعة الإسلامية).
- **الأستاذ الدكتور عبد الله الأشعل** (مساعد وزير الخارجية السابق، ومرشح محتمل لرئاسة الجمهورية).
- **الدكتور أحمد دياب الأمين** (العام للكتلة البرلمانية للإخوان المسلمين بمجلس الشعب في الانتخابات السابقة، وأمين عام حزب الحرية والعدالة بمحافظة القليوبية).

(*) صحفي مصري، ومدير مكتب رسالة الإسلام بالقاهرة.

موقع الانتخابات القادمة:

يرى الأستاذ عبد العظيم الباسل (مدير تحرير جريدة الأهرام، وعضو مجلس الشعب السابق) أن الانتخابات القادمة في غاية الأهمية لأنها هي التي ستحدد شكل البرلمان التأسيسي للدولة العصرية أو الدولة الحديثة لما بعد ثورة ٢٥ يناير، كما أنها لأول مرة تمثِّل كافة التيارات والقوى الوطنية الموجودة على الساحة المصرية، بعد أن احتكرها حزب معيَّن لسنوات، فضلاً عن أنها - أيضاً للمرة الأولى - تكون انتخابات بنظام القائمة؛ وهو نظام جديد على المصريين.

واتفق الأستاذ محمود نفادي (نائب رئيس تحرير جريدة الجمهورية ورئيس شعبة المحررين البرلمانين بمجلسَي الشعب والشورى، ورئيس مجلس إدارة جمعية أصدقاء البرلمان) مع الباسل في قوله وزاد أنها تختلف شكلاً وموضعاً عن سابقاتها؛ فهي تُقام في وقت لا يوجد فيه رئيس للجمهورية، وهو ما يلغي التقسيم السابق والمعمول به منذ أول رئيس للجمهورية (وهو انقسام المرشحين إلى مرشحي سلطة ومرشحي معارضة). اليوم الوضع اختلف فليس هناك مرشحو سلطة ولا حتى معارضة، الكل يقف من المجلس العسكري على مسافات واحدة وهو ما يساعد على التمثيل الحقيقي للشعب داخل برلمانه.

ثم إن الانتخابات ولأول مرة أصبحت بتحقيق الشخصية الرسمي (بطاقة الرقم القومي)؛ ويعني هذا أن كل من بلغ سن الثامنة عشرة له حق التصويت، في الوقت الذي لن ينتخب من ليس له حق التصويت كالمتوفى - مثلاً - كما كان يحدث. ومن الاختلاف أيضاً ظهور عدد كبير من الأحزاب لقوى كثيرة كانت ممنوعة تماماً أن تظهر بشكل علني ورسمي، مثل جماعة الإخوان والسلفيين وغيرهم. فمثل هؤلاء جميعاً كانوا محجوبين عن العمل السياسي بأي شكل، أما اليوم فهي لها أحزابها الشرعية التي ستدخل بها إلى أعماق الحياة السياسية في مصر.

في الوقت نفسه يؤكد فيه الدكتور ناجح إبراهيم (عضو مجلس شورى الجماعة الإسلامية) على أن هذه الانتخابات تمتاز بأن الحزب الوطني لن يكون مثل السابق تُحصَر فيه الانتخابات، بل لن يكون موجوداً أصلاً. ثم إن الانتخابات السابقة لم يكن فيها أي تمثيل إسلامي إلا على استحياء، أما الآن - بفضل الله تعالى - فإنك تجد قرابة الـ ٤٨ حزباً منهم - تقريباً - عشرة أحزاب إسلامية. ثم إن الانتخابات الماضية كان التزوير فيها كاملاً، وهو ما رأيناه في انتخابات عام ٢٠١٠م الأخيرة. ثم إن المال كان هو العنصر الأساسي فيها، أما هذه فلا. وأيضا كانت النتيجة شبه معروفة مسبقة قبل الانتخابات الماضية؛ والآن لن يستطيع أحد أن يعرف النتيجة إلا بعد تمام الفرز، في النهاية كانت الحياة السياسية راكدة لا أحد يريد المشاركة أما الآن فلكلٍّ أحزاب ومشاركات فعلية.

ويضيف الأستاذ الدكتور عبد الله الأشعل (مساعد وزير الخارجية السابق، ومرشح محتمل لرئاسة الجمهورية) أن المواطن أخيراً بدأ يشعر بأن صوته هو الذي يحدد من يمثله، وأن هذا الصوت يُترجَم إلى مؤسسة وإلى قرار سياسي، وأنه لم يعد بحاجة إلى أن يبيع صوته لأحد المرشحين لأن صوته في الماضي لم يكن له قيمة.

قانون الانتخابات الجديد:

في ما يخص قانون الانتخابات الجديد الذي أصدره المجلس العسكري مؤخراً يقول الدكتور أحمد دياب (الأمين العام للكتلة البرلمانية للإخوان المسلمين بمجلس الشعب في الانتخابات السابقة، وأمين عام حزب الحرية والعدالة بمحافظة القليوبية): إن القوى الوطنية في التحالف الديمقراطي كانت قد توافقت على مشروع قانون مضمونه: أن القائمة النسبية المغلقة غير المشروطة هي الوسيلة الأفضل للنظام الانتخابي؛ لأنها تمنع استخدام العصبية والأموال والبلطجة في دخول المجلس، ولقد قدمنا هذا المشروع للمجلس العسكري، ولكننا - للأسف - فوجئنا بإصدار قانون (الثلثان للقائمة والثلث للفردي)، حتى إنه صدر معيباً بوجود مثل مادته الخامسة التي تمنع مشاركة الأحزاب في التنافس على

مقاعد الفردي، وهي التي ألغيت بعد الرفض القاطع لها من قِبَل الأحزاب جميعـــاً، وعليه فإننا في حزب الحرية والعدالة نتعامل الآن مـــع واقع لأن مـــا يهم الآن هو الانتقال من هذه الســـيولة السياسية.

ويرى الأســـتاذ عبد العظيم الباســـل أن قانون الانتخابات الصادر كان يحتاج إلى مراعاة مســـاحة الدوائر وتقليصها؛ لأنها اتسعت بشـــكل كبير خاصة على المرشحين الفرديين المستقلين، ثم إنـــه كان يجب أن يتم إصداره في فترة ســـابقة حتى تُعطَى للمرشـــحين الفترة الكافية في إجراء دعاياتهم الانتخابية، وفي التعرف على ناخبيهم بعد اتســـاع الدوائر بشكل ملحوظ، فضلاً عن أنه كان يجب أن تتم حملة توعية للناخب نفســـه على طريقة الاختيـــار؛ لأن الناخب اليوم لأول مرة يتوجـــه للصناديق، وهو لا يعلم مـــا الفرق الحقيقي بين الانتخابـــات عن طريق القوائم والانتخابات الفردية، ولا يوجد فعلياً على أرض الواقع من يحاول توعية هذا الناخب للحدِّ من الأصوات الباطلة، ولكي تتم عملية التصويت بشكل صحيح وسليم.

بينما يرى الأستاذ محمود نفادي أن القانون بشكله الصادر جاء ترضية للأحزاب على حساب المرشحين المستقلين، والصيغة التي صدرت لم يكن المصريون يفضلونها ولا هي التي ينتظرون؛ والدليل على ذلك أن المجلس العسكري قبل إصدار القانون وجد أن المستقلين يريدون نظاماً انتخابياً فردياً (وهو الشكل المتعارف عليـــه)، أما الأحزاب فهم يريدونها كاملة بنظام القائمة، فتوصل المجلس العســـكري إلى قرار النصـــف والنصف، فلم يُرضِ هذا الأحـــزاب فقام بتعديله إلى الثلثين بنظـــام القائمة وفقط الثلث بنظام الفردية، على الرغم من أن هذا التقســـيم لا يمثل حقيقة الشعب المصري؛ فكل من بالأحزاب لا يتعدى بأي حال نسبة الـ ٥٪ مـــن الذين لهم حق التصويت؛ في حـــين أن النظام الفردي الذي يمثل الـ ٩٥٪ لا ينافس إلا على ٣٣٪ من مقاعد البرلمان.

ولـــم يكتفِ المجلس العســـكري بهذا بل قـــام بتعديل المادة الخامسة ليرضي الأحزاب مرة أخرى. وبهذا أصبحت الأحزاب تنافس على ١٠٠٪ من المقاعد، أما النظام المســـتقل فلا ينافس إلا على نسبة ٣٣٪ منها.

ويعرب الدكتور ناجح إبراهيم عن أهم سلبيات هذا القانون بقوله: «يعتبر اتســـاع الدائرة الانتخابية أهم عيوب القانون؛ فلنا أن نتخيل أن محافظة كاملة كأســـيوط تُقسَـــم فقط إلى أربعة دوائـــر انتخابية، وهو ما يترتب عليه الاحتيـــاج الكبير للدعائم الماليـــة المســـتخدمة في الدعايـــة الانتخابية! ولقـــد قام أحد المرشـــحين السابقين بحســـابها فوجد أنه يحتاج إلى مائة ألف جنيه لعمل لافتات قماشية في دائرته، وحوالي ستين ألف جنيه

لإقامة المؤتمرات في الدائرة نفســـها، كما أنه يحتاج بعد النجاح إلى حوالي عشـــرين ألف جنيه شهرياً لتأسيس أو تأجير مقرات له، فضلاً عن كون المرشـــح بهذا الشـــكل لن يستطيع أن يغطي خدمات هذه المســـاحة الشاسعة، وهو ما سيقف حجر عثرة في خدمة المواطنين.

وعن نزاهـــة الانتخابات يرى الدكتـــور أحمد دياب أن مثل هذه القوانين لن تصنع النزاهة وحدها؛ وإنما هناك عدة شروط أخرى، منها: الإشـــراف القضائي الكامـــل، وتنقية الجداول من الذين ليس لهم حق التصويت، واستخدام الرقم القومي يساعد على ذلك، وإعطاء الوقت الكافي للمنتخبين حتى يصوت الجميع؛ وخاصة بعد الاتساع الرهيب للدوائر الانتخابية، ثم تأتي المشاركة الشعبية الفاعلة التي تعد أحد أهم ضمانات النزاهة المطلوبة.

المراقبة الدولية:

يشير الأســـتاذ عبد العظيم الباسل إلى أن المراقبة الدولية للانتخابات ليست حكراً على أحد، وليست هي الحجة التي يروج لها البعض أنها هي التي ستضمن عملية نزاهة الانتخابات. ومع ذلك لا مانع من أن تكون هناك رقابة دولية؛ ولكن لا نعول عليها كثيراً.

ويؤكد الأســـتاذ محمـــود نفادي على عدم جـــدوى المراقبة الدوليـــة رغم أنهـــا مرحَّب بها؛ لأنه - بكل بســـاطة - لا يوجد نظام حاكم يقبض على السلطة ويساند رجاله ويخشى أن تظهر عوراته أو تدخلاته، فتلك الرقابة تظهر ويكون لها دورها الفاعل مع وجود رأس للسلطة لتكشُّف العورات وتقف على السلبيات.

بينمـــا يرى الدكتور أحمد دياب أنه لا بد من وجود مثل هذه المراقبـــة الدولية حتى نزيد في شـــفافية الانتخابات ونزهاتها؛ وخاصة إذا كان هذا أول عُرس ديمقراطي حقيقي؛ فلا بأس أن يأتي العالم كله ليشاهده؛ شريطة ألا يتدخل أحد من الخارج في شؤوننا الداخلية.

الإسلاميون تحت القبة:

يحدد الدكتور ناجح إبراهيم التمثيل المتوقع للتيارات الإسلامية في الانتخابات القادمة بأن الإخوان من الممكن أن يحصلوا من ٢٠ – ٢٥٪ من المقاعد، كما أن الحركة السلفية من الممكن أن تحصل من ١٠ – ١٥٪، وكذلك الجماعة الإسلامية فيعتقد أنهم سيحصلون من ١٠ – ١٥ مقعداً.

ويؤكد الأستاذ محمود نفادي هذه النسبة تقريباً، وأنها ستكون في حدود ٣٠٪ للقوى الإسلامية كلها من مقاعد البرلمان، وستحوز الكتلة الكبيرة من النسبة جماعة الإخوان المسلمين لأنهم أكثر تنظيماً وأطول عمراً في الحياة السياسية المصرية وقد تصل إلى ٢٥٪، والـ ٥٪ الأخرى تؤول للسلفيين والجماعة الإسلامية.

قانون الغدر الجديد:

يتوقع الأستاذ محمود نفادي عدم إصدار قانون الغدر أصلاً؛ وذلك لأسباب دستورية وأخرى سياسية وعصبية وقبلية وعائلية في المجتمع المصري، وسيظل المجتمع المصري يُحكَم بثقافات متعددة يجب أن نراعيها. وحتى لو صدر فلن يؤثر كثيراً على المنتمين للحزب الوطني المنحل؛ لأن الحزب ببساطة كان عنده عشرون صفاً من المرشحين، وقانون الغدر لن يوقف إلا الصف الأول والثاني فقط من مرشحي الحزب المنحل.

ويلفت الدكتور ناجح إبراهيم إلى ضرورة توازن هذا القانون، وألا يكون كمعظم القوانين الأخرى في مصر؛ فهي تصنَع وتفصَّل في ظرف معيَّن ولأشخاص معيَّنين، وتنحاز دائماً لطائفة ضد أخرى.

الإسلاميون والتحالفات:

وفي نظر الأستاذ محمود نفادي فإن التحالفات الجارية بين الإسلاميين وغيرهم هي تحالفات أقيمت على المصلحة السياسية والانتخابية، فرضتها ظروف المرحلة الراهنة، ويرى الدكتور عبد الله الأشعل أنها كلها حيل انتخابية مشروعة.

الفتنة الطائفية والانتخابات

ينظر الأستاذ عبد العظيم الباسل إلى الأحداث الطائفية الأخيرة (أحداث ماسبيرو) على أنها لن تؤثر على إجراء الانتخابات في موعدها بشكلها المعلن عنه، ويرجع أسباب الاحتقان الطائفي في هذه الحادثة إلى: الغياب الأمني في الشارع المصري، فضلاً على عدم وعي من قاموا بهذه الأحداث بأهمية المرحلة الانتقالية السلمية الراهنة التي تمر بها مصر، وأخيراً تباطؤ الحكومة الانتقالية (التي نسيت أنها انتقالية) في إصدار القرارات التي تهدِّئ من حالة التذمر التي يشعر بها المصريون؛ فغالباً ما تتم عملية إصدار هذه القرارات يومَي الأربعاء والخميس تحسُّباً لأي مليونية أو مظاهرة.

ويختلف الأستاذ محمود نفادي في تأثير هذه الأحداث على الانتخابات، ويؤكد أنه: لا شك سيكون لها تأثير سلبي على الانتخابات؛ لأن سببها الحقيقي هو تخوُّف النصارى من صعود التيار الإسلامي في البرلمان والحكم؛ وعليه فإنهم يخشون من إجراء الانتخابات في هذا التوقيت، وأعتقدُ أن تصويت النصارى سيكون تصويتاً عقابياً للإسلاميين؛ فلن يذهب صوت واحد نصراني إلى كتلة أو قائمة إسلامية حتى إن ضمت بداخلها مرشحين أقباط.

أما الدكتور عبد الله الأشعل فيؤكد أنه يجب أن تؤثر هذه الأحداث على الانتخابات تأثيراً إيجابياً، بأن تؤدي إلى التمسك بمواعيد الانتخابات، وإلى الإقبال الشديد عليها؛ فهذه الأحداث وقعت في مرحلة السيولة السياسية في مصر، ونحن نحتاج الآن نظاماً سياسياً قوياً يستطيع أن يمنع كل هذه المهاترات في المستقبل، ولن يكون إلا بتلك الانتخابات.

ويجمع الدكتور أحمد دياب المعوقات والتحديات التي تقف أمام إجراء الانتخابات، وأنها تتمثَّل في فلول الحزب الوطني المنحل، وفلول أمن الدولة المنحل أيضاً، وفلول رجال الأعمال الذين نهبوا البلد وليس عندهم أي مانع لأن يحرقوا مصر لمصلحتهم الخاصة، وطابور البلطجية، كل هذه معوقات يجب أن نتعامل معها بكل حزم وقانون؛ فلا يصح أن يلتقي بعض الناس ليهددوا الأمن القومي بتصريحات يعاقب عليها القانون ثم لا تجد من يتصدى لهم، وهو ما حدث في أحداث ماسبيرو الأخيرة.

أماكن العبادة والدعاية الانتخابية:

اجتمعت كلمة كل المشاركين في هذا التحقيق على رفض استغلال أماكن العبادة (المسجد والكنسية) في الدعاية الانتخابية؛ فلا يصح أن تُستخدَم هذه الأماكن للدعاية لأشخاص أو أحزاب؛ فدور العبادة لها دورها وعملها في التثقيف الدعوي والشرعي والديني عامة. أما محاولات التأثير على جانب الشعور الوجداني أو الروحي للمواطن فهذا لا يجوز بأي حال من الأحوال، وأن هناك قانوناً للجنة العليا للانتخابات يجرِّم هذا العمل. إلا أن الأستاذ محمود نفادي توقع أن هذه العملية ستخدم على نطاق واسع من كلا الجانبين، ولن يطبق القانون؛ لأن القانون في مصر حالياً في «إجازة».

مشاركة شعب:

يذكر الأستاذ عبد العظيم الباسل أن الشعب المصري لن يعود إلى السلبية التي كان عليها قبل الثورة مرة أخرى؛ فهو الذي خرج ليصوِّت على استفتاء بهذه الأعداد الكبيرة؛ ولن يُضيِّع أول فرصة حقيقة يعلم أنه فيها يمثل نفسه فعلاً، ولقد تأكد أن صوته له قيمة، وأن صوته هذا سيغير. ويرى الأستاذ محمود نفادي أن التسهيلات في الانتخابات القادمة ستساهم في خروج عدد كبير للتصويت؛ فالانتخاب سيكون بالرقم القومي، وفي أقرب الأماكن للمنتخبين.

كما أشار الدكتور ناجح إبراهيم إلى نقطة حشد الأحزاب لجماهيرهم وأنصارهم، وكذلك المرشحون المستقلون.

ويؤكد الدكتور أحمد دياب هذا المعنى، ويعتقد أن الشعب الذي مارس حقه السياسي بشكل طبيعي وعادل ونزيه في ثورة خرجت في أرجاء مصر كلها وفي وقت واحد، ثم بعدها في استفتاء (مارس/آذار)، وأن الشعب الذي ذاق نسمات الحرية سوف يستكمل مشواره تجاه الحرية والديمقراطية الحقيقية، كما أننا نراهن - بعد الله سبحانه وتعالى وتوفيقه - على هذا الشعب.

كلمات أخيرة:

الدكتور عبد العظيم الباسل: أتوقع أن تمر هذه الانتخابات بسلام ونزاهة رغم تحفظ بعض الناس على غياب الحالة الأمنية؛ وإنما نأمل أن يكون هناك وعي كافٍ للناخب لأنه هو البطل الحقيقي في هذه اللعبة كلها.

الدكتور عبد الله الأشعل: حتى تكون الإرادة حرة نحتاج إلى تأمين اللجان، ووقف البلطجة، وعدم تعريض المواطن للنصب والاحتيال المعنوي، ومن الضروري منع أعضاء الحزب الوطني المنحل من المشاركة في الانتخابات القادمة؛ لأنهم سوف يأتون بعقلية الفساد والإفساد نفسها، والأدوات والأساليب القديمة نفسها أيضاً.

كما أنه لا بد من أن تشكل اللجنة العليا للانتخابات محكمة عاجلة خاصة بالعملية الانتخابية فقط، لتعمل على الفصل في القضايا المتعلقة بها: من تزوير، وضرب، وسب، وقذف، وأعمال بلطجة، وغير ذلك.

والدكتور أحمد دياب يرى أن الأمن ضرورة حياتية، ولا يمكن أن تمارس أي نوع من أنواع التنمية أو التطور السياسي أو الاقتصادي دون أمن وأمان. ولكن على النقيض يجب ألا نبالغ في موضوع عدم وجود الأمن بهذه الصورة؛ لأن بعض الناس يستخدم ذلك لترويع وتخويف الشعب المصري، ويكفيك أمناً خروج ملايين من الشعب المصري للانتخاب، وأفضل وقت مررنا فيه دون مشاكل ولا أعباء حقيقية كانت فترة الثورة، وهي التي لم يكن في مصر كلها فرد أمن واحد. فالموضوع مرهون بهذا للشعب الواعي اجتماعياً، وهذا طبعاً لا ينفي المسؤولية الواقعة على عاتق الجيش والشرطة في تأمين المقار والعملية الانتخابية.

مجلة البيان

جديد مجلة البيان

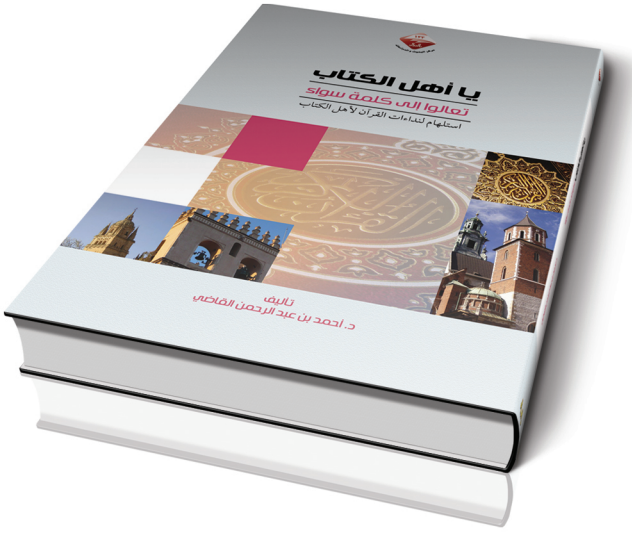

www.albayan.co.uk

الرياض: ـ هاتف: ٤٥٤٦٨٦٨ تحويلة: ٥٠٠ و ٥٠٢ فاكس: ٤٥٣٢١٢١
التوزيع والمبيعات: ٠٥٠٤٤٧٨٩٣٢ ٠٥٠٢٢١٠٩٢٠ـ ٠٥٠٣٤٠٩٨١٦ـ ٠٥٠٣٨٩٦٣٦٥ـ ٠٥٠٦٤٦١٠٦٥
جدة: ٠٥٠٦٤٦١٠٥٧ مكة والمدينة: ٠٥٠٧٢٦٦١٢٠ المنطقة الجنوبية: ٠٥٠٦٤٦١٠٥٨
المنطقة الشرقية: ٠٥٠٦٢٩٢٦٨٩ منطقة القصيم: ٠٥٠٢٢٢٠٦١٦

مرصد الأخبار

جـــلال ســـعـــد الـــشـــايـــب
galal_elshayp@hotmail.com

جائزة صهيونية للرئيس المصري المخلوع مبارك

قامت القناة الثانية الإســـرائيلية بترشيح الرئيس المصري السابق (حســـني مبارك) لجائزة شخصيةِ العامِ في إسرائيل. ليكون مبارك بذلك أول شخصية عربية وغير إسرائيلية يتم ترشيحها لهذه الجائزة في دولة الاحتلال.

وفي تقرير لها بيَّنت القناة أن أوســـاطاً سياســـية وصحفية رشحت الرئيس المصري الســـابق مبارك لهذه الجائزة؛ نظراً لتمسُّـــكه بالسلام مع إســـرائيل منذ تولِّيه منصب الرئاســـة في عام ١٩٨١م، كما أنه عمل على تطبيق بنود معاهدة السلام، وحافظ على استقرار المنطقة طيلة الـ ٣٠ عاماً الماضية، وأنه قدم خدمات كبيرة لدولة إسرائيل، ويجب تكريمه حتى ولو أنه لا يستطيع تسلُّم الجائزة.

ومن الجدير بالذكر أن رئيس وزراء إسرائيل كان قد وصف مبارك بالكنز الإستراتيجي للكيان الصهيوني.

[القناة العبرية الثانية الإسرائيلية ٢٠١١/١٠/٥م]

كرزاي: إقرار بفشل حكومته والناتو في توفير الأمن

أقر الرئيس الأفغاني حامد كرزاي في لقاء مع شبكة الـ BCC العربية بأن حكومته وحلف شـــمال الأطلسي (الناتو) فشـــلا في توفير الأمن علـــى الرغم من مرور عشر سنوات على سقوط حكم طالبان، متهماً باكستان بدعم الحركات الناشـــطة على الحـــدود بين البلدين، مضيفاً: أنه لا تزال هناك ملاذات آمنة لتلك الحركات المتمردة (على حد زعمه).

وأضـــاف كرازي: «لقد قمنا بعمـــل رديء على نحو كبير في مـــا يتعلق بتوفير الأمـــن للمواطنين الأفغان، وهذا أكبر تقصير من جانب حكومتنا، ومِن قِبَل شركائنا الدوليين»، وتابـــع قائلاً: «إن المجتمع الدولي والحكومة الأفغانية قد فشلا من دون شك».

[شبكة الـ BCC ٢٠١١/١٠/٧م]

شيخ الأزهر يرحب بدعوة لزيارة غزة، ويدرسها

أكد الدكتور عصام يوسف (منسق قوافل «أميال من الابتسامات لغزة») أن وفد القافلة التقى بشيخ الأزهر الدكتـــور أحمد الطيب لإطلاعـــه على آخر التطورات بشأن الحصار الجائر المفروض على قطاع غزة، مُشيراً إلى أن وفد القافلة وجَّه الدعوة لشيخ الأزهر الشريف لزيارة القطاع، موضحاً أنه أبدى ترحيباً بالدعوة وأنها محل دراسة بالنسبة له (بحسب قوله).

وبيَّن يوســـف أن القافلة تتكون من تســـعين ناشطاً دوليّـــاً، وتتكون من معدَّات طبيـــة وأدوية، إضافة إلى عدد من ســـيارات الإســـعاف، مشـــيراً إلى أن تكلفة القافلة تصل إلى نصف مليون دولار.

[المركز الفلسطيني للإعلام ٢٠١١/١٠/٥م]

مسؤول جزائري يسخر بعنف من الثورات العربية

سخر عبد العزيز بلخادم (الأمين العام لجبهة التحرير الوطني الجزائرية) من الثورات العربية - حسب وكالة «فرانس برس» - مؤكداً أن «ليبيا لا تدين بخلاصها إلا للتدخل الأجنبي»، وذلك في إشارة إلى تدخُّل حلف الأطلسي. كما صرح قائلاً: «إن القانون الدولي يسمح بحماية السكان، لكنه لا يسمح بتغيير الأنظمة».

وأشار إلى «أن تونس ومصر تتخبطان في الوقت الحالي في أزمات ما بعد الثورة»، وفي أمكنة أخرى، في سورية واليمن تتواصل أعمال العنف، مضيفاً بسخرية: «لقد تعطلت الآلة»، وذلك في مقابلة مع إذاعة «الشبكة ٣ أن».

[ردیو سوا ٢٠١١/١٠/٩م]

كلينتون: مستعدون للتعاون مع مصر الإسلامية

أكدت هيلاري كلينتون (وزيرة الخارجية الأمريكية) في حوار أجرته مع برنامج «الحياة اليوم» المصري، أنهم على استعداد للتعامل مع أي حكومة مصرية حتى لو كانت إسلامية، قائلة: «سنكون مستعدين وجاهزين وراغبين في التعامل والتعاون مع حكومة يلتزم أعضاؤها بعدم اللجوء للعنف، ومتمسكة بحقوق الإنسان والديمقراطية التي طالب بها المصريون من ميدان التحرير، والتي تعني احترام الأقباط والمرأة، وأصحاب الآراء المختلفة ضمن إطار الإسلام»، ومشترطة «وجود دعائم أساسية للديمقراطية، وهي: الصحافة الحرة، وحرية التعبير، والسلطة القضائية المستقلة، وحماية حقوق الأقليات، وحقوق الإنسان».

[موقع قناة العربية ٢٠١١/١٠/٢م]

تحقيق صحفي حول: ماذا سيجني الفلسطينيون من «عضوية» بالأمم المتحدة؟

نشرت شبكة الـ «CNN» الإخبارية تحقيقاً صحفيّاً حول: ماذا سيجني الفلسطينيون من «عضوية» بالأمم المتحدة؟ وفيه أجمع مراقبون وساسة على أهمية هذا الانضمام ووصفوه بأنه انطلاقة ومسعى فلسطيني وراء اعتراف المنظمة الأممية بـ «فلسطين» دولةً مستقلةً على أراضي الضفة الغربية وقطاع غزة والقدس الشرقية.

كما أكدوا على أن هذه العضوية ستلغي غموض قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢، وتدخل «فلسطين» ضمن القانون الدولي، ومن ثَمَّ سيحق لها التعامل مباشرة مع محكمة العدل الدولية، وتغيير قواعد المفاوضات الثنائية، كما أن هذا الانضمام سيعمل على إعادة القضية الفلسطينية أمام المجتمع الدولي، ويجعل إنهاء احتلال الأراضي الفلسطينية شأناً دولياً، بدلاً من مجرد قضية تتحكم فيها إسرائيل عن طريق المفاوضات الثنائية، وأيضاً سيعمل على تغيير قواعد العملية السياسية والمفاوضات الثنائية، وتخلِّي المجتمع الدولي عن دوره.

وقد توقع بعض المحللين أن تحاول أمريكا ممارسة ضغوطات على الدول التي لم تحدد موقفها بَعْد تجاه قبول عضوية فلسطين، بدلاً من استخدام حق النقض «الفيتو» حتى لا تضع نفسها في موقف محرج، وقد تضع أمريكا نفسها في موقف يُفقدها نزاهتَها أمام العالم في حال لجأت فعلياً لاستخدام حق النقض «الفيتو» لنقض هذا الانضمام.

[شبكة الـ CNN الإخبارية ٢٠١١/٩/٢٢م]

علامة تعجب

أغنى محافظة نفطية عراقية لا تجد ميزانية لبناء مدرسة!

من يريد العلم لن يســـتوقفَه عدم وجود مدارس كافية أو إضراب معلمين. وهو ما حدث في محافظة ميســـان العراقية؛ فعلى الرغم من أنها أغنى محافظة بالنفط في العالم إلا أنه لا يوجد فيها موازنة كافية لبناء مدرسة واحدة للتعليم الابتدائي؛ وهو ما حدا بأهالي المحافظة للقيام بإنشـــاء مدرســـة «نبي الرحمة الابتدائية»، وقاموا بتجهيز مبنى بالطين والطوب اللَّبِن والخوص والحطب، يتألف من ستة فصول، ويضم ١١٠ تلاميذ، و ١٢ معلماً. [جريدة الأهرام المصرية ٢٠١١/٩/٢٨م]

(رسمياً) ترشيح حمار لمنصب عمدة مدينة فارنا البلغارية!

رشحت مدينة فارنا البلغارية حماراً لمنصب عمدة المدينة الواقعة على البحر الأسود، وذلك في الانتخابات التي تجري يوم ٢٣ نوفمبر القادم، ومن الغريب أن اللجنة المركزية لانتخابات البلديات، أعلنت رسمياً قبول الترشيح!

وقالت وكالة (أنباء صوفيا) البلغارية: إن حزب مجتمع بلغاريا الجديد، قد رشح الحمار (ماركو) للمنصب، مؤكداً أنه أبرز منافسي العمدة الحالي للمدينة (كيريل يوردانوف) للفوز بالمنصب.

ونقلت الوكالة عن أعضاء الحزب قولَهم: لقد رشحنا الحمار للمنصب؛ لأنه لا فرق بينه وبين العمدة الحالي (يوردانوف)؛ فكلاهما مطيع لسيده. وأضاف أعضاء الحزب: إن العمدة الحالي يوردانوف خادم مطيع لسيده رئيس الوزراء البلغاري بويكو بوريســـوف؛ إلا أن هناك عدة فروق حقيقية بين الحمار «ماركو» وبقية المرشحين لمنصب العمدة؛ فهو يمتلك شخصية قوية، ولا يسرق ولا يكذب، كما أنه يعمل بجد. [نقلاً عن وكالة (أنباء صوفيا) البلغارية ٢٠١١/١٠/٣م]

(س) و (ج)

س: ما هو حق الفيتو؟ وما تاريخه، وكيفية استخداماته؟

ج: يرجع أصل كلمة (فيتو) إلى اللاتينية؛ وتعني (أنا أعترض). وشاع مدلولها أكثر بعد نهاية الحرب العالمية الثانية وقيام الأمم المتحدة عام ١٩٤٥م من القرن الماضي.

وبموجب موازين القوى ومنطق الدول المنتصرة في الحرب مُنِح خمسة من أعضاء مجلس الأمن الدولي الـ ١٥ حق النقض (فيتو)، وهي: الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي (سابقاً)، وبريطانيا وفرنسا وجمهورية الصين.

ولقد اســـتخدمت موسكو حق الفيتو ١٢٠ مرة وكانت كلها تقريباً في عهد الاتحاد السوفييتي (السابق) باستثناء مرتين فقط في عهد الاتحاد الروسي. أما الولايات المتحدة فاستخدمته ٧٧ مرة منها ٣٦ لحماية إسرائيل، حتى لمجرد اللوم أحياناً.

في الوقت الذي لجأت فيه بريطانيا إلى حق الفيتو ٣٢ مرة، بعضها كان اســـتخدامه إلى جانب الولايات المتحدة أو فرنســـا أو هما معاً، بينما انفردت بالباقي دفاعاً عن روديسيا، لكن ذلك لم يمنعها من الانهيار وقيام دولة زيمبابوي على أنقاضها.

بينما استخدمت فرنسا حق الفيتو ١٨ مرة، أما الصين فاستخدمته خمس مرات فقط.

لقد أفرطت موسكو في استخدام حق الفيتو إبَّان الحرب الباردة على سبيل العناد للغرب؛ حتى أصبح وزير خارجيتها الشهير في ذلك الوقت أندري غروميكو يلقَّب بالسيد (نيات) أو الرافض على الدوام، ولا يضاهي الروس في استخدام حق الفيتو إلا الأميركيون الذين أجهضوا ٥٤ مشروع قرار.

ووقفت واشنطن ٣٦ مرة في وجه قرارات تنتقد إسرائيل، أو تطالبها بالانسحاب من الأراضي الفلسطينية التي احتلتها عام ١٩٦٧م، وبعدها إلى جانب رفض قاطع لإدانة إسرائيل بسبب حرقها المسجد الأقصى أو اغتيال الشيخ أحمد ياسين (مؤسس حركة حماس) عام ٢٠٠٤م.

وفي عام ٢٠١١م أفشلت الولايات المتحدة مشروع قرار يدين الاستيطان الإسرائيلي رغم موافقة ١٤ عضواً عليه.

وقبل ذلك بربع قرن لجأت الولايات المتحدة لحق الفيتو عام ١٩٧٦م ضد مشـــروعَي قرار كانا يطالبان بحق الشـــعب الفلسطيني في تقرير مصيره.

[الجزيرة الإخبارية ٢٠١١/٩/٢٤م]

قالت منظمة الصحة العالمية في نشـــرة أصدرتها: إن «التبغ يقتل نصف من يتعاطونه تقريباً»، موضحة أنه «يودي كلَّ عام بحياة ٦ ملايين نســـمة تقريبـــاً، منهم أكثر من ٥ ملايين ممَّن يتعاطونه أو ســـبق لهم تعاطيه وأكثر من ٦٠٠ ألف من غير المدخنين المعرَّضين لدخانه».

وأشـــارت المنظمة على موقعها الإلكتروني إلى أنه «من الممكـــن - إذا لم تُتخذ إجراءات عاجلـــة - أن يزيد عدد الوفيـــات ليبلغ أكثر من ٨ ملايين حالـــة وفاة بحلول عام ٢٠٣٠م».

ويعيش نحـــو ٨٠٪ من المدخنين البالـــغ عددهم مليار شـــخص على الصعيد العالمي في البلدان منخفضة الدخل والبلدان متوسطة الدخل.

[منظمة الصحة العالمية ٢٠١١/٩/٩م]

صرح الرئيس التنفيذي لموقع تويتر (ديك كوستولو) أن عدد مســـتخدمي الشبكة الاجتماعية التي توفر مشاركات قصيرة، وصل إلى ١٠٠ مليون مســـتخدم نَشِط، كما أشار إلى أن نصف هؤلاء المستخدمين تقريباً (أي نحو ٥٠ مليون مستخدم) يدخلون إلى حســـاباتهم على الموقع مرة واحدة على الأقل يوميّاً.

وأوضح أن نحو ٥٥٪ من المستخدمين الدائمين يدخلون إلى تويتر عبر الهاتف النقال، ونحو ٤٠٪ منهم لا يرســـلون مشاركات ولا يحدِّثون صفحاتهم، لكنهم يتابعون مشاركات الآخرين.

[جريدة الاتحاد الإماراتية ٢٠١١/٩/١٤م]

أسفرت أعمال القمع والعنف منذ بدء المظاهرات ضد نظام بشار الأسد - بحســـب الأمم المتحدة - إلى سقوط ٢٩٠٠ قتيل منذ ١٥ مارس الماضي في سورية، ولقد صرح المتحدث باســـم المفوضية العليا لحقوق الإنســـان التابعة لـــلأمم المتحدة روبرت كولفيل لوكالة فرانس برس أن هذا الرقم قـــد يرتفع انطلاقاً من أن عدد الأشـــخاص الذين اعتُبِروا في عداد المفقودين «أكبر بكثير» [أي بمعدل ١٥ شهيداً يومياً].

[موقع أخبار (فرنسا٢٤) ٢٠١١/١٠/٧م]

أوضحت النسخة الثانية من تقرير الإعلام الاجتماعي العربي الذي تصـــدره كليَّة دبي للإدارة الحكومية أن عدد مســـتخدمي موقع (فيســـبوك) للتواصل الاجتماعي في العالم العربي وصل إلى ما يقرب من ٣٢ مليون مســـتخدم في شهر أغســـطس الماضي بمعدل نمو قدره ٥٠٪ مقارنة بالعام الماضي.

كما أكد التقرير أن مصر وحدها أضافت ما يقرب من أربعة ملايين مســـتخدم للفيسبوك منذ بداية عام ٢٠١١م وحتى شهر أغسطس الماضي.

[بوابة الشروق المصرية ٢٠١١/٩/٢١م]

اعتقلت القوات الصهيونية منذ احتلالها للضفة الغربية عام ١٩٦٧م وحتى الآن حوالي ٧٥٠ ألف مواطن فلسطيني مـــن كافة المناطق، بينهم قرابة ١٢ ألف امرأة فلســـطينية وعشرات الآلاف من الأطفال.

جاء ذلك في تقرير نشـــره جهاز الإحصاء الفلسطيني، مؤكداً على أن الاعتقـــالات لم تقتصر على الأحياء فقط، وإنما شـــملت الأموات؛ حيث لا تزال ســـلطات الاحتلال تحتجز عشرات الجثامين لشهداء من الجنسين، استشهدوا خلال انتفاضة الأقصى ومئات الجثامين لشهداء استشهدوا في السنوات التي سبقتها.

وأشـــار التقرير إلى أنه يقبع اليوم في سجون الاحتلال نحو ســـتة آلاف أسير فلســـطيني، بينهم عشرات الأسرى العـــرب من جنســـيات عربيـــة مختلفة، و ٣٥ أســـيرة، و ٢٨٥ طفلاً، ويشـــكلون ما نســـبته ٥,٣٪ من إجمالي عدد الأسرى.

[يوناتيد برس إنترناشونال ٢٠١١/١٠/٤م]

ذكر تقرير ســـنوي صادر عن مكتب التعداد الســـكاني الأمريكـــي أن عدد الأمريكيين الذين يعيشـــون تحت خط الفقر قد بلغ ٤٦ مليون نسمة نهاية العام الماضي، مسجلاً أعلى مستوياته، وبذلك يرتفع معدل الفقر الأمريكي للعام الثالث على التوالي مسجلاً نسبة ١٥,١٪.

ويذكَر أن مكتب الميزانية بالكونغرس أكد أن العجز في ميزانية الحكومة الأمريكية في الســـنة المالية المنتهية في ٣٠ سبتمبر بلغ ١,٣ تريليون دولار أو ما يعادل ٨,٦ ٪ من الناتج المحلي الإجمالي.

وتوقع مســـؤولون أمريكيون أن يقتـــرح الرئيس باراك أوباما تجميـــد جزء من الميزانية على مدى ٣ أعوام ابتداء مـــن عـــام ٢٠١١م لتوفير ٢٥٠ مليار دولار باســـتثناء تلك المتعلقة بالأمن القومي، وذلك في خطابه حول حال الاتحاد أمام الكونغرس.

[موقع الإسلام اليوم تواريخ مختلفة]

الأقلية الإسلامية في مملكة سوازيلاند

د. أحمد محمود السيد
mr.ah54@hotmail.com

مملكة سوازيلاند: دولة إفريقية داخلية، تقع جنوب القارة، تحيط بها جنوب إفريقيا من الشمال والجنوب والغرب، وموزمبيق من الشرق، يبلغ عدد سكانها ٢ مليون نسمة، خضعت لحماية بريطانية منذ عام ١٨٨٨م، ثم لنفوذ اتحاد جنوب إفريقيا. ونالت استقلالها عام ١٩٦٨م.

اللغة الرسمية هي الإنجليزية، ولغة السوازي (المحلية) وعاصمتها (مبابانـي)، والغلات المنتَجة هي الأرز، والذرة وقصب السكر، والقطن. وتربي الأبقار والأغنام والماعز ومخارجها من موزمبيق وجنوب إفريقيا. وصلها الإسلام حديثاً عن طريق الهجرة إليها من اتحاد جنوب إفريقيا ومن موزمبيق.

الجماعات الإثنية: الأفارقة: ٩٧ ٪ والأوروربيون: ٣ ٪.

الأديان: معتقدات تقليدية: ٤٠٪، كاثوليك: ٢٠٪، مسلمون ١٠٪، أصحاب ديانات أخرى مثل الإنجيليكية واليهودية: ٣٠ ٪.

وصلها الإسلام حديثاً عن طريق الهجرة إليها من اتحاد جنوب إفريقيا وانتشار التجار المسلمين الذين تحملوا عبء الدعوة الإسلامية. وقد بدأت الدعوة الإسلامية تنشط بشكل رسمي في عام ١٩٨٩م.

المشكلات التي تواجه المسلمين:

هناك مشكلات عامة، مثل:

١ – تفرق مجموعات العمل الإسلامي وعدم وجود جبهة موحدة تقوم على تنظيم العمل لمواجهة التحديات والتحدث بشكل رسمي مع النظام الحاكم حول مطالب المسلمين.

٢ – تحديات المذاهب والفرق المضادة للإسلام كالقاديانية والشيعة وغيرها من الفرق والمذاهب المنتشرة في إفريقيا عامة وساوزيلاند خاصة.

٣ – نظام العزل القسري لكل مجموعة عرقية على حدة، وهو ما يكرس العنصرية ويذيب المسلمين خارج نطاق تجمعهم الإسلامي.

٤ – عدم وجود نظام تعليم إسلامي موحد في البلاد، وهو ما يدعو للفرقة والبلبلة وورفض الحكومة تطبيق كل هذه الأنظمة التعليمية عليهم.

٥ – الافتقار إلى جهة أو مؤسسة تقوم على توفير الكتب الإسلامية باللغة الإنجليزية واللغة المحلية بشكل يغطي مطالب المسلمين كافة.

٦ – وجود خلافات كبيرة بين الجهات الإسلامية الدعوية وانعدام التخطيط المستقبلي.

٧ – خلو الساحة من الهيئات الدعوية التي توجه رسالتها إلى الأفارقة الزنوج.

٨ – ضعف الجمعيات الدعوية التي تواجه عمليات التنصير المنظمة.

٩ – ضخامة الخدمات الصحية والزراعية التي تقدمها هيئات التبشير العالمية في أوساط المسلمين مقابل انعدام تلك الخدمات التي تقدمها الجمعيات الإسلامية

مشكلات خاصة بسوازيلاند:

تعتبَر مشكلة انتشار مرض الإيدز بشكل كبير داخل البلاد أحد أخطر المشاكل التي تواجه المسلمين، وقد أخذت الحكومة بأحد الحلول الإسلامية وهو الختان الجماعي للرجال، وتهدف هذه الحملة إلى إبطاء وتيرة الإصابات الجديدة.

وتشهد سوازيلاند أكبر نسبة من الإصابات في العالم؛ حيث تشكل نسبة ٢٥,٩٪ من سكانها البالغين. وبسبب المرض فإن أمد الحياة فيها انهار من ٦١ سنة إلى ٣٢ سنة في غضون عقد من الزمن.

والختان مجاني لجميع الرجال غير المصابين بالفيروس بين سن ١٥ و ٤٩ عاماً مع هدف يتمثل بإجراء ١٦٠ ألف عملية من هذا النوع في غضون سنة حسب ما يوضح أياندا نكيكيتو (منسق المشروع بالتعاون مع منظمة الصحة العالمية).

وأظهرت دراسات أن ختان الرجال يخفض احتمال إصابة الرجال بفيروس الإيدز؛ لأن عدد الخلايا في الجزء المستأصَل أكثر بكثير من أعدادها في بقية العضو، الأمر الذي يجعله أكثر ضعفاً أمام الإصابة بالفيروس.

وفتحت مجموعة عيادات طبية أقساماً مخصصة لهذه العمليات وسيرتفع العدد إلى مائة عيادة بحلول نيسان (أبريل) المقبل (٢٠١١م)، وفي حال تجنب البلد إصابات جديدة بفضل هذه العمليات، فسنشهد – بإذن الله – تغيراً سريعاً على جبهة الإيدز.

تمد الهيئات الإسلامية بدولة جنوب إفريقية فروعاً لها في سوازيلاند وأهمها:

١ – مركز الدعوة الإسلامية العالمية.
٢ – مؤتمر الشباب المسلم.
٣ – مجلس القضاء الأعلى.
٤ – حركة الشباب المسلم.
٥ – جماعة العلماء.
٦ – جماعة التبليغ.
٧ – حركة الدعوة الإسلامية.
٨ – المركز الإسلامي (نور الإسلام).

المراجع والمصادر:

- الموسوعة المعرفية الشاملة.
- سيد عبد المجيد بكر، الأقليات المسلمة في إفريقيا.
- د. محمد عاشور مهدي، دليل الدول الإفريقية، جامعة القاهرة، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، ص٥٩٩.
- fact book

مع نفحات السَّحر

محمد شلال الحناحنة

زوجتي الغالية!

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

هل من نعمة في دنيانا أعظم من تحليق القلب بين أنوار الإيمان، ومن صحة البدن، وطمأنينة النفس، وبشاشة الوجه؟

ألا ترين أن قلة من الناس من يثق بقوة الله، وأنه معه في كل ضيق؛ فإن لم ينصره في الحياة لا يخذله فيها؟ فنحن مأمورون أن نكون من هذه القلة.

وإن اضطربت الحياة أمام سيرنا أشهراً أو سنوات، فقد وهبنا الله من صفائها وعذوبتها عقوداً.

هكذا أرانا نبحر معاً – يا غاليتي – حتى أجد المواجع المادية في حياتنا قد أضحت روحانية فيك!

زوجتي... يا نبض قلبي!

سرٌّ ناعم هادئ يتناثر في رسالتك الأخيرة إليَّ، سرٌّ أرقُّ من نسائم الفجر المعطر بالندى، سرٌّ جعلني أهفو إلى أيام خلت كنا نداعب فيها طفلنا الصغير قبل أن يحبو في ساحة الدار. نعم، جاءتني رسالتك، بل جئتِ أنت إليَّ في رسالتك زهرة من أزهار الله في الوجود تتنفس بعطرها الذكي!

أحنُّ إليكِ من وجع الليالي
وقد أذكتْ ضرواتُها أنيني
فبي شوقٌ إلى مجد المعالي
وبي وجدٌ يعانقُه حنيني
أما أودعتُ نبضَك في عروقي؟
وخطَّ اللهُ وعدَك في جبيني؟
فكيف يذود عني بعض طيفي؟
وكيف أقمتِ في ذاتي بدوني؟
ونقتسمُ الرؤى صحواً ونوماً
وفي عينيكِ قد نامتْ شجوني

كيف ينظر الصهاينة إلى التهديدات الإقليمية المحيطة بهم؟

د. عدنان أبو عامر(*)
adnanaa74@hotmail.com

لا شك أن التطورات العربية غيَّرت وجه منطقة الشرق الأوسط؛ لأن النظام القديم قد انتهى، وهذه الأيام تشهد صياغة النظام الجديد، بما في ذلك موجة من التهديدات تواجه الكيان الصهيوني يمكن رصدها وَفْقاً لما حددته أجهزة الاستخبارات الصهيونية على النحو التالي:

الضفة الغربية وقطاع غزة:

تحققت تقديرات قائد المنطقة الوسطى في الجيش «آفي مزراحي»، وبقيت الأمور تحت السيطرة عقب إعلان الدولة الفلسطينية في الأمم المتحدة، وما خرج إلى الشارع لم يتعدَّ سوى مظاهرات ذات دلالة سلمية، ينقصها سيطرة معيَّنة، وحالياً يجب الاستعداد لاحتمال الاحتدام في الأشهر القادمة، والتصعيد المحتمل الذي سيحصل جراء حادثة فردية واحدة ستشعل المنطقة كلها.

وفي قطاع غزة تُولِي حركة حماس المسيطرة هناك أهمية كبيرة للقوة العسكرية، وكميات السلاح المتدفقة إلى مخازنها عبر الأنفاق هائلة، وحالياً لا يكترث رؤساؤها لكل ما يرتبط بنشاط السلطة في الأمم المتحدة، وفي اللحظة التي يشعرون فيها أنَّ العملية قد تعرِّض موقعهم للخطر، فسيعملون ضد «إسرائيل» بغية إعادة أنفسهم للواجهة، رغم عدم تجاهل بقية المنظمات الأصغر التي تقدِّم نفسها اليوم بديلاً لحماس، مُلمِحاً بذلك إلى أن بوادر مواجهة عنيفة في غزة لا تظهر في الأفق، رغم أنه لا أحد يعلم ماذا سيحدث بعد ساعات.

وتنقل محافل عسكرية في قيادة المنطقة الجنوبية: أن شبه جزيرة سيناء هذه الأرض المصرية تحولت إلى ساحة بحد ذاتها بعد تأسيس منظمات الجهاد العالمي وبقيَّة المنظمات الفلسطينية التي استفادت من سقوط نظام مبارك وتفكُّكه واستقرت في المنطقة، ومئات آلاف البدو من عدة قبائل يعملون في سيناء كما يحلو لهم، والخلايا المسلحة تتجول فيها، وتنتظر اللحظة المناسبة لمهاجمة أهداف في «إسرائيل» في الوقت القريب. وفي ظل تنازع السلطة في مصر، يبدو الوضع في سيناء موضوعاً هامشياً أمام المشاكل الصعبة التي تواجههم في القاهرة، وهذا الوضع يتطلَّب من الجيش الصهيوني القيام باستعدادات كبيرة على امتداد الحدود المصرية.

(*) كاتب فلسطيني.

نزيف الأسد

يؤكد رجال المخابرات الصهيونية أن ترسانة الأسلحة السورية، إضافة للصراع على حياة النظام العلوي الذي يترأسه الأسد، تجعل الحدود السورية والواقع متوترين، وسريعي الانفجار؛ فالرؤوس الحربية البيولوجية والكيمائية التي قد توجَّه نحو الجبهة الداخلية الصهيونية لتحويل الانتباه، وتوحيد الصفوف في سوريا: جزء فقط من كوابيس الجيش الصهيوني.

وطالما أن هناك ما يقرب من ٢٣ مركز تظاهرات في سورية، والأسد يعيش على الرماح، وينزف، ويعيش في زمن الموت؛ فإن العقوبات على نظامه، والأزمة الاقتصادية التي سادت قبل اندلاع التظاهرات ستؤدي - على ما يبدو - لنهاية النظام العام القادم، واقتراح مرشح بديل للأسد سيسرِّع العملية.

يحاول التقدير العسكري أن يرسم صورة واقعية لما قد يحصل في الأردن في قادم الأيام؛ وَفْقاً لما زودته به أجهزة الاستخبارات الصهيونية؛ إذ يقول: كل يوم جمعة ينظم الإخوان المسلمون تظاهرات هادئة لا تهدِّد النظام في هذه المرحلة، والملك عبد الله يقرأ الخريطة، وبغية تهدئة الساحة أطلق عدداً من التصريحات حول إصلاحات مستقبلية؛ حيث يرى النظام في اتفاقية السلام مع تل أبيب «مكسباً إستراتيجياً» على الرغم من التصريحات الغريبة للملك في الشهر الأخير، وفي «إسرائيل» عليهم معرفة كيفية صون لسانهم، وعدم التفوه بعبارات تحرجه؛ خصوصاً في الوقت الذي يسير فيه على الجمر، ولا شك أن نظامه سيخضع لاختبار أيضاً؛ لكن فصل المملكة الهاشمية عن النظام الملكي يبدو بعيداً جداً.

تهديد الإخوان المسلمين:

مصر من جهتها ما زالت مرتبكة ومنشغلة بالتخطيط للمستقبل، وقد أدى عدم الاستقرار لتأجيل الانتخابات البرلمانية والرئاسة خلال شهرَي (نيسان وأيار)، بينما الانشقاقات في المجتمع المصري بارزة؛ وكذلك عدد المرشحين للرئاسة؛ حيث البارز من بينهم محمد البرادعي، والحملات الانتخابية موجَّهة ضد «إسرائيل» واتفاقية السلام؛ لكن ليس بالضرورة أن تبقى كما هي في اليوم التالي؛ لأن السلام مع «إسرائيل» مكسب إستراتيجي بالنسبة للمصريين أيضاً.

ويخلص إلى القول: في أقصى الحالات ستمر علاقات القاهرة مع تل أبيب بجمود كبير سيتجسد في المجال الاقتصادي، لكن ليس بالضرورة في المجال العسكري الذي تعتمد عليه الاتفاقية؛ فالاقتصاد في مصر في وضع سيئ جداً، وفي فرع السياحة (المصدر الأساسي للدخل) هناك تدهور حادٌّ وهناك جريمة وفوضى وبطالة عالية ونمو سلبي. والخشية الحقيقية في الغرب من قرار الإخوان المسلمين (الهيئة الأكثر تنظيماً في مصر) بالتوحُّد والسيطرة على الحكم؛ لأنه في وضع متطرِّف كهذا سينتقل الجيش العربي الأكبر في المنطقة إلى أيدٍ معادية، مطالباً الجيش الصهيوني بأن يستعد لهذا السيناريو؛ ورغم أن التهديد لا يلوح في الأفق مطلقاً، لكنه قائم لا محالة.

ويرى أن التهديد القادم من تركيا ينطلق من كونها تشكل الاقتصاد رقم ١٧ في العالم، وقد أعلن «أردوغان» أنه حتى عام ٢٠٢٠م سيكون الاقتصاد العشرين في العالم. في هذه المرحلة تتجسد النوايا في المنطقة، ويرتكز أساس الجيش التركي على التكنولوجيا الغربية كونها عضواً في الناتو، زاعماً أن الرجل في صدام مع كلِّ مَن يهدد رأيه بالتحول للزعيم الجديد للشرق الأوسط، وخلف الكواليس تستمر نشاطات الغرب والمجتمع الدولي لتهدئته، وهو الذي أكدَّ التوتر في الشرق الأوسط. وهو ما يعني أن تركيا تمر بعملية تاريخية معمَّقة، صحيح أن «إسرائيل» لا يمكنها التأثير على هذه العملية؛ لكن يمكنها تقليص الضرر الذي سيتأتي من ذلك؛ فلديها مصلحة بتهدئة التوتر، لكن حالياً لا يبدو هذا عملياً، وهو ما يؤكد أن صمتها سيخدمها على المدى القريب والبعيد.

أخيراً: في مواجهة جميع تلك التهديدات، فإن الوضع يشير إلى أن «إسرائيل» تعيش تحت حصار سياسي وعسكري يضعها تحت المجهر، وهو ما سيصعِّب على الجيش كثيراً المبادرة بخطوة عسكرية في واقع عدم الشرعية. وعلى الرغم من ذلك يجب الاستعداد لحرب متعددة الجبهات؛ توحِّد الصفوف في تلك الدول التي تعيش صراع البقاء، وينبغي أن نكون مستعدين لوقت لا يمكن فيه تهدئة الشارع العربي في الدول المجاورة من أجل وضع الحدود، وهو ما يعني أن السنة القادمة هي سنة الفرص، وعلى «إسرائيل» أن تستغلها وإلا - كما قال قائد الجبهة الداخلية في الجيش الصهيوني «آيال آيزنبرغ» في الآونة الأخيرة -: «سيأتي شتاء لا يعرف فيه أحد مَن سيتبلل، ومَن سيغوص في الوحل عميقاً».

لماذا الهجوم على السُّنة النبوية ؟ ومن يقف وراءه ؟

سؤالان لهما إجابة واحدة

محمد إبراهيم مبروك (*)

عندما يكون السؤال: لماذا الهجوم على السُّنة النبوية؟ فإن ذلك يعني أنني أقصد: لماذا تصاعدت وتيرة هذا الهجوم تصاعداً كبيراً في السنوات الأخيرة؟ لأن الهجوم على السُّنة النبوية في ذاته هو أمر تقليدي للغاية ما دام الصراع بين الحق والباطل قائماً إلى يوم القيامة. فإذا كانت الإجابة الحتمية على هذا السؤال هي: أن هذا التصاعد يحدث لأن هناك من يقوم بدعمه واحتضانه، تأكَّد لدينا أن هذه الإجابة هي إجابة السؤال الثاني (من الذي يقف وراءه؟) نفسها. ومرادي من ذلك أن أُبرِز بشكل واضح أن المسألة لا علاقة لها تماماً لا بالفكر ولا بحريته، ولا بالبحث والاجتهاد ولا بأي شيء من ذلك؛ إنما هي سياسة فقط؛ سياسة دولة قررت أن تقود ضد الإسلام حرباً فكرية شعواء مدججة بالمال والإعلام والتزييف والتدليس والقهر السياسي.

(*) مفكر إسلامي من مصر.

الهجوم على الثوابت لتفكيك الأمة:

من خلال ما تقــدَّم يتضح خطأ التعامل مــع قضية الهجوم على السُّنة النبوية في نطاق مستقل؛ وإنما يجب التعامل معها في الإطار الشامل لهذه الحرب الفكرية، فبعيداً عن الدعاوى المشبوهة للحــوار مع الآخر التي تؤكد الأحداثُ المتتالية أن ما يُقصَد بها هو التزامنا (طرفاً وحيداً) بهذا الحوار؛ بينما الطرف الآخر ممعن في قهرنا (العســكري والسياسي) في كل مكان ما مكنته الظروف من ذلك، لا يتغير في هذا سوى تعبيرات الوجوه ونفاق التصريحات.

فالهجوم على السُّنة النبوية يأتي في إطار الهجوم على كل ثوابت الإســلام؛ هجوم على الشريعة بالدعوة إلى فصل الدين عن الدولة، وهجوم على أهل السُّنة والجماعة بمسمى محاربة الوهابية والتطــرف ودعم الصوفية، وهجوم على عقيدة الولاء والبراء بدعوتي (التســامح والتقارب بين الأديان)، وهجوم على كل شيء له علاقة بالإسلام الحقيقي، وفي المقابل طرح إسلام بديل بلا قواعد ولا ضوابط يســمى الإسلام الليبرالي؛ يتوافق مع المضمون العَلماني الغربي ولا يحمل من الإسلام نفسِه سوى الشعار، ومن ثَمَّ يتخلص الغرب الأمريكي من صراعه الحضاري مع الإســلام بحســب تصور قادة الفكر لديه من أمثال ليونارد لويس وفوكوياما وهينتنغتون.

الهجوم على السُّنة ذريعة للهجوم على القرآن:

بناءً على ما ســبق فإن الهجوم على السُّنة النبوية لا يقف عند حدود السُّــنة النبوية فقط؛ وإنما يستهدف القضاء على الإسلام بالكامل؛ لأنه يستهدف الهجوم على القرآن أيضاً بشكل مباشر؛ لأن إســقاط السُّنة يعطي الفرصة لكل مغرض وحاقد على الإســلام أن يفســر القرآن تبعاً لما يمليه عليه هواه؛ لأن السُّنة «هي التي تبيِّن مجمله، وتقيد مطلقه وتخصص عامَّه... وقد يحتمل نص الكتاب أمرين فأكثر فتُعيِّن السُّنة أحدهما»[1].

وها هــو المتحدث باســم القرآنيين المصريــين (عصابة القرآنيين، أو الأحق: زاعمو القرآنية) المدعو عثمان محمد علي ابن أخ زعيمهم أحمد صبحي منصور يؤكد ما نقول؛ حيث يذهب إلى أنه بإسقاط السُّنة «أصبحت المحرمات والمسلَّمات والثوابت الســابقة المزعومة مادة ممكنة للبحث والاستنباط والتمحيص والمناقشة واستخراج سوءاتها وسيئاتها وتعريتها وتعرية رجالها؛ لنتعلم من أخطائها، ولنفرق من خلالها بين الإسلام والمسلمين وبين ما في القــرآن وما طبَّقــه المســلمون، ولنتعلم أن نقف مع الحق ولو كان ذلك على حساب رجال كنا نعدهم من الصالحين ظاهرياً مثل الصحابة والتابعين والفقهاء»[2]؛ فأين هذا الإيمان بالقرآن لدى رجل يسخر من كل الثوابت والمحرمات والصحابة؟

إن الأمر لا يعدو كذبة مزعومة للتستر على الإلحاد والعمالة ومن ثَمَّ ليس غريباً أن يكون أحمد صبحي منصور زعيم مدعي القرآنية أحد المشــاركين الرئيســيين في مؤتمر أمريكي حول (الكفــار المســلمين). هكذا بكل صراحة؛ حيث نشــرت وكالة الأنبــاء الأمريكية خبراً جاء فيه: «إن حركــة القرآنيين تعتزم تنظيم مؤتمر غير مســبوق هو الأول في أمريــكا (للكفار من المســلمين سابقاً) حســب ما بثته الوكالة، كما نشرت مضمون بيان أصدرته يقول: (إن المؤتمر سيُعقَد في مدينة أتلانتا بولاية جورجيا الأمريكية تحت اســم «الاحتفال بالكفــر... التفكير الناقد من أجل الإصلاح الإســلامي)، وجدير بالذكر أن مؤتمر «الاحتفال بالكفر» جاء في إطار سلسلة متواصلة من المؤتمرات والفعاليات المناهضة للإســلام في الولايات المتحدة، ومن أبرز تلك الفعاليات مؤتمر «انتقاد القرآن» الذي رعاه كبار المحافظين وشارك فيه عدد من الليبراليين الجدد»[3].

من التخطيط المسبق إلى الهجوم المعلَن:

لأن كانت حركة منكري السُّنة قد نشأت برعاية الاستعمار الإنجليــزي من خلال فرقة (القاديانية) وفرقة (أمة مســلمة) التي أسســها أحمد الدين أمر تســري بمدينة أمستر الهندية، فقد كان من الطبيعي أن تحتضن الولايات المتحدة فرقة زاعمي القرآنية التي هرب زعيمها أحمد صبحي منصور إليها بعد أن قضى ثلاث ســنوات في الســجون المصرية، وكان أيضاً تحت الرعايــة الأمريكيــة قبلها؛ من خلال مشــاركته في مركز ابن خلدون (المشبوه).

وفي عام ٢٠٠٤م أصدرت مؤسســة راند تقريرها الشهير الذي أصدرت معه ملحقاً خاصاً ســمي (حرب الأحاديث) جاء فيه: «إن معظم الجهود الحالية لإصلاح الإســلام ترتكز حول الخلاف على أحكام وممارسات محددة فيه هي محل انتقاد من غير المســلمين؛ خاصة أنها لا تتناسب مع العصر الحديث»[4]، وتضيف الدراسة «أن القرآن بشــكل عام فوق النقد (وإن كان الأمر غيــر متفق عليه عالمياً)؛ إلا أنه هنــاك قضايا كثيرة لم يتطرق إليها، أو أنه يشــير إليها بغموض؛ ولذلك فإن الخلاف

(١) د. مصطفى السباعي، السُّنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، ص ٣٤٤.

(٢) موقع القرآنيين.

(٣) شبكة محيط: ١٥ سبتمبر ٢٠١٠م.

(٤) الإسلام الديمقراطي المدني، موقع ترجمات الزيتونة ديسمبر ٢٠٠٤م.

بين التيارات الإسلامية يقوم على أساس رؤيتهم وتفسيرهم للحديث الشريف»[1].

ثم تنتقل الدراسة إلى التشكيك بأهم مصادر الحديث الشريف مثل صحيح البخاري، والطعن في قدرة البخاري نفسه على التوثق من صحة الأحاديث، وتَخلُص الدراسة بعد ذلك إلى أنَّ «احتضانَ إسلامٍ أكثر ديمقراطية يتطلب العمل على ثلاثة خطوط متوازية في ما يتعلق بموضوع الحديث الشريف:

أولاً: يجب تثقيف العامة وتعليمهم بشكل أفضل كيفية فهم دينهم بأنفسهم دونما حاجة إلى البقاء تحت رحمة سلطة دينية غير نزيهة وغير مثقفة نصَّبت نفسها بنفسها.

ثانياً: حتى يحدث ذلك يجب توفير مادة من الأحاديث المناقضة لما هو بين يدي العامة لهؤلاء الذين يريدون مجتمعات أكثر تسامحاً ومساواة وديمقراطية وهم مقتنعون أن هذه التغيرات التي يسعون إليها (غير إسلامية).

ثالثاً: تشجيع الاجتهادات الفقهية التي يقوم بها بعض الفقهاء هنا وهناك، ممن لم يحصروا أنفسهم بمدرسة فقهية معيَّنة، بل إنهم يمزجون القوانين الإسلامية بالقوانين المدنية ليَخرُجوا باجتهادات جديدة... مثل هذه الجهود المتفرقة يجب جمعها ووضعها بين يدي الفقهاء والمهتمين من الجمهور في العالم الإسلامي»[2].

وما لبثت هذه المخططات أن وجدت صداها العملي على أرض الواقع؛ ففي الأربعاء تشرين الأول من عام ٢٠٠٤م عقد مركز ابن خلدون مؤتمراً سياسياً ودينياً «يدعو إلى إصلاح الدين الإسلامي بحضور سفارَتَي (أمريكا وإسرائيل) وهيئة المعونة الأمريكية»[3]. ولعل من المهم أن نذكر بعض الأسماء التي حضرت هذا المؤتمر لندرك هل المسألة مسألة فكر واجتهاد، أم مسألة إلحاد وعمالة؟ خصوصاً أن من بين هذه الأسماء أناساً ما زالوا يموِّهون على الناس ارتباطهم بالإسلام لتماهيهم مع تيار إسلامي معيَّن ويصدِّق بعض الناس ذلك. هذه الأسماء هي: سيد القمني، وجمال البنا، ومحمود المراغي (قيادي في الحزب الناصري)، والصادق المهدي (رئيس حزب الأمة السوداني)، ومحمد شحرور (كاتب سوري)، وصلاح الدين جورشي (كاتب تونسي)، وإبراهيم عيسى. ومما هو لافت للنظر أن سعد الدين إبراهيم وجه الدعوة لأكثر من أربعين شخصية عامة لكنها قابلت الدعوة بالتجاهل.

(١) المرجع السابق.
(٢) المرجع السابق.
(٣) شبكة البصرة: الخميس ٢١ تشرين ٢٠٠٤م.

ويعلق الأستاذ سيد ياسين (الرئيس السابق لمركز الدراسات الإستراتيجية بالأهرام) على المؤتمر فيقول: غير أن أخطر توصية تبناها المؤتمر هي دعوته إلى تنقية التراث الديني من الحديث النبوي الشريف، والاعتماد فقط على نصوص القرآن مرجعية وحيدة، والتصدي لأفكار المؤسسات التي تحتكر الحديث باسم الدين، وخلق مدرسة اجتهاد جديدة في القرن الحالي.

ابتداء يمكننا القول: إن هذه التوصيات تكاد تكون إعادة إنتاج (شكلاً ومضموناً) لتوصيات شيرلي بيرنار في تقرير مؤسسة راند، وخصوصاً في ما يتعلق برأيها في السُّنة وخطورة الأحاديث النبوية. ومعنى ذلك بكل بساطة: أن المؤتمر الذي نظَّمه مركز ابن خلدون وموَّلته الولايات المتحدة، كان تطبيقاً عملياً لتوصيات تقرير راند عن الإسلام المدني الديمقراطي. ومما يلفت النظر بشدة: أن هذا المؤتمر لم يقنع بإصدار هذه التوصيات المثيرة للجدل الشديد، ولكنه خطا خطوة أبعد لها دلالة مهمة؛ حين اعتبر بيان المؤتمر الحاضرين فيه نواةً أساسيةً لحركة جديدة تسمى الإسلاميون الديمقراطيون في العالمين (العربي والإسلامي)، وتجري دعوتهم بصفتهم الشخصية مرتين في العام لمتابعة التوصيات الختامية للمؤتمر. ومعنى ذلك أن توصيات التقرير الذي نشرته مؤسسة راند الأمريكية التي تمثل العقل الإستراتيجي الأمريكي لشيرلي بيرنار عام ٢٠٠٣م جرى تطبيق توصياته باسم الإسلاميين الديمقراطيين كما أوصت بذلك شيرلي بيرنار؛ حين دعت لتوحيد صفوف الإسلاميين الحداثيين، بل وبعض الإسلاميين التقليديين، الذين يوافقون على تحديث الدين الإسلامي بناءً على الرؤية الأمريكية[4].

جمال البنا (دينمو) العمل في مركز ابن خلدون:

إن مما يسترعي الانتباه أن الأستاذ السيد ياسين يذكر في هذا المقال أن سعد الدين إبراهيم وصف جمال البنا في المؤتمر بأنه (دينمو العمل)، وحق هذا؛ فقد وصفتُ الرجل أيضاً في كتابي (الإسلام الليبرالي) بأنه (المهندس الفكري للمشروع الأمريكي في هدم الإسلام). وللرجل طبعاً أعماله المتعددة في هذا الاتجاه، ولكن ما يهمنا بعد إدراكنا لعلاقته المباشرة والعميقة بالمخطط الأمريكي هو إبراز جهوده المتواصلة في الهجوم على السُّنة النبوية.

(٤) المرجع السابق.

ففي أواخر التسعينيات أصدر جمال البنا كتابه (السُّنة) الذي حشد فيه كل شبهات المنكرين للسُّنة في القرن العشرين وبعد أن كرر هجومه في عشرات الكتب التي أصدرها بعد ذلك، خصص كتاباً غاية في التطاول على الإسلام هو (تجريد البخاري ومسلم من الأحاديث التي لا تلزم)، ولماذا لا يفعل هذا إذا كانت الدعاية الأمريكية له جعلته من خلال القنوات الإعلامية التابعة لها (قنوات فضائية، صحف، مواقع إنترنت) أشهرَ مفكر في الواقع المعاصر رغم أنف الجميع؟

إن ما أريد الإشارة إليه هنا هو فضح أكذوبة الهجوم على الأحاديث النبوية والدفاع عن القرآن؛ فهؤلاء لا علاقة لهم إلا بالرعاية الأمريكية في هجومهم على الإسلام؛ فكثير من الأحاديث النبوية التي هاجمها جمال البنا في كتابه تتطابق تماماً مع بعض آيات القرآن الكريم أو مع المعنى العام لها، مثال ذلك: إنكاره لحديث «من يقم ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدَّم من ذنبه»[1] حيث قارن هذا بقوله – تعالى –: ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ [القدر: ٣]، وحديث: «يكشف ربنا عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة، ويبقى من كان يسجد في الدنيا رئاءً وسمعةً، فيذهب ليسجد فيعود ظهره طبقاً واحداً»[2]. ورفضُه هنا مبعثه أن الحديث يذكر صفةً للذات الإلهية على حد قوله؛ مع أن الآية القرآنية تقول: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ [القلم: ٤٢]. ومن هذا المعين الأمريكي يدفع بهذا أو ذاك ليردد مقولات هذا التراث العفن نفسها في الهجوم على السُّنة النبوية، وهو الذي جرى الرد عليه مراراً وتكراراً من العلماء والمفكرين.

التعويق الإعلامي للعلماء والمفكرين:

يحدث كل هذا الإفك ويجد الترحيب والرعاية من كثير من القنوات الإعلامية بدعوتي (حرية الفكر، والاجتهاد)؛ بينما يجري تعويق العلماء والمفكرين عن الرد عليهم: إما بإعطاء دورهم لمن جرى استمالتهم من رجال منسوبين للدين، أو عدم إعطائهم المساحة الكافية للرد والتشويش عليهم لإظهار هؤلاء المتطاولين على الإسلام بصورة المنتصرين.

(١) أخرجه البخاري.
(٢) أخرجه مسلم.

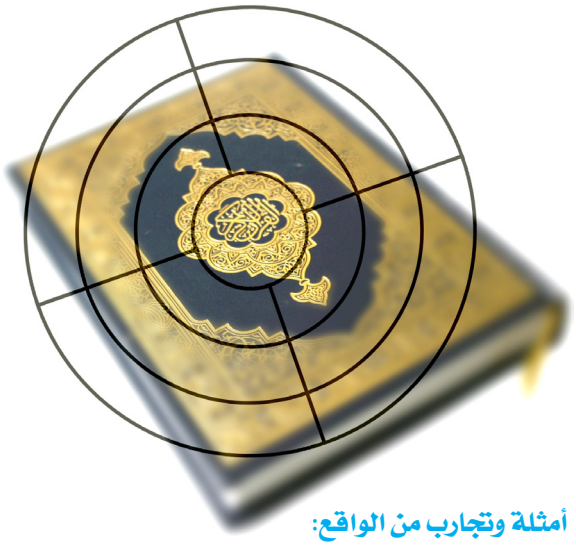

أمثلة وتجارب من الواقع:

وأذكر في هذا الصدد مثالين من الواقع:

الأول: أن برنامجاً شهيراً في إحدى القنوات غير المشفرة استضاف مستشاراً سابقاً اشتُهِر أمره في الطعن على صحيح البخاري وأعطته القناة فرصة كاملة في ذلك؛ ولكن الأخطر من هذا أنها استضافت للرد عليه أحد هؤلاء الذين جرت استمالتهم من المنسوبين للدين فكان موقفه هو التأكيد على آراء ذلك الطاعن، بل ربما المزايدة عليها أيضاً.

والثاني: هو أن إحدى القنوات المسؤولة جداً اتصلت بكاتب هذه السطور لمناظرة أحد أهم هؤلاء المشاهير في التطاول على السُّنة النبوية فلما أبلغوه بشخصي – وكانت بيني وبينه مناظرة سابقة – رفض حضور المناظرة فأتوا بآخر من هؤلاء أيضاً فرفض الحضور – مثل سابقه – عندما أبلغوه بشخصي، فجرى استبدالي بأحد علماء الأزهر الشريف وإذا بهم يشوِّشون على الرجل ويضيقون عليه ويتوحدون مع هذا المتهجم على السُّنة ضده؛ حتى أن الرجل اشتكى بعد المناظرة أنهم «لم يعطوه الفرصة أن يقول كلمتين على بعض».

إن مراد قولي من كل ما سبق: هو التأكيد على أن التعامل مع هؤلاء المتطاولين على السُّنة لا يجب أن يكون بشكل مستقل؛ وإنما في إطار مواجهة حرب فكرية شاملة تشنها الولايات المتحدة الأمريكية على الإسلام، ولا من خلال اعتقاد أن مشكلة هؤلاء هي الجهل بالإسلام كما يردد عادة كثير من المشايخ الذين يردُّون عليهم؛ ولكن المشكلة في خطط مدبَّرة، وبرامج محدَّدة يعمل هؤلاء على تنفيذها.

الإعلام الحائر بين الخبر والرأي

السنوسي محمد السنوسي

إحدى المشكلات التي يعانيها الإعلام بمختلف وسائله - كما هو حال الإعلام المصري بعد الثورة -: هي الخلط الشديد بين الخبر والرأي؛ مرة بصياغة الخبر كأنه رأي، ومرة بتقديم الرأي كأنه خبر؛ بحيث لم يعد يعرف المشاهد أو القارئ: هل الذي أمامه هو تعبير عن حدث وقع، أم عن رأي مطروح؟ ومن المعروف أن الإعلام يتكون من خبر ورأي؛ الخبر يبحث في: ماذا حدث؟ وكيف حدث؟ إلى غير ذلك من علامات الاستفهام التي تحاول تسليط الأضواء على الحقيقة. أما الرأي فهو يعتمد تصوُّراً واحداً عن الحدث. ولذا يختلف الناس في آرائهم؛ لأن كل واحد يرى الحدث ويفسره من زاويته هو، ومما يتوافر لديه من معلومات.

وهذا الخلط الحاصل بين الخبر والرأي له نتائج كارثية؛ لأنه يؤدي إلى:

أولاً: تشويه الحقائق.

وثانياً: تشويش القارئ أو المشاهد.

وثالثاً: هو يعبر أيضاً عن نوع من عدم الثقة في القارئ؛ فكأن القارئ لن يهتدي إلى الحقيقة بمجرد الاكتفاء بذكر الحدث كما هو بالضبط!

ورابعاً: هذا الخلط يعني فرض وصاية على المتلقي؛ لأن الرأي يحمل في مضمونه معنى النصيحة والتوجيه.

المال والإعلام:

وفي هذا الصدد لا يمكن بالطبع إغفال دور (رأس المال) الذي تزاوج بطُرق غير شرعية مع (الإعلام)، والذي يسعى لفرض أجندته لتوجيه الرأي العام بما يصبُّ في مصالح فئة بعينها، وعن هذا حدِّث ولا حرج. وفي رأيي فإن أحد أهم الأسباب وراء الارتباك الحاصل في الساحة الإعلامية المصرية الآن - ومما يعد أحد مظاهر تزاوج رأس المال والإعلام - هو كثرة برامج (التوك شو) التي تحولت إلى منابر سياسية، بل إلى منصات للقضاء! وخرج فيها المذيع (أو المذيعة) من دور المحاور الموضوعي إلى دور القاضي، وربما: الجلاَّد، لصالح رأس المال الذي يدير هذه القناة الفضائية أو تلك.

ومن ثَمَّ تحول رجال الأعمال (في الخفاء) إلى رجال سياسة يعملون على توجيه الرأي العام والتأثير على متخذي القرار عن طريق إثارة بعض القضايا أو تسليط الضوء عليها بطريقة ما؛ خاصة إذا تعلق الأمر بالإسلاميين، فنرى تضخيماً للأمور وتصيُّداً

للأخطاء، بل واختلاقاً لبعض الأخبـــار الكاذبة، وتحريفاً للتصريحات. وهنا أضم صوتي إلى صوت الأستاذ الكبير سلامة أحمد سلامة في مقاله: (تسونامي التوك شو!)[1] الـــذي خلص فيه إلى أن: (الإعـــلام بالحقائق والمعلومات أجـــدى كثيراً من الكلام والتوك شـــو الذي يثير ســـجالاً ولا يقدم أخبـــاراً ومعلومات تضيء عقـــول الناس وتغير ســـلوكياتهم. وهو الهدف الذي يسعى التلفزيون لتحقيقه، بـــدلاً من إغراق المشـــاهدين في تســـونامي التوك شـــو والبرامج الحوارية التي أصبحت موضة لا مهرب منها).

الخبر ثم الرأي:

إن الصحافـــة الناجحة هي التي تذكر أولاً الأخبار بكل تفاصيلها، المعتمِدة على المصادر الموثوقة وشـــهادات العيان، ثم تفتح الباب واسعاً أمام الآراء والتحليلات في الأعمدة وصفحات الرأي، مع الحرص على تقديم آراء متعددة. فالمعادلة الصحيحة: الخبر ثم الرأي، لا العكس، ولا الخلـــط بينهما. وإذا كانوا في القانون يقولون: الحكم عنوان الحقيقة، ففي الإعلام: الخبر عنوان الحقيقة.

لقد ثبت بخبرة التاريخ أن الصحافة الموجَّهة التي تقدم رأياً واحداً بطريقة فجة. لا تجد قَبولاً لدى المتلقي. وتجربة الصحف الرسمية في مصـــر والعالم العربي خير دليل على ذلك. صحيح أنه لا يوجد إعلام محايد أصلاً، ولا موضوعي بنسبة ١٠٠٪؛ بمعنى: أن أي وسيلة إعلام لا بـــد أن يكون لها اتجاه ما تحاول أن تروج له وتدافع عنه، وهذا أمر يبدو طبيعيّاً ومنطقيّاً؛ لأنه ليس معقولاً أن ينشـــئ أحد وسيلة إعلام دون أن يكون ثمة هدف من ورائها.

لكن المطلوب أن نفرق بين الحياد، والموضوعية، والذاتية.

الحيـــاد: هو خرافة كبيرة، وهو يعني الميوعة وعدم وضوح الرؤية؛ لأن أي إنسان (أو مؤسسة إعلامية) لا بد أن يكون له رأي في المسائل المطروحـــة، بغض النظر عن صواب هذا الرأي أو خطئه؛ ولا يمكن أن يكون الإنسان حياديّاً أبداً مهما حاول أن يُخفِي رأيه المباشر.

والموضوعيـــة: تعني أنك تســـتند إلـــى الحقائق والأرقـــام لا الأهواء، وتخاطـــب العقول بالحجج والبراهين، وأنـــك تحترم وجهات النظر الأخرى وتقدمها كما هي دون تشـــويهها أو الافتراء عليهـــا. لأن تجاوز الموضوعية يجعلنا نقع في شباك الدعاية، ويُحوِّل الإعلام إلى إعلان.

أمـــا الذاتيـــة فهي من صفات الأديب؛ لأنـــه ينطلق في أعماله من مشاعره وأفكاره وتجاربه الخاصة، وقد يجنح إلى الخيال غير مرتبط بالواقع. ولذلك الأعمال الأدبية ليست حجة في الاستدلال على الوقائع بقدر ما أنها تسعى للترويج والدعاية للأفكار.

والخلاصة المهمـــة التي تبدو ملحة - خاصة في ظل هذا الفضاء الواســـع الذي أتاحه ربيع الثورات العربية - هـــي: أننا نحتاج إلى أن نقترب من (الموضوعية) بأكبر درجة ممكنة. وإلى الأخبار الموثقة التي تضعنـــا في قلب الحـــدث وأبعاده، أكثر من حاجتنـــا إلى الرأي الذي يمارسه بعض الناس بما يشبه الوصاية والديكتاتورية.

إيصال رسالة، أم تسلطٌ في الأداء؟

وربما يأتي الخلط بين الخبر والرأي بسبب الحرص على إيصال رسالة محددة، أو إثبات الذات؛ خاصة وسط هذا الكم الهائل في وسائل الإرسال من صحافة وتلفزيون؛ التي يبدو أمامها المتلقي مندهشاً أو حائراً! وقد يكون هذا التفسير له قدر من الصحة، لكني رغم ذلك أعتقد أن الحقيقة المجردة هي خير دعاية للحقيقة نفسها، وأننا يجب أن نثق في عقل المتلقي وقدرته على الفهم والتحليل والمقارنة؛ لا أن نتعامل معه على طريقة (الأب الفاضي) الذي يقف لابنه بالمرصاد على كل صغيرة وكبيرة ويقول له: افعل كذا ولا تفعل كذا. ويمارس عليه التسلط والكبت طوال الوقت، وهو ما يضعف شخصية الابن ويفقده النمو العقلي والتفتح الذهني والقدرة على التعامل مع المواقف، بعيداً عن وصاية أبيه.

ومن الطريف أن الأنظمة الديكتاتورية تتعامل بمنطق هذا (الأب الفاضي) مع الشعوب، ولا تتيح أمامها خيارات متعددة؛ لأنها ترى نفسها الأقدر على فهم الأمور ومعالجة القضايا والاختيار. فلماذا يختار الشعب ويتعب نفسه طالما أن الحكومة تعمل له كل شيء وتمارس بالنيابة عنه وضع القوانين والتشريعات؟

(١) الشروق ١٤ مايو.

موقف الجابري من المعجـــــزات والغيوب في الإسلام... عــرض ونقـــد

د. غـــــازي الـتـوبـة

ألَّف الدكتور محمد عابد الجابري أربعة كتب عن الإسلام في نهاية حياته. ومما جعلني أكتب عنها بعض الدراسات: أنها لقيت رواجاً عند قِطاع كبير من المثقفين من جهة، وأنها تتضمن محاولة للتقريب بين الإسلام والحضارة الغربية من جهة أخرى. ومن المفيد أن نذكر أن محاولة التقريب بين الإسلام والحضارة الغربيـــة (أو قل بصورة أدق: محاولة تطويع الإســـلام لمفاهيم الحضارة الغربية) قد احتوت عدداً كبيراً من الكتاب والباحثين منذ القرن التاسع عشر بدأت برفاعة رافع الطهطاوي، ثم ثنَّت بمحمد عبده وقاســـم أمين، ثم انتظمت عدداً كبيراً في القرن العشـــرين، منهم: عباس محمود العقاد، وطه حسين، وحسين أحمـــد أمين، ونصـــر حامد أبو زيد، ومحمـــد أركون، ومحمد شـــحرور... إلخ. وها هي تنتظم الجابري، وهو - لا شك - لن يكون آخرهم.

خصـــص الجابري كتابـــاً كاملاً للتعريف بالقـــرآن الكريم، واعتبـــر معجزة القرآن الكريم معجزة عقلية. وهو - لا شـــك - معجزة عقلية في أحد جوانبها؛ بمعنى أنها قدمت شريعة صالحة للبشـــرية، وأنها أقامت دعوتها إلى حقائق الإسلام: من توحيد وشـــرائع وأحكام ومعادٍ على دلائل من الكون والحياة والتاريخ... إلخ. وأنهـــا كانت بيانية من جهة أخرى؛ بمعنى أن القرآن معجز في بيانه وفواصله وصوره ونظمه... إلخ.

وقد خالفت معجزة الرســـول ﷺ الكبرى (القرآن الكريم) معجزات الأنبياء السابقين الذين قامت معجزاتهم على خوارق العـــادات؛ فقد تحولـــت العصـا إلى حية عند موســـى - عليه الصلاة والسلام - وتحولت الصخرة إلى ناقة عند صالح عليه السلام... إلخ. إن هذا كلام صحيح؛ لكنَّ الجابري أخطأ عندما نفى المعجزات الحســـية عن رسالة الإسلام؛ فقد اشتملت بعثة الرسول ﷺ على كثير من الآيات والمعجزات الحسية، من مثل: نبع الماء بين يديه، وإطعام جيش بطعام شـــخص واحد، وحنين الجذع إليه، وســـلام الحجر عليه، وشفائه لبعض الصحابة من بعـــض الأمراض... إلخ، وها نحن ننقـــل بعض الأحاديث التي

تؤكد الآيات التي أشرنا إليها؛ ففي مجال حنين جذع شجرة إلى الرسول ﷺ نقل البيهقي فقال: (كان يخطب رسول الله إلى جذع فلما اتخذ المنبر تحوَّل إليه فحن الجذع، فأتاه النبي فمسحه. وفي رواية أخرى: (فلما وضع المنبر حن الجذع إليه فأتاه النبي فمسحه فسكن)[1].

وفي مجال نبع الماء بين أصابع الرسول ﷺ، شهد جابر بن عبدالله - رضي الله عنه - ما حدث يوم الحديبية فقال: (عطش الناس يوم الحديبية والنبي ﷺ بين يديه ركوة (إناء من جلد)، فتوضأ، فجهش (يعني: أسرع) الناس نحوه، فقال: «ما لكم؟» قالو: ليس عندنا ماء نتوضأ ولا نشرب إلا ما بين يديك فوضع يده في الركوة، فجعل الماء يثور بين أصابعه أمثال العيون، فشربنا وتوضأنا، (ولما سئل جابر - رضي الله عنه - عن عددهم في ذلك اليوم قال: لو كنَّا مائة ألف لكفانا، كنا خمس عشرة مائة)[2].

وفي مجال شفاء الرسول ﷺ لبعض الصحابة فقد حدَّث يزيد بن أبي عبيد قال: (رأيت أثر ضربة في ساق سلمة، فقلت: يا أبا مسلم! ما هذه الضربة؟ فقال: هذه ضربة أصابتني يوم خيبر، فقال الناس: أصيب سلمة، فأتيتُ النبيَّ ﷺ فنفث فيه ثلاث نفثات، فما اشتكيتها حتى الساعة)[3].

وعن إشفاء الرسول ﷺ لعيني علي بن أبي - طالب رضي الله عنه - ذكر سهل بن سعد - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر: «لأعطين هذه الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه، يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله». قال: فبات الناس يدوكون ليلتهم أيهم يعطاها، فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله ﷺ كلهم يرجون أن يعطاها، فقال: «أين علي بن أبي طالب؟» فقيل: هو - يا رسول الله - يشتكي عينيه. قال: «فأرسلوا إليه». فأُتي به فبصق رسول الله ﷺ في عينيه، ودعا له، فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع، فأعطاه الراية[4].

وقد أشار القرآن الكريم إلى بعض المعجزات الحسية التي وقعت للرسول ﷺ من مثل انشقاق القمر؛ فقد قال الله - تعالى -: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ﴾ [القمر: ١]، وقد أورد البخاري ومسلم والترمذي أحاديث صحيحة تحدثت عن هذا الانشقاق، فذكر البخاري عن ابن مسعود فقال: (انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ فرقتين: فرقة فوق الجبل، وفرقة دونه، فقال رسول الله ﷺ: «اشهدوا»)[5].

ومن المعجزات الحسية الأخرى التي وقعت للرسول ﷺ: الإسراء والمعراج وشق الصدر؛ فقد ذكر القرآن الكريم واقعة الإسراء فقال - تعالى -: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١]، كما تحدث القرآن عن المعراج في سورة النجم، فذكر أنه رأى جبريل - عليه السلام - على صورته الملائكية، فقال - تعالى -: ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى ۝٥ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى ۝٦ وَهُوَ بِالأُفُقِ الأَعْلَى ۝٧ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ۝٩ فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى ۝١٠ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى ۝١١ أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى ۝١٢ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى ۝١٣ عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَى ۝١٤ عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى ۝١٥ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى ۝١٦ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى ۝١٧ لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ [النجم: ٥ - ١٨].

وقد تحدثت كتب الحديث والسيرة عن الإسراء والمعراج وشقِّ الصدر، فقال البخاري في صحيحه عن أنس بن مالك، عن أنس بن صعصعة - رضي الله عنهما -: أن نبي الله ﷺ حدثهم عن ليلة أسري به: «بينما أنا في الحطيم - وربما قال في الحجر - مضطجعاً إذ أتاني آتٍ فقد» قال: وسمعه يقول: «فشق ما بين هذه إلى هذه» فقلت للجارود - وهو إلى جنبي -: ما يعني به؟ قال: من ثغرة نحره إلى شعرته، وسمعته يقول: من قصه إلى شعرته، «فاستخرج قلبي ثم أُتيت بطست من ذهب مملوءة إيماناً، فغسل قلبي، ثم حشي، أُتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار الأبيض»، فقال له الجارود: هو البراق يا أبا حمزة؟ قال أنس نعم، يضع خطوه عند أقصى طرفه، «فحُمِلْتُ عليه، فانطلق بي

(١) دلائل النبوة: ٢/٥٥٦.
(٢) متفق عليه واللفظ للبخاري.
(٣) صحيح البخاري، رقم (٤٢٠٦).
(٤) صحيح البخاري، رقم (٤٢١٠).
(٥) صحيح البخاري، رقم (٤٨٦٤).

جبريل حتى أتى السماء الدنيا فاستفتح، فقيل: من هذا؟ قال: جبريل...»[1]، ثم ذكر الحديث صعودَ الرسول ﷺ إلى السماء الثانية والثالثة حتى السماء السابعة، ثم رؤيتَه سدرة المنتهى ثم رجوعَه بأداء الصلوات الخمس.

ماذا كان موقف الجابري إزاء المعجزات الحسية التي وقعت مع الرسول ﷺ، والتي جاءت فيها أحاديث صحيحة، من مثل: حنين الجذع إليه، ونبع الماء بين أصابعه، وشفائه لبعض الصحابة... إلخ؟ لقد رفضها الجابري؛ لأنه لا يأخذ بالأحاديث النبوية الشريفة، ولأنه لا يعتبر أن هناك سنة صحيحة ويعتبر أن الأحاديث المدونة وُضعَت من قِبَل الفرق السياسية والمذهبيه والكلامية والدينية المتصارعة، التي تكونت في بدايات التاريخ الإسلامي، ولم يعتمدها في جميع دراساته، واعتمد على القرآن الكريم وحده.

هذا بالنسبة للأحاديث النبوية؛ فماذا كان موقفه من المعجزات الحسية التي تحدث عنها القرآن الكريم من مثل انشقاق القمر والإسراء والمعراج وشق الصدر؟

كان موقفه الرفض لها؛ فهو اعتبر أن القمر لم ينشق على زمن الرسول ﷺ، وفسر الآية بأنها تعني أن القمر سينشق في المستقبل، أما بالنسبة لواقعة الإسراء والمعراج فهو اعتبرها رؤيا منامية ولم تحدث بالجسد، ولم يتعرض إلى شق الصدر في سورة الشرح لأن الواقعة ذكرتها الأحاديث، وهو لا يعول على الأحاديث في أحكامه وآرائه كما ذكرنا سابقاً.

والآن ما موقف الجابري من عالم الغيب في الدين الإسلامي: كالجنة، والنار، والسحر، والجن، والشياطين، ورؤية الله يوم القيامة، وتكليم الله موسى عليه السلام؟

لقد كان موقفه منها رفض حقيقتها حيناً، واختيار الرأي الذي يضفي عليها المعقولية حيناً أخرى؛ فقد اعتبر أن كلام القرآن الكريم عن الجنة والنار إنما هو تخييل وذكرى، وأن السحر لا حقيقة له، واعتبر أن الصوت الذي كلم الله به موسى - عليه السلام - خرج من الشجرة، وأنكر رؤية الله يوم القيامة ومال إلى تفسير المعتزلة بأن الرؤية لا تعني الرؤية البصرية بل انتظار ثواب الله.

فما الذي قصده الجابري من اعتبار القرآن معجزة عقلية وأنها المعجزة الوحيدة التي جاء بها الرسول محمد ﷺ؟ وما الذي قصده من إنكار المعجزات الحسية الأخرى التي أشار إليها القرآن الكريم والأحاديث النبوية؟ وما الذي قصده من إنكار حقيقة كثير من الغيوب التي قررها الإسلام؟

قصد أن يضخم من دور العقل على حساب النقل من أجل تطويع الدين الإسلامي لصالح الحضارة الغربية؛ فكأنما يريد أن يقول: إن الرسول محمداً ﷺ يختلف عن الأنبياء السابقين، في أن معجزته ﷺ لم تقم على خوارق العادات، وأن القرآن الكريم معجزة عقلية فقط، وفي هذا يلتقي الإسلام تمام الالتقاء مع الحضارة الغربية التي هي مبنية على العقل وحده، ولا مكان للغيوب فيها؛ لذلك فإنه علينا الأخذ بالحضارة الغربية لأنها تتفق مع أهم أصل يقوم عليه ديننا وقرآننا.

إن أكبر وأخطر محاولتين قامتا لتطويع الإسلام لصالح الحضارة الغربية، هما:

الأولى: محاولة محمد عبده (ت ١٩٠٥م) في مطلع القرن العشرين؛ وذلك بتضييق مساحة عالم الغيب في الإسلام لصالح مادية الغرب.

والثانية: محاولة الجابري (ت ٢٠١٠م) في مطلع القرن الحادي والعشرين الميلادي؛ وذلك بتضييق مساحة النقل لصالح العقل.

وكما لم تحقق الأُولَى أهدافها، فقد أخذ كلٌّ من عالَم الغيب وعالَم الشهادة حقهما في فهم الإسلام وفي الدعوة إليه عند العلماء التالين لمحمد عبده، وكذلك ستفشل محاولة الجابري في تضخيم دور العقل على حساب النقل، وسيأخذ كلٌّ من العقل والنقل دورَه في التعامل مع كتاب الله وأحاديث رسوله ﷺ؛ لأن كل هذا من الفطرة التي فطر الله الناس عليها.

(١) صحيح البخاري، رقم (٣٨٨٧).

الرضيع

طفلي الرضيع

خصائصة ـ صحته ـ تربيتة

مشروعنا
وظف مختلف
المتخصصين

مشروعنا:

- بناء علمي منهجي.
- تنويع في شكل المعلومات.
- توظيف المتخصصين بكافة مجالاتهم في مراحل المشروع.
- توسيع دائرة المشرفين في منتجات المشروع.
- تنويع بيئات المشاركين وتجاربهم.

www.albayan.co.uk

الرياض: ـ هاتف: ٤٥٤٦٨٦٨ تحويلة: ٥٠٠ و ٥٠٢ فاكس: ٤٥٣٢١٢١

التوزيع والمبيعات: ٠٥٠٤٤٧٨٩٣٢ ٠٥٠٢٢١٠٩٢٠ـ ٠٥٠٣٤٠٩٨١٦ـ ٠٥٠٣٨٩٦٣٦٥ـ ٠٥٠٦٤٦١٠٦٥

جدة: ٠٥٠٦٤٦١٠٥٧ مكة والمدينة: ٠٥٠٧٢٦٦١٢٠ المنطقة الجنوبية: ٠٥٠٦٤٦١٠٥٨

المنطقة الشرقية: ٠٥٠٦٢٩٢٦٨٩ منطقة القصيم: ٠٥٠٢٢٢٠٦١٦

عقول أطفالنا في خطـر!

محمد عبد الشافي القوصي

أكدت الدراسة التي أعدها كاتب الأطفال الأديب والشاعر (أحمد سويلم) عن (حاضر ومستقبل أدب الطفل العربي) أن أبناء الأمة العربية والإسلامية في خطر، بسبب افتقارهم لصحافة الأطفال المتخصصة باعتبارها إحدى الوسائل المعاصرة لتربية النشء المسلم وحمايتهم من مؤامرات الغزو الثقافي الذي يستهدف تغريب عقلية أبناء المسلمين.

وأوضح أن الاهتمام بصحافة الطفل سمة حضارية. وأن أكثر من ٧٠ مليون طفل عربي ومسلم في حاجة إلى صحافة واعية، وأن إذاعات الدول العربية والإسلامية ما زالت مقصرة في إنتاج البرامج الخاصة بالأطفال، وأن البرامج الإذاعية والتلفزيونية المعدَّة للأطفال المسلمين ما زالت في المهد وقاصرة - في أغلبها - على البرامج الترفيهية لا التثقيفية، في حين أن الأطفال المسلمين في حاجة إلى برامج التوعية بالقيم الإسلامية، وأن ثقافة الطفل في ديار المسلمين ما زالت تعاني من أزمتَي (الموجود والجودة).

كما طالب الباحث في دراسته بضرورة اهتمام الإذاعات الإسلامية (المسموعة والمرئية) بتقديم وسيلة مثالية تجذب الأطفال نحو تلاوة القرآن الكريم وتفسير آياته الكريمة وشرح الأحاديث النبوية بطريقة تناسب أعمارهم. وقال: إن علماء الإسلام في مختلف ديار المسلمين ليسوا علماء بالإسلام... وهو ما يشكل قصوراً واضحاً في هذا المجال.

- الغزو الثقافي يستهدف تغريب عقلية الطفل المسلم.
- ما يصلح لأطفال الغرب لا يصلح لأطفال العرب والمسلمين.
- حماية النشء تتطلب وضع إستراتيجية إسلامية للتثقيف والتوعية.
- صحافة الأطفال وبرامجهم الإذاعية والتلفازية ما زالت في المهد.

شخصية الأجيال المسلمة:

يقول الباحث: إن أجهزة الإعلام إذا ما أُحسِن استخدامها أدت دوراً إيجابياً هاماً في تثقيف أبناء الأمة الإسلامية، واستطاعت أن تغير من ظروفها، وأن تأخذ بيدها لما هو أفضل وأحسن. وأن هذا الأمر يتطلب وضع إستراتيجية لكل وسيلة من وسائل الإعلام المعاصرة لتجعل منها أجهزة للتنوير والثقافة الإسلامية، ولن يتأتى لها ذلك إلا إذا التزمت بالمنهج الإسلامي الأصيل لبناء شخصية الأجيال المسلمة.

وأضاف: يرى بعض أساتذة التربية وعلم النفس أن الطفل في حاجة إلى رعاية خاصة لصحته وعقله وقلبه ويده، وطالبوا الذين يعملون في مجال الطفولة أن يُولُوا هذه الأمور كلَّ عنايتهم ليشب النشء المسلم في ظل الرعاية والثقافة الصحية والاهتمام بالعقل والفكر وإذكاء المشاعر الطيبة في قلوبهم، ثم تدريب أيديهم على أن تكون عاملة منتجة بنَّاءة. وبذلك يصبحون مؤهَّلين لمواجهة الحياة وأزماتها ومشكلاتها. فالبيت والمجتمع والمدرسة وأجهزة الإعلام هي أهم مكونات ثقافة الطفل وتؤثر تأثيراً كبيراً في تربيته وصنع مستقبله.

وأوضح الباحث في دراسته أن الثقافة هي حصيلة للإعلام والتعليم والتربية والتوجيه، وهي أيضاً حصيلة الموروثات والخبرات والتجارب والممارسات، بل هي حصيلة للتسلية والترويح والترفيه والإمتاع، وأن أجهزة الإعلام تعمل على تنمية العقول والقدرات.

الإعلام... الشكل والمضمون:

إن وسائل الإعلام: من صحافة وإذاعة وتلفاز وأفلام وكتب ونشرات ومسرح... لها أهمية كبرى في التأثير على الأطفال؛ خاصة ذلك المارد العصري (التلفاز) الذي تسلل إلى أغلب البيوت وربط المشاهدين إلى شاشته الصغيرة وأثَّر فيهم تأثيراً عميقاً.

وبالرغم من أهمية تأثير الصحافة في حياة أبناء الأمة العربية والإسلامية، فإن قليلين هم الذين أَولَوا صحافة الطفل المسلم اهتماماً؛ فما زال الاهتمام بها في دائرة التواضع؛ فهي قليلة في ديار المسلمين وعدد النسَخ المطبوعة منها في دائرة الضآلة. مع أنها الوسيلة الأُولَى للتدريب على الاستفادة من الإعلام وعلى متابعة الأحداث، بل هي مدخل الأطفال إلى القراءة الحرة. فالصحافة مدرسة إذا أُحسِن استخدامها على نطاق واسع.

فالكلمة المطبوعة لها سحرها ومذاقها لدى الأطفال إذا ما اقترنت بالصورة الملونة وحُسْن إخراجها وتحريرها باعتبارها أحد مجالات التدريب على المشاهدة والإطلاع لدى الطفل. فصحافة الأطفال (شكلاً ومضموناً) مرآة لتقدُّم صحابها، والاهتمام بها سمة حضارية. لذا نتطلع إليها وإلى الأخذ بيدها لتكون وسيلة إعلام وأسلوب ثقافة.

صحافة الأطفال العرب:

وتناول مجلات الأطفال في بلدان العالم العربي، فأشار إلى أنها صحافة غير مستقرة؛ فبعضها يصدر ثم يحتجب عن الصدور لأسباب متعددة. إلا أن مشكلة التمويل هي من أهم المشكلات التي تعترض سبيل الصحافة الموجهة للأطفال، بالرغم من أن عائدها الأدبي كبير للغاية.

وفي مقابل الكم المحدود للغاية في صحافة الأطفال في الوطن العربي، نجد هناك سيلاً متدفقاً لصحافة الأطفال في الغرب تلك التي يُقبِل عليها العرب؛ فهناك ٤٠٠ مجلة للأطفال في الولايات المتحدة الأمريكية ونحو ١٠٠ مجلة للأطفال في إنجلترا و ١٧ مجلة في ألمانيا، بينما لا يوجد غير أقل من عشر مجلات تصدر في بلدان العالم العربي، وهي لا تكفي لعشرات الملايين من الأطفال العرب.

غزو الطفل المسلم:

وأكد في دراسته أن الأطفال العرب والمسلمين معرَّضون لأخطار الغزو الثقافي من خلال فيض المجلات الأجنبية المترجمة الصادرة عن الغرب، تلك التي تستهدف تغريب عقلية الطفل العربي والمسلم وإبعاده عن دينه وثقافته الإسلامية. وطالب المؤسسات الإسلامية في دول العالم أن تهتم بدراسة هذه الأخطار والعمل على التصدي لها ومواجهتها لحماية النشء المسلم. ولا يكون ذلك إلا بإصدار الصحف والمجلات العربية والإسلامية.

ويرى الباحث ضرورة أن يشارك الأطفال في إصدار بعض الصحف المدرسية وضرورة دعمها وتشجيعها من قِبَل المؤسسات التعليمية. مع ضرورة دراسة مدى تطورها بمعرفة الأجهزة التربوية المشرفة على النشاط المدرسي في بلدان العالم العربي والإسلامي.

تربية الأجيال مسؤولية:

وأوضح الباحث أن تربية الأجيال المسلمة هي مسؤولية جميع المسلمين. ومن هنا تأتي أهمية زرع القيم الإسلامية في نفوس النشء؛ لأن قيم الدين الإسلامي الحنيف تستهدف إقامة علاقات طيبة وفاضلة بين الإنسان وربِّه بتأدية حق الله – سبحانه وتعالى – والالتزام بالأوامر والنواهي الربانية وأداء العبادات المفروضة. كما تستهدف إقامة علاقات طيبة بين الناس بعضهم بعضاً. فيعرف الالتزام بواجباته نحو الآخرين، كما يعرف الحقوق التي له تجاه الآخرين أيضاً. كما تستهدف إقامة علاقات طيبة بين الإنسان ونفسه فينهض بما يمليه عليه ضميره، فيشعر بالرضا عن ذاته في عصر التمزقات والتوترات النفسية الشرسة، وهي التي يكمن علاجها في الإيمان بالله – تعالى – وممارسة شعائر الدين الإسلامي الحنيف.

وأضاف: إنَّ زَرْع القيم الإسلامية الفاضلة في نفوس النشء المسلم هي مسؤولية مشتركة بين البيت والمدرسة والمجتمع وأجهزة الإعلام والثقافة في بلدان العالم الإسلامي. ولكن الملاحظ مع انتشار الأمية أن الأسرة تقدم لأطفالها ثقافة دينية متفاوتة حسب اهتمامات الأسرة ودرجة ثقافتها. لذا فإن التركيز على دور المدرسة يأتي في مقدمة اهتمامات المجتمع؛ باعتبار أن المدرسة هي بيئة العلم والمعرفة. وليتها تنهض لأداء هذا الدور عن طريق المعلم القدوة وبواسطة المناهج والمقررات التي تناسب عمر الأطفال في سن المدرسة. ولاحظ الباحث أن الكتب الدراسية السائدة في جميع المراحل الدراسية معبأة بما هو فوق مستوى إدراك الطفل.

ما أشد حاجتنا لأن تنهض أجهزة الإعلام لأداء دورها في مجال تثقيف الطفل المسلم. والملاحظ أن الإذاعات أصبحت تقدم كمّاً وافيّاً من البرامج الدينية للكبار؛ لكنها ما زالت قاصرة في مجال إنتاج برامج الأطفال. لذا فإن مسؤولية كبيرة تقع على عاتق أجهزة الإعلام في هذا المجال؛ وذلك بتقديم المادة الإعلامية في المجال الإسلامي، تلك التي يقبل عليها الكبار والأطفال في آن واحد؛ وذلك عن طريق توظيف الفن الإذاعي والتلفزيوني من مؤثرات صوتية وغيرها لتحقيق الجذب المنشود.

طريقة مثالية:

انتقل الباحث بعد ذلك إلى القول بأنه لا بد من الإشادة بالدور الكبير الذي تؤديه وسائل الإعلام المسموع والمرئي في تلاوة القرآن الكريم. وقد ثبت أن الإقبال على الاستماع لتلاوة آيات الذكر الحكيم بأصوات كبار المقرئين يشكل نسبة مرتفعة من بين المواد التي تلقى الاهتمام؛ إلا أننا لم نبتكر حتى اليوم وسيلة مُثلَى لتلاوة القرآن الكريم للأطفال من خلال الشاشة الصغيرة والمذياع!

أمَّا عن الطريقة المثلى لتلاوة القرآن الكريم التي يراها الباحث، فهي: أنه تم إجراء أول تجربة في هذا المجال بالاشتراك مع مؤسسة اقرأ بالقاهرة؛ حيث تم تسجيل الآيات القرآنية المقررة على طلبة المدارس الابتدائية على شرائط كاسيت بصوت أحد المذيعين حتى يعرف الأطفال الألفاظ القرآنية الواردة في الآيات الكريمة، ثم نصحبها بصوت أحد كبار المقرئين للقرآن الكريم. وقد لاقت هذه التجربة استحساناً لدى المسؤولين عن المناهج الدينية بوزارة التعليم في مصر. وبعد تعميم هذه التجربة بالمدارس المصرية يمكن التعرف على آراء التلاميذ أنفسهم في درجة استيعابهم للألفاظ القرآنية.

وأضاف الباحث: نحن سعداء لإقبال كثير من الأطفال على حفظ القرآن الكريم وتجويده وإجادة تلاوته. إلا أننا نشعر بأن هناك قصوراً في مجال تفسير القرآن الكريم بالنسبة للأطفال يتوافق مع أعمارهم المختلفة. وما يقال عن تفسير القرآن يمكن أن يقال بالنسبة للأحاديث النبوية الشريفة.

المنهج المدرسي ونفسية الطفل:

وأضافت الدراسة أن الطفل قد تنشأ معرفته بالدين في مرحلة مبكرة عن طريق طرح عدة أسئلة على والديه حول مفهوم (الجنة والنار) و (الثواب والعقاب) و (الخير والشر). ويصعب على الآباء تقديم تفسيرات واضحة لأبنائهم حول هذه التساؤلات التي قد تظل مبهمة لديهم أو تفسَّر لهم بشيء من التجاوز والمغالاة والأخطاء. وقد تزرع هذه الإجابات في نفوس الأطفال شيئاً من الخوف والرعب بدلاً من الشعور بالأمن والطمأنينة. وهو ما يصيب الأطفال في هذه السن المبكرة بحالة نفسية يصعب علاجها، وقد يؤدي ذلك إلى عدم إقبال الأطفال على معرفة حقائق دينهم الإسلامي الذي يتناول الرحمة والعدل والتسامح أكثر من تناوله للعقاب والجحيم.

إن رحلتنا مع الإيمان منذ الطفولة تجعلنا ننادي بضرورة تقديم مفهوم الإسلام للأطفال على أنه رحمة وحب، ويجب ألا تكون ردودنا على استفسارات أطفالنا بوابة لطرح كثير من التساؤلات الأخرى، وإجابات غير مسؤولة تزيد من حالة أطفالنا النفسية سوءاً؛ لأن شر ما يقدم للطفل هو ما يبعده عن تعاليم دينه.

إستراتيجية التثقيف:

يقول الباحث في مجال تناوُله لإستراتيجية تثقيف الطفل المسلم: إن النظرة المستقبلية تحتاج إلى كثير من المواد الخاصة ببرامج الأطفال الإسلامية – وهي تعوزنا إلى حد كبير – لذا فإن الأفكار التي نعرضها لا نبدأ فيها إلا من منطلقات تصورية وليس من أرض الواقع؛ لنضع بذرة في تربة طيبة وكلنا أمل أن تنمو. ولن يتأتى ذلك إلا من خلال الحوار والمناقشة في لقاءات التربويين مع رجال الإعلام ورجال ثقافة الطفل.. لوضع إستراتيجية تثقيف الطفل المسلم؛ من خلال إعداد البرامج الجادة التي تجذب أطفالنا نحو التجاوب مع ثقافتنا الإسلامية وإبعادهم عن مؤثرات ومغريات وسائل التثقيف الأجنبية؛ لأن ما يصلح للطفل في دول الغرب لا يصلح للطفل في الدول العربية والإسلامية. ومن الضروري أن يضع المهتمون بثقافة الطفل أمر مشاركة الأطفال في برامج التثقيف؛ حتى لا يتحولوا إلى مجرد متلقٍّ لهذه الثقافة بصورة سلبية قد تنفِّرهم وتدفعهم إلى الجانب الآخر من الثقافة المستوردة؛ لأن الهدف الذي نبتغيه هو تحويل الأطفال من سلبية التلقي إلى إيجابية المشاركة.

وانتهى الباحث إلى القول بأن أجهزة الإعلام والتثقيف والتعليم قادرة – دون شك – على أن تغير من ثقافة أطفالنا وتطورها؛ وذلك لحماية أطفالنا من السلبيات وتصونهم من هامشيات الفكر المتسرب إلى ديار الإسلام، وتحميهم من الأخطار التي يتعرضون لها بسبب الغزو الثقافي الموجَّه إليهم، الذي يعمل على استيعابهم وبناء شخصياتهم وَفْقاً للمنهج الغربي. لذا فإن وسائل تثقيف الطفل في ديار المسلمين يجب أن تنهض لاحتلال موقعها في هذا المجال لتنشئة الأجيال المسلمة وَفْقاً لمفاهيم الدين الإسلامي الصحيح لتعمِّق لديهم الاعتزاز بأمتهم والانتماء السليم إلى الأمة الإسلامية. فالأطفال هم شباب المستقبل وأهم ثروة تملكها الأمة في دروب تصحيح المسيرة وحشد الطاقات لصالح الإسلام والمسلمين.

أخطار الترجمة:

وحول رؤيته بشأن تداول قصص الأطفال التي وضعها خبراء الغرب وأخطار ترجمتها ونشرها في دول العالم الإسلامي يقول الباحث: يجب أن نتصدى لأخطار الترجمة في مجال تثقيف الطفل المسلم، ونعمل على تنحية المناهج الغربية التي لا تساير عقيدتنا وعاداتنا الإسلامية. وذلك في إطار تقديم البديل الإسلامي الصالح لمخاطبة أطفال هذه الأمة الإسلامية بعيداً عن الأسلوب الوعظي الجاف؛ حتى لا تصبح أزمة الطفل المسلم أزمة مزدوجة تتمثل في حرمانه من أعمال الغير وعدم صلاحية الأعمال التي تقدَّم إليه بمعرفتنا وعدم تناسُبِها مع نفسية الطفل في ديار المسلمين.

ادعاء باطل

أحمد أبو شاور

كلمات أخرى تحاصرني، يلقيها الإحساس بالظلم في نفسي هنا في هذه الزنزانة اللعينة المظلمة الضيقة. رائحة أنتن من جيفة أنضجتها شمس تموز، رائحة كريهة أشتمُّها مع كل هبة ريح، تصطدم بالباب الحديدي المغلق.

للمرة العاشرة بعد الألف أتساءل عن سبب وجودي في هذا السجن الانفرادي، وأستعرض تاريخ حياتي لحظة لحظة. لقد عانيت كثيراً من أجل المجيء إلى هذه الولاية، فاتورة السفر كانت باهظة، حرمتُ أفراد أسرتي من أجل ذلك من الغذاء واللباس والعيش الكريم؛ حمَّلتُهم ما لا يطاق من الديون. ودخلتُ الولاية بطريق شرعي؛ لم أسرق مصرفاً أو بيتاً، لم أعمل جاسوساً لأية جهة كانت، لم أشتم زعيماً أو وزيراً أو فرَّاشاً في دائرة البيطرة، لم أتنازع مع جار أو أتطاول على سائق سيارة أجرة؛ فلماذا أنا هنا في هذا المكان الحقير المذِل؟

لا أذكر أنني أسأت لزميل أو زميلة في هذا المصنع الذي أعمل فيه منذ أربع سنوات، لا أذكر أنني قُدْتُ سيارة بصورة مخالفة، أو ضُبطتُ سكراناً في شارع أو حانة، أو عاكست قاصراً أو عانساً أو امرأة متبرجة. ولا أذكر أنني انتميت لحزب معارض أو مناوئ، أو عملت في الممنوعات.

أربع سنوات انقضت وأنا في هذه الولاية لم أُحدِث ضجيجاً ولا نزاعاً ولا مشاجرة، ألم يكتشفوا بل ويتيقنوا أنني رجل مسالم نقي السريرة؟

يا إلهي! رأسي يكاد ينفجر.

حينما اعتُقلت، كنت نائماً في فراشي، استيقظت وقتها فزعاً على طرقات الباب! هدَّدني أحدهم بخلع الباب إن لم أفتحه بنفسي، تردَّدت في البدء وذهب ظني لظاهرة تستشري هنا، ظاهرة السطو المسلح، ظاهرة تنتهي في الغالب بجريمة قتل! تُرى هل سأكون ضحية عصابة مسلحة؟

ما أكثر العصابات المسلحة في هذه الولاية! الظاهر أنهم أكثر من شخص وأحدهم يركل الباب بقوة!

لا بد من فعل شيء سأتصل بالشرطة فهي وحدها من تحميني من هؤلاء القتلة، وحين رفعت سماعة الهاتف كان الباب قد سقط أرضاً، واندفع نحوي بضعة عشر رجلاً مسلَّحاً!

صرخ أحدهم بي: انبطح أرضاً وجهُك للأسفل، وذراعُك للخلف أيها الإرهابي! أنت موقوف.

ما الأمر؟ من أنتم؟

صه! كل كلمة تقولها تسجَّل ضدك.

كُبلَت رجلاي وذراعاي، وغطيت عيناي بشريط أسود. ومنذ ذلك الحين وأنا أقبع في هذه الزنزانة النتنة.

أُخذتُ إلى التحقيق ثلاث مرات، وجُهَت لي خلالها أسئلة كثيرة، ومورست ضدي أنواع شتى من التعذيب النفسي والبدني، كنت واضحاً وصريحاً في إجاباتي ولم أكذب، تحدثت بالتفصيل عن أسرتي في باكستان.

أجبت على جميع أسئلة المحقق حتى الشخصي جداً منها، حاولت مراراً أن أستدرجه للبوح بحقيقة التهمة الموجَّهة إليَّ؛ إلا أنه لم يفعل، كان يراوغ يلف، ويتنطع، ثمَّ أنهى حديثه قائلاً: سيزورك المحامي في وقت قريب.

لقائي الأول بالمحامي لم يكن مجدياً؛ فلم يخفف شيئاً من معاناتي، ولم ينقلني من سجني الانفرادي الكريه. والأهم من هذا أنه لم يصرح لي بشيء عن التهمة أو التهم المسندة إليَّ.اكتفى هذه المرَّة بتوقيعي على الوكالة التي تؤهله للدفاع عني.

وفي اللقاء الثاني كان المحامي ظريفاً دمثاً رقيقاً، وبعد أن استمع طويلاً لحكايتي منذ أن خرجت من باكستان إلى ساعة اعتقالي قال:

الظاهر أنك نسيت أمراً مهماً.

- عن أي أمر تتحدث؟

- عن حادثة كلب الحديقة.

قالها وهو يضع بين يدي صورة فوتوغرافية مكبَّرة، أمعنت النظر في الصورة وانفجرت ضاحكاً ضحكة مدويَّة لم أستطع كتمها.

- أتضحك؟ ألا تعلم أن هذه الصورة دليل إدانتك؟

قالها ثمَّ أخرج من جيب معطفه ورقة جريدة حملت الصورة ذاتها وفي ذيلها تعليق: «الكلاب لا تخلو من الإرهاب».

- أهذا أنت أم لا؟

- بلى، أنا بلحمي وشحمي.

- والآخر الذي تعاركه، ألا تعرفه؟

- لا أرى أحداً غيري في الصورة سوى كلب. هل الكلب هو المشتكي؟

- لا، بل سلطة حماية الحيوان، تعذيبه إرهابه... ألم تقرأ بماذا عنون الكاتب الصورة؟

- بلى، لكن الأمر مختلف تماماً.

- وضِّح ما تقول؟ وسأمد لك يد العون ما استطعت.

- الحقيقة - يا سيدي - أنني شاهدت هذا الكلب في الحديقة وهو يمسك بثياب طفل انشغلتْ أمه في ما يبدو عنه.

- يقول الكاتب: إن الطفل كان يلاعب كلب الأسرة حينما تدخَّلتَ أنت بالاعتداء عليه.

- هذا كذب، افتراء؛ الكلب - يا سيدي - ضال، ثم إن أم الطفل ذعرَت، وصرخت، واستغاثت لنجدة طفلها.

- ألم يبادر أحد لنجدتها؟

- لا، فقمت بذلك بنفسي، ثم إن الأم - واعتقد أنها نرويجية - شكرتني.

- هل تذكر شيئاً مما قالته؟

- أذكر أنها قالت: شكراً لك؛ لقد أنقذتَ ولدي. أنا وأبوه مدينان لك.

- هل سمعها أحد سواك؟

- لا أدري كنت في عجلة من أمري.

- هل أعطتك عنوان منزلها، أو رقم هاتفها؟

- لا.

- الصورة تظهر بما لا يدع مجالاً للشك أنك عاركت الكلب، كدت تخنقه.

- ضع نفسك مكاني يا سيدي! هل يمكن تخليص الطفل بأسلوب آخر؟

- ماذا تعني؟

- أعني: هل كان الكلب سيطلق سراح الطفل بمجرد كلمات استعطاف!

- لا بد من استجواب المرأة، وإلا فسيكون أمرك معقداً.

- وهل سأحاكَم على أمر كهذا؟

- بالطبع! نحن هنا نحترم العدالة.

- يا سيدي! أنا مسلم أطبق شريعة الإسلام على نفسي، وديننا الحنيف لا يسمح بإيذاء طير أو حيوان، ورسولنا الكريم حدثنا عن امرأة دخلت نار جهنم بسبب حبسها هرة. نحن أرأف الناس بخلق الله.

- سأقول هذا في مرافعتي، لكن هذا لا يعني براءتك! ستأخذ العدالة مجراها.

- العدالة! العدالة! أنت تتحدث عن العدالة يا سيدي، وحكومتكم وشعبكم يقدمان السلاح والعتاد والدعم المعنوي للصهاينة المحتلين لفلسطين! ألا ترى - يا سيدي - ما يفعله الصهاينة؛ يحرقون الأرض، يجتثون الأشجار، يقتلون الكبار والصغار، الحيوانات والطيور، يحاصرون ويمنعون الماء والغذاء والدواء عن أهل فلسطين؟ أتنسون هذا؟ وأنتم هنا تحاكمونني على عراكي كلباً ضالاً كاد يفتك بطفل بريء... أهذه عدالتكم؟

- الأمر يعود إليكم؛ لماذا لا تحاكمونهم، أو تتقدموا بعرائض ضدهم. أليس لديكم أظافر لتحكُّوا بها أجسادكم؟

بعد نحو شهرين من المحاكمة قضت المحكمة ببرائتي لكنها لم تجرِّم المصور المتعنصر رغم ثبوت الأدلة.

أهمية التربية النبوية للأمة الإسلامية

طـــارق زوكـــاغ

إن المعيار الحقيقي الذي يُقاس به مستوى وجود الشخص في الدنيا، هو ما خَلَّفَهُ ذلك الشـــخص من آثار – ســـواء كانت فكريـــة أو مادية – ومدى قوة تأثيرها علـــى غيره من الناس؛ حيث لا تفتر ألســـنتهم عن ذكره، و لا تَغيب ذِكْرَاهُ عن فكرهم، وإذا ما احتكمنا إلى هذا المعيار فسنجد أن محمداً ﷺ موجود بين الناس باستمرار؛ وخاصة أن سيرته الذاتية وأقواله وأفعاله المروية موجودة بكاملها بين أيديهم.

وبمـــا أن مهمـة الإنســـان الـوجـودية تتمثـــل في عبادة اللـه – تعالى – وإعمار الأرض، فإن الله – ســـبحانه – أرســـل محمداً ﷺ ليربي المسلمين حتى يكونوا صالحين للقيام بدورهم الاســـتخلافي بالشـــكل المطلوب الذي يليق بمكانتهم. وعملية التربيـــة والتزكية من الرســـول ﷺ للأمة الإســـلامية لم تكن محصورة فقط في مرحلة البعثة النبوية؛ بل هاته المهمة دائمة ما بقي على الأرض المؤمنـــون، وصدق الله العظيم حينما قال في كلامه القديم الذي يُقصَد به كل إنســـان مهما تغير الزمان أو تعـــدد المكان: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّـــهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُـــولاً مِّنْ أَنفُســـهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِـــهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَـــابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤]. قال الشـــيخ الطاهر بن عاشور في ختام تفسير هاته الآية الكريمة: «ويجوز أن يشمل قوله: ﴿عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ المؤمنين في كل العصور ويراد بكونه من أنفسهم أنه من نوع البشر، ويُرَاد بإسناد تعليم الكتاب والحكمـــة إليه ما يجمع بين الإســـناد الحقيقي والمجازي؛ لأن تعليم ذلك متلقًّى منه مباشرة أو بالواسطة»[١].

وســـنتطرق في هذا المقال للأسس الموضوعية التي جعلت معانـــي هاته الآية متحققة على الدوام، وللمســـالك الإجرائية التي تجعل الأمة الإسلامية تتلقى التربية النبوية.

(١) ينظر: «التحرير والتنوير»: ٤/ ١٦٠.

١ أسس دوام التربية النبوية للأمة الإسلامية:

١ حفظ[٢] السنة النبوية: كلمة «السُّنَّة» في اللغة ترجع إلى معنى الاستمرار والتوالي والتكرار[٣]، وبهذا المعنى وردت في كثير من النصوص الشـــرعية. لذلك اختار بعض المحدثين والأصوليين المتقدمين تعريفها بأنها: «ما رُسِم ليحتذى به»[٤]، فيخرج من هذا ما نُقِلَ عن الرسول ﷺ من التصرفات البشرية الجبلِّية أو غيرها

(٢) قال الرازي في «مختار الصحاح»: (حفظ الشيء بالكسر حفظاً حرسه وحفظه أيضاً استظهره. و المحافظة: المراقبة)، ينظر مادة (ح ف ظ).

(٣) يُنظر: «معجم مقاييس اللغة» لابن فارس: (١٣/ ٦١)، و «لسان العرب» لابن منظور: مادة (س ن ن).

(٤) ينظر: «الفقيه والمتفقه» للخطيب البغدادي: (١/ ٨٦)، و «إحكام الفصول في أحكام الأصول» للباجي (ص: ١٧٣).

مما لم يُقصد به التأسي والاقتداء لأنه ليس بوحي[1].

وقد حفظ الله – تعالى – سنة رسوله ﷺ من النسيان والتحريف الكلي الذي يطمس معالمها؛ لأنها تبيِّن القرآن الكريم وتُجسِّده عملياً، وتُظهِر إمكانية تطبيقه وحدود تأويله من غير إفراط ولا تفريط. قال – تعالى –: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤]، وعن أمِّنَا عائشة – رضي الله عنها – قالت: «كان خُلُقه القران»[2].

وبناءً عليه لم تكن مهمة الرسول ﷺ مُجَرَّد تبليغ ألفاظ القرآن للبشرية، أو أنَّ فائدة سنته الشريفة مقصورة على تلك الفترة التاريخية فقط؛ فالذي يعتقد هذا الاعتقاد الباطل يخالف النصوص الصريحة في القرآن والسنة[3].

وتظهر العناية الإلهية بالسنة النبوية الشريفة من خلال تسخيره – سبحانه – لعلماء جهابذة أعلام تحققت بهم عصمة الشريعة[4] من خلال جهادهم في الحفاظ عليها وابتكارهم منهجاً فريداً في نقلها؛ حيث ازدانت تلك السنن المروية بأن وصلتنا بطريقة علمية اختصت بها الأمة الإسلامية؛ فقد نُقلَت من الرجل المشهود له بالعَدالة والتقوى وبالضبط في الحفظ، إلى الذي يحمل مثل صفاته بشكل متسلسل دون انقطاع إلى أن جُمعَت تلك الأخبار النبوية في كتب اشتهرت بين الناس، وعلى رأسها الكتب التسعة[5]. لذا فإن الناظر في كتب الحديث يطمئن قلبه في نسبة الأحاديث إلى صاحبها ﷺ؛ خاصة بعد النظر في المنهج العلمي الرصين الذي كان من المحدثين الذين اعتبروا علم الإسناد من الدين.

وأُذكِّرُ في هذا المقام بشيء يَنْعَمُ به المسلمون وحدَهم دون غيرهم؛ ألا وهو وجود الروضة الشريفة بين أيديهم، وهو ما يدلل على مدى تكريم الله – سبحانه – لنبيهم ﷺ، فهم يُمَتِّعون فيها أنظارهم وتشتاق إلى الوقوف أمامها قلوبهم، وهذا مما لم يتسنَّ لغيرهم ممن لا ينتمي لدينهم؛ بل هذا الأمر هو الذي يغيظ أعداءهم ويحزُّ في نفوسهم؛ إذ لا نبي ولا رسول إلا حُرِّفَت رسالته وبُدِّل كتابه وأُبهم قبره عدا رسولنا ﷺ.

٢ شمول السنة النبوية: السنة النبوية الشريفة شاملة لجميع التصرفات والمراحل والأحوال التي يمكن أن يوجد عليها الإنسان: من فقر أو غنى، وفرح أو حزن، وقوة أو ضعف، وصحة أو مرض، وخوف أو أمن، وفراغ أو انشغال... إلخ، وتشمل أيضاً جميع الأدوار والمناصب[6] التي يمكن أن يُمارسها الناس بشكل عام، فقد كان – عليه السلام – إماماً ومفتياً وقاضياً وقائداً عسكرياً، وكان تاجراً وزوجاً وأباً ﴿وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُنِيراً﴾ [الأحزاب: ٤٦]. كما أن مواضيع السنة الشريفة تغطي جميع المجالات التي تؤطر حياة الإنسان: من عقائد وعبادات ومعاملات وأخلاق وغيرها.

جِماع القول إذن: أنه يكفي الواحد منا أن يلقي نظرة في فهرست أحد كتب الحديث النبوي الشريف ليرى الأبواب الجامعة لجميع أحوال الناس المتوقعة، وصدق سلمان الفارسي – رضي الله عنه – حينما رَدَّ على بعض المشركين المستهزئين حينما قالوا له: إن صاحبكم يُعَلِّمُكُم حتى الخراءة، فقال – رضي الله عنه وأرضاه –: «أجل! أمرنا أن لا نستقبل القبلة ولا نستنجي بأيماننا ولا نكتفي بدون ثلاثة أحجار ليس فيها رجيعٌ ولا عظم»[7].

---

(١) تنبيه: لا يقتصر لفظ «السنة» في هذا السياق على ما نُقِلَ عن الرسول ﷺ ويُراد به الندب فقط كما هو اصطلاح الفقهاء؛ بل يشمل كذلك ما يُراد منه الوجوب. قال فخر الدين الرازي في «المحصول» :» لفظ «سنة» لا يختص بالمندوب؛ بل يتناول كل ما علم وجوبه أو ندبيته بأمر النبي ﷺ وبإدامته فعلَه؛ لأن السنة مأخوذة من الإدامة»: ١/ ٢١.

(٢) رواه مسلم .

(٣) منها قوله – تعالى –: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾ [النساء: ٥٩]، وقول الرسول ﷺ: «تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما: كتاب الله وسنة رسوله» رواه الإمام مالك في الموطأ مرسلاً في كتاب القدر (٤٦٠) باب النهي عن القول في القدر ، ورواه الحاكم مسنداً وصححه.

(٤) تحدث الإمام الشاطبي عن عصمة الشريعة من وجهين: «الوجه الأول: الأدلة الدالة على ذلك تصريحاً وتلويحاً كقوله – تعالى –: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]، والسنة وإن لم يَرِد في الآية ذكرها؛ فإنها مبينة له ودائرة حوله؛ فهي منه، وإليه ترجع في معانيها. فكل واحد من الكتاب والسنة يعضد بعضه بعضاً ويشد بعضه بعضاً... الوجه الثاني: الاعتبار الوجودي الواقع من زمن الرسول ﷺ حتى الآن؛ وذلك بتوفير الله – تعالى – دواعي الأمة للذب عن هذه الشريعة... ثم قيض الله رجالاً يبحثون عن الصحيح من حديث رسول الله ﷺ، وعن أهل الثقة والعدالة من النقل، حتى ميزوا بين الصحيح والسقيم وتعرفوا على التواريخ وصحة الدعاوى في الأخذ لفلان عن فلان، حتى استقر الثابت المعمول به من أحاديث رسول الله ﷺ». يُنظر الموافقات بتحقيق الشيخ عبد الله دراز (٢/ ٥٨ – ٦٠) المسألة الثانية عشر من مقاصد وضع الشريعة ابتداء.

(٥) هي: (صحيح البخاري، وصحيح مسلم، وسنن الترمذي، وسنن النسائي، وسنن أبي داود، وسنن ابن ماجه، ومسند الإمام أحمد، وموطأ الإمام مالك، وسنن الدارمي).

(٦) تجدر الإشارة إلى أن علماء أصول الفقه قد أبدعوا في تحديد وتصنيف التصرفات النبوية، كالشيخ الطاهر بن عاشور الذي عد من أحوالها «اثني عشر حالاً، وهي: التشريع، والفتوى، والقضاء، والإمارة، والهدي، والصلح، والإشارة على المستشير، والنصيحة، وتكميل النفوس، وتعليم الحقائق العالية، والتأديب والتجرد عن الإرشاد». يُنظر: مقاصد الشريعة الإسلامية: (ص ٢٨ – ٢٩).

(٧) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه، وابن ماجة في سننه.

٢ المسالك الإجرائية التي تحقق التربية النبوية للأمة الإسلامية:

هذه المسالك مترابطة ومتكاملة في ما بينها، ومجموعها يمكن أن يحقق المعية المعنوية للرسول ﷺ بالنسبة للمسلم الذي يسلكها، وهي:

أولاً: محبة الرسول ﷺ[١]:

الكلام عن «المحبة النبوية» هنا ليس مُجرَّد دعوى ناقصة تَصْدُقُ على صاحبها بمجرد النطق بها؛ بل نتحدث عنها باعتبارها عقيدة كاملة لها أسباب تُنتِجها، ومقتضيات تلزمها؛ فمن أسباب تمتين محبة الرسول ﷺ في النفس المؤمنة:

- كثرة ذكره والصلاة عليه ﷺ، والدعاء الدائم بقبول شفاعته في المسلمين، وبالاجتماع معه - عليه السلام - على الحوض يوم الدين. قال - تعالى -: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً** ﴾ [الأحزاب: ٥٦].

- تعظيمه و توقيره ﷺ وتذكُّر مكانته عند الله - سبحانه وتعالى - وفضله على الناس، وذكره بما يليق به من الأوصاف ﷺ. قال - سبحانه -: ﴿ **لا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضاً** ﴾ [النور: ٦٣].

أما العلامات والمقتضيات التي تبرهن على حصول محبة الرسول ﷺ، فمنها:

- أن يلحظ المسلم في نفسه أنه يحيي السنة النبوية؛ فهو القائل ﷺ: «من أحيا سنتي فقد أحبني، ومن أحبني كان معي في الجنة»[٢].

- أن يجد المسلم في نفسه رغبة دائمة في الاطلاع على أخباره وقراءة سيرته ﷺ، والشوق إلى لقائه حسب ما هو معلوم في قانون المحبة.

ثانياً: مطالعة السنة النبوية وتدبرها:

الرسول ﷺ هو النموذج الأمثل للإنسان الذي استخلفه الله - سبحانه - في الأرض، وبه أظهر للمسلمين التجسيد العملي لأحكام القرآن من غير إفراط ولا تفريط؛ لذلك جاء الأمر صريحاً بالتأسي به ﷺ. قال - سبحانه -: ﴿ **لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً** ﴾ [الأحزاب: ٢١]، ومُنْطَلَق هذا التأسي أمران، هما:

١ - القراءة المستمرة لأحد المتون الجامعة للسنة النبوية الصحيحة[٣]، والكتاب الذي جمع وأوعى في هذا الباب هو «رياض الصالحين» للنووي، رحمه الله.

٢ - تدبُّر أقوال وأفعال الرسول ﷺ والسعي الدائم والدؤوب لمقاربتها واتباعها؛ لأنها المقياس الذي أمرنا بأن نَزِنَ به أعمالنا، وهي الوسيلة التي نمارس بها النقد والتمحيص لتصرفاتنا. قال - تعالى -: ﴿ **قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾ [آل عمران: ٣١].

وإنَّ هذين الأمرين - لعمر الحق - يجعلان المسلمين لا يشعرون بأنهم عن نبيهم ﷺ غائبون، وما أجمل البيت الشِّعري الذي وَصَفَ المشتغلين بعلم الحديث النبوي الشريف:

أهلُ الحديثِ هم أهلُ النبي، وإن
لم يصحبوا نفسَه أنفاسَه صحِبوا

ثالثاً: ملازمة العلماء الربانيين:

منزلة العلماء الربانيين في الأمة بمنزلة الأطباء، وهم ورثة الأنبياء[٤]، ولا تسمع منهم سوى: (قال الله... قال رسول الله)، كما أن رؤيتهم تُذكِّر بالله، ولا تُبصِرُ في تعاملهم إلا التطبيق لما جاء في القرآن والسنة؛ حتى اعْتُبِرَ تقليد الناس لهم نوعاً من الإفتاء بأفعالهم. قال الشاطبي: «إذا كان كذلك وثبت للمفتي أنه قائمٌ مقام النبي ونائبٌ منابه لزم من ذلك أن أفعاله محلٌّ للاقتداء أيضاً»[٥]. لذلك وَجَبَ علينا التواصل معهم وحضور مجالسهم.

وخاتمة الكلام أيها الأخ الكريم! يجب علينا أن نسلك الطريق المستقيم، وننهل من ذلك المصدر المَعين الذي يحقق لنا الصحبة المعنوية للرسول ﷺ، والذي يُفعِّلُ فينا عملية التربية والتزكية على يديه ﷺ عسى أن تمتلئ قلوبنا بمَحبَّته مَحبَّةً حقيقية؛ فنَصْحَبَهُ صُحْبَةً أبدية، كما قال خير البرية: «الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[٦].

---

(١) هذه تفصيلات بسيطة في محبة الرسول ﷺ ومن أراد التوسع فلينظر كتاب «الشفا في التعريف بحقوق المصطفى» للقاضي عياض، رحمه الله.

(٢) هذا جزء من حديث أخرجه الترمذي في سننه، كتاب العلم، باب «ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدعة»، رقم (٢٦٧٨)، وقال: هذا حديث حسن غريب.

(٣) يجب الحذر من الاعتماد على الأحاديث الضعيفة؛ لأن الاتباع لا يقوم على أساس الشك، كما ينبغي التحذير من بعض الأحاديث الواهية أو الموضوعة الموجودة في كتب الرقائق؛ خاصة التي لم تحقِّق تحقيقاً علمياً محكماً.

(٤) عن أبي الدرداء - رضي الله عنه - أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورّثوا ديناراً ولا درهماً؛ إنما ورَّثوا العلم؛ فمن أخذه أخذ بحظ وافر». رواه أبو داود والترمذي.

(٥) «الموافقات» للإمام الشاطبي بتحقيق عبد الله دراز: ٤ / ٢٤٨.

(٦) أخرجه الترمذي في سننه، حديث رقم (٣٤٨٤)، كتاب الدعوات، باب «في فضل التوبة والاستغفار وما ذُكر من رحمة الله لعباده».

سجّادة المطبخ

د. بشرى اللهو

تقول: حصل زوجي على بعثة، فطربتُ لهذا الخبر. فالأمر لا يعدو بالنسبة لي سوى إجازة براتب، وحين حططت رحالي هناك أدركت صعوبة الأمر، فلا عاملة تساعدني، وطفلاي الصغيران لا ينفكان عني لحظة، وزوجٌ يغيب اليوم كلَّه ليأتي مرهقاً يريد بيتاً نظيفاً وهادئاً ووجبة دسمة، ولربما استضاف الزملاء الغرباء أو أحد المغتربين محاولاً تقليد حاتم الطائي، ونسي أن كلَّ ما بي لا يتطابق مع زوجة حاتم الطائي.

فقلبتُ حياة زوجي جحيماً، ونال هذا الجحيم صغاري، وتأفف زوجي وتذمر واعتراض.

سكنتْ بقربي جارة، فاغتنمتُها فرصة كي أقارن حالها بحالي أمام زوجي، فرأيت عجباً: امرأة تقية نقية، طالبة علم وداعية، أولادها أكثر من أولادي، وذات نشاط عجيب، تقيم الدروس للنساء وتدرس الدراسات العليا، بل قام أحد المشايخ المفتين بإعطائها إجازة إفتاء، كما كانت حَسَنة التبعُّل لزوجها وليست كحالي.

دعتنا لمنزلها، فلم تكن كحال معظم نسائنا ممن يرغبن بزيارة الأخريات، ولا يوددن دعوة أحد لمنازلهن.

وكنتُ في حماس شديد لرؤية منزلها؛ لأروي ظمأ فضولي برؤية مستوى نظافة منزلها، فرأيت ما فاجأني؛ فعلى الرغم كل مشاغلها إلا أن البيت كان شديد النظافة والترتيب.

وأكثر ما لفت انتباهي هي سجادة مطبخها؛ فلقد كانت بيضاء ناصعة البياض، لون لا أجرؤ أن أضعه في غرفة نومي يوم كانت عندي عاملة في بلدي.

فأسررت في نفسي أمراً، سأتحدى نفسي وسأضع سجادة مثلها في مطبخي.

كانت بيضاء في بادئ الأمر ثم تحولت إلى اللون (البيج) ثم الرمادي ثم تداخلت كل ألوانها حتى أصبحت لا لون لها.

وبسبب هذه السجادة قمتُ بتعنيف صغاري مراراً وتكراراً، وتوقفت عن تعنيفهم يوم توقفت ألوان السجادة.

فأسررت لنفسي: إنكِ لستِ إلا مقلدة أو مجتهدة ولكل مجتهد نصيب، لعل الله رزق جارتي نظافة وترتيباً ليعينها ويعين زوجها وأولادها فتبذلَ للآخرين.

ولعل الله اطلع على حالي فوجدني لا همَّ لي إلا نفسي فشغلني عنها.

الشَّحن والإفراغ
وأثرهُما السلبي على البحث العلمي

د. عبد الكريم القلالي
Karim_kallali@hotmail.com

للبحث العلمي ضوابط ومناهج على كل باحث أن يتقيد بها في بحثه، حتى يمكن أن يُعدَّ منتوجه بحثا علميا، وكم من البحوث العلمية اليوم تحمل هذا الاسم وليس لها من نصيبه شيء، ومن تصفح ما ينتجه بعض الباحثين على اختلاف درجاتهم العلمية يلاحظ أن هناك أمرا تواطأ الباحثون على التكثير منه، ويعدونه أمارة دقة ودلالة ضبط؛ ذلك الأمر هو كثرة النقول من المصادر والمراجع، وإيرادها في مقامات لا تقتضي قواعد البحث إيرادها فيه.

ونقل النصوص وإيرادها للاستدلال والاستشهاد بها، لا أحد يقول بقبولها أو ردها إطلاقا؛ بل لابد من التزام ضوابط النقل وقواعده؛ ليلا يصبح البحث نسخة مستخرجة من مجموعة كتب فقط؛ فالإفراط في النقل يضر بالبحث وقيمته العلمية، ويفقده قيمته النوعية.

وفي عدد من البحوث تجد مباحث بكاملها ليس فيها من كلام صاحب البحث إلا أسطرا، وما إن ينتهي الباحث من إيراد قول لزيد أو عمرو من الناس إلا وينتقل لإيراد قول آخر لغيره مشابه، ثم يورد قولا ثالثا على سبيل التأكيد لما أتى به، وقد يورد نقلا رابعا لتأكيد ما أكد به، وهكذا تسود صفحات عدة بكلام الغير بشكل تسلسلي وأحيانا متقطع في كافة مباحث البحث، ويصير البحث عبارة عن أقوال الآخرين أما قول الباحث الذي سينسب البحث إليه فغائب، وعمله في البحث يكاد ينحصر في التنسيق بين الجمل والفقرات ثم وضع لائحة المصادر والمراجع وفهرس البحث.

وسبب اللجوء إلى كثرة النقل لدى الباحثين، يرجع إلى أمرين:

الأول: يتعلق بالباحث؛ حيث تجده في غالب الأحوال عاجزا عن إضافة أي جديد أو مناقشة ما قيل، فيكتفي بإيراد أقوال الناس ونسخها من هاهنا وهاهنا، ويقول في النهاية: " هذا بحثنا".

ومن تصفح عددا من الرسائل والبحوث المقدمة لنيل الدرجات العلمية -على اختلافها- يجدها طافحة بالنقول مليئة به، فقراتها نقلت نقلا مشتتا ثم أضيف بعضها إلى بعض، وهي بذلك لا تعدو أن تكون نسخا مكررة، ولا تضيف للبحث أي قيمة علمية؛ ولا يستفيد من البحث سوى الباحث الذي نال به درجة علمية معينة، وإذا كان الباحثون القدامى

يجدون عناء في النقل ويكلفون أنفسهم مشقة البحث عن النصوص في المصادر والمراجع، وقراءة عدة كتب للوصول إلى نص للاستشهاد به في البحث؛ فقد كان ذلك مما يستفيدونه في عملية النقل، أما اليوم ومع ما تيسر من وسائل-على الرغم من إيجابياتها-أصبحت كتابة البحث أمرا هينا ويسيرا لدى من لا يقدر البحث العلمي قدره؛ حيث يعتمد عدد من الباحثين على النقل المباشر للنصوص والتي يصلون إليها بطريقة مباشرة، وقد لا يعرفون الكتاب الذي توجد فيه. ولا يستغرق الباحث في نقل عشرات النصوص سوى بضع دقائق، وينجز بحثا بعشرات الصفحات كان من قبل يتطلب سنوات وأصبح اليوم يتطلب أشهرا أو أياما، ولسنا ننكر بهذا الاستفادة مما تيسر من الوسائل التقنية؛ بل ذلك مطلوب لاختصار الجهد والوقت، لكن ما ننكره هو الإفراط في النقل والركون إلى الموجود، وعدد من البحوث العلمية اليوم عبارة عن مستخرجات، لو وجد من يحترم البحث العلمي لانتزع من أصحابها ما نالوا عليها من درجات منحت لهم زورا، ليس لهم فيها من عمل سوى النسخ والتنسيق والترتيب، وبعض المتجنين على البحث العلمي لا يحيلون إلى ما ينقلون ويوهمون القارئ أن ما أتوا به من قريحتهم وإبداعهم، وعند التمحيص تجد صفحات مطولة سرقت بدون إحالة أو إشارة، وقد اكتشف أمر بعضهم ممن كان يزعم ويدعي أنه من كبار الكتاب والمحققين؛ فافتضح أمره ونشر على الملإ، والسرقة بهذا الشكل عمل مشين ما كان ينبغي أن تجد لها موطئا لدى الباحثين؛ لكن الشره والوله بالمناصب والدرجات سوغ كل شيء وأمات ضمير الأمانة والدقة.

الثاني: ما يتعلق بالجهة المشرفة على البحث من تشدد غير لائق في بعض الأمور ووقوف عند بعض الجزئيات التي أسيء فهمها من قبل المشرفين على البحث أنفسهم، من ذلك إلزامهم الباحث الذي يبحث تحت إشرافهم بالتدليل لكل ما أتى به، والاستشهاد له بالنقول والأقوال، وتجد الباحث أحيانا يتكلف ذلك تحت ضغط الجهة المشرفة على البحث، وقد يقتبس نصوصا لا علاقة بالفكرة التي يريد الاستشهاد لها، ولربما نسب قولا إلى من لم يقله، وقد يوثق ذلك ويثبته ليسلم من انتقاد المشرف الذي لا يكلف نفسه عناء الرجوع إلى تلك المصادر والتأكد مما يورده الباحث، أو تجده يطنب في كثرة النقول وأحيانا تكون متناقضة فلا تزيد القارئ إلا حيرة وضلالا، ويستشهد للمسألة الواحدة والفكرة القصيرة بأقوال عدد من الأئمة والأعلام، وقد كان يكفي إيراد استدلال واحد للمسألة، والاكتفاء بالإشارة إلى ما اطلع عليه من كلام في المجال.

وبعض المشرفين على بعض البحوث يلزمون الباحث بتعطيل فكره وعدم إبداء رأيه؛ وإذا أتى بشيء لم يدلل عليه، اتهم فيما أتى به، وكتب له في التعليق: "من أين لك هذا؟" وكأنه قد كتب عليه أن يأتي بكل شيء إلا برأيه هو! وإن أصر وزعم أن ما أتى به من رأيه واستنتاجه فقد يشكك فيه وأحيانا يكذب بدعوى أنه لا يزال في مرحلة البحث، وكأن من كان في هاته المرحلة لا يحق له إبداء الرأي ومناقشة الأقوال. وإزاء هاته المواقف التي لا تمت للبحث العلمي بصلة لا يملك الباحث سوى الاستجابة وإلا رفض بحثه، وهكذا يلزم بإخراج بحث مليء بالنقول عبارة عن شحن وإفراغ ضيع فيه الكثير من الجهد والوقت والمال.

وعوض التشدد في التكثير من إيراد النقول كان ينبغي التشدد في عدم التكثير من إيرادها وحمل الباحث على مناقشة بعض ما يورد والحرص على معرفة مصدر ما يقول وحثه على إعمال رأيه وفكره؛ ومائة صفحة من لبنات فكر الباحث وآرائه خير من ألف صفحة استخرجت من عدة بحوث ولا تحمل أي جديد، ومهما يكن الجديد الذي يأتي به الباحث فإنه ولاشك فيه فائدة أقلها تمرينه على النظر والاستنباط وإعمال الفكر وإبداء الرأي، وذلك باب التمكن والاجتهاد والاستقلال في الرأي.

وبعض الباحثين لما ينتصر لقول أو يرجحه لا ينطلق في ذلك من قناعاته الفكرية ورؤاه المبدئية؛ بل يميل إلى ما مال إليه؛ لما وجده من نقول وتوفر له من كلام لأحد من العلماء الباحثين فرجح ما رجحه اتباعا وتقليدا لا اجتهادا واقتناعا، وهذا ترجيح لا قيمة له من الناحية العلمية؛ لأنه مجرد تكرار قول قد قيل، وهو ناتج عن تقليد وليس عن جهد وإعمال فكر. وعدد من الباحثين الذين تملأ كتبهم الساحة طولا وعرضا بحوثهم منقولة من هاهنا وهاهنا ورغم شناعة ذلك لا يكفون عن تضييع الحبر والورق.

نماء

منهج بناء الشخصية الإسلامية
من الرضاعة إلى ما بعد الجامعة

للمربين..
..للأسرة..
..للدعاة

بمشاركة فريق من الباحثين المختصين

أولادي والتقنية

بناء قيادات اجتماعية فاعلة

كيف نبني داعية مؤثراً؟

أريد بناء الخلق الحسن لدى ابنتي

ابني المراهق وعلاقته بالله

كيف أجعل طفلي منظما.

إعداد مؤسسة
المربي
ALMURABBI

إخراج و تصميم
BN
www.BNet.ws

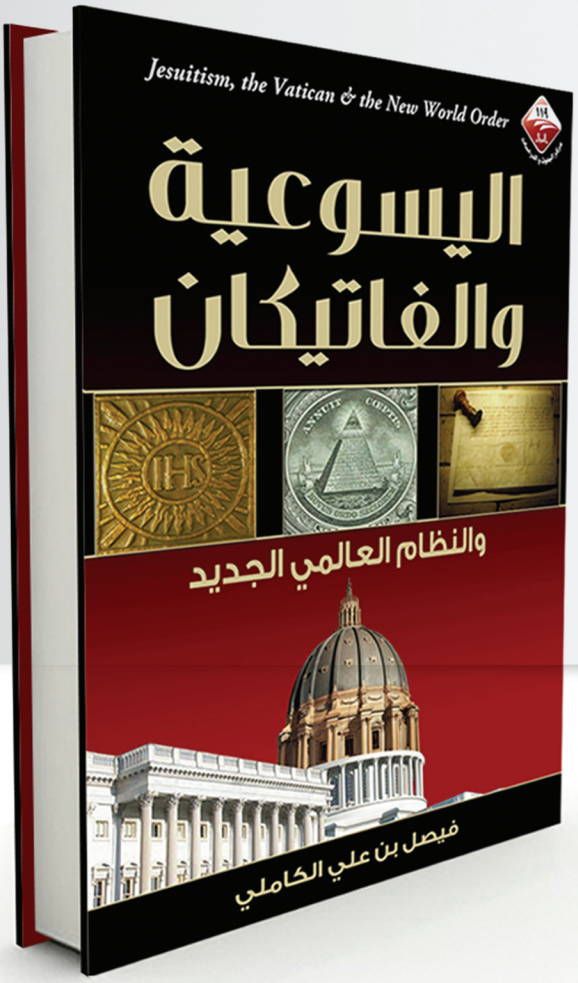

اليسوعية والفاتيكان

و النظام العالمي الجديد.

جديدنا

اكتشف السر بعد خمسمائة عام من نذور الكتمان !

- **ما أخطرُ الجماعات السرية على الإطلاق ؟ ولم لا نعلم عنها شيئاً ؟**
- **ماذا تعرف عن ((أصحاب الأيكة)) الجدد ؟**
- **هل الماسونية حقاً صناعة يهودية ؟ فمن تخدم إذن ؟**
- **لم لا تتغير سياسة أمريكا بتغير الزعماء ؟ ومن هو الموجه الحقيقي لهذه السياسة؟**
- **ما حقيقة التحالف البابوي ـ الصهيوني ؟ وماذا يراد للقدس ؟**

وثائق سرية وحقائق مزعجة تقرؤها لأول مرة بالعربية في كتاب

((اليسوعية والفاتيكان والنظام العالمي الجديد))!

Badr: 0508948947

مجلة البيان

الريـــاض: ـ هـــاتف: ٤٥٤٦٨٦٨ تحـــويلة: ٥٠٠ و ٥٠٢ فـــاكس: ٤٥٣٢١٢١
التوزيع والمبيعات: ٠٥٠٤٤٧٨٩٣٢ - ٠٥٠٢٢١٠٩٢٠ - ٠٥٠٣٤٠٩٨١٦ - ٠٥٠٣٨٩٦٣٦٥ - ٠٥٠٦٤٦١٠٦٥
جـــدة: ٠٥٠٦٤٦١٠٥٧ مكـــة والمدينـــة: ٠٥٠٧٢٦٦١٢٠ المنطقـــة الجنوبيـــة: ٠٥٠٦٤٦١٠٥٨
المنطقـــة الشرقيـــة: ٠٥٠٦٢٩٢٦٨٩ منطقـــة القصيـــم: ٠٥٠٢٢٢٠٦١٦

مجلة البيان

البيان AL BAYAN

الآن

إصدارات البيان متوفرة بمتجر آبل الإلكتروني
لأجهزة آيباد وايفون.
(فقط عليك تحميل تطبيق البيان)

www.albayan.co.uk